نور الحياة

سلسلة دراسات في كلمة الله

الكتاب الرابع عشر

دراسات وتأملات في

الأعيـاد الكنسية

(١) الشهور من توت إلى أمشير

دكتور جميل نجيب سليمان

الكتاب الرابع عشر

دراسات وتأملات في
الأعياد الكنسية

(١) الشهور من توت إلى أمشير

دكتور جميل نجيب سليمان

اســم السلسلـــــــة : نور الحياة
الكتــاب الرابــع عشر : دراسات وتأملات في الأعياد الكنسية
(١) الشهور من توت إلى أمشير
المـــــــــــــؤلف : دكتور جميل نجيب سليمان
www.gamilsoliman.org
gamilnsoliman@yahoo.com
الطبعـــــــــــــة : الأولي ٢٠١٥
الناشـــــــــــــر : بيت مدارس الأحد القبطي (ت : ٢٢٠٢٩٧٤٤)
٧٠ ش روض الفرج – القاهرة
رقـــم الإيـــــداع : ٢٠١٥/١١٤١٩
الترقيـــــم الدولـــــي : 978-977-6439-70-2

صاحب القداسة والغبطة

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية المائة والثامن عشر

المحتويـــات

كلمة إلى القارئ ٧

١ - **مقدمة** ٩

+ عن أعياد العهد القديم ١٠

+ المسيح والأعياد اليهودية ٢٠

+ الأعياد اليهودية في نور العهد الجديد ٢٤

+ عن الأعياد المسيحية ٣٦

٢ - **أعياد شهر توت** ٤٩

+ رأس السنة القبطية (عيد النيروز) (أول توت) ٤٩

- شهادتنا ٥٠

- قضية الاضطهاد ٥٥

+ استشهاد يوحنا المعمدان (٢ توت) ٦٩

+ عيدا الصليب (١٧ توت، ١٠ برمهات) ٧٩

- الصليب في حياة المؤمن ٨٣

٣ - **أعياد شهر هاتور** ٩١

+ عيد مارمينا (١٥ هاتور) ٩٢

+ عيد الشكر (منتصف هاتور) ٩٩

+ عيد القديس فيلوباتير مرقوريوس (أبي سيفين) (٢٥ هاتور) ١٠٥

٤ - **أعياد شهر كيهك** ١٠٩
+ عيد رأس السنة الميلادية (٣١ ديسمبر/ أول يناير - ٢٢ كيهك) ١٠٩
- تجديد الحياة ١١٠
+ عيد الميلاد (٢٩ كيهك) ١٢١
- التجسد والخلاص ١٢١
٥ - **أعياد شهر طوبة** ١٣٣
+ عيد الختان (٦ طوبة) ١٣٤
+ عيد الظهور الإلهي (الغطاس) (١١ طوبة) ١٤٤
+ عيد عرس قانا الجليل (١٣ طوبة) ١٥٢
+ عيد استشهاد القديسة دميانة (١٣ طوبة) ١٦٤
+ عيد القديس الأنبا أنطونيوس أول الرهبان (٢٢ طوبة) ١٧٠
٦ - **أعياد شهر أمشير**
+ فصح يونان (طوبة أو أمشير) ١٨٣
+ عيد القديس الأنبا بولا أول السواح (٢ أمشير) ١٨٩
+ عيد دخول المسيح الهيكل طفلاً (٨ أمشير) ١٩١
- المسيح يُقدم كذبيحة خلاص ١٩١
٧ - **ملاحق** ١٩٩
ملحق رقم (١): عن التقويم القبطي – خلفية تاريخية ٢٠٠
ملحق رقم (٢): عن شهور السنة القبطية (المصرية) ٢٠٥
ملحق رقم (٣): عن الخمر والمسكر في الكتاب المقدس ٢٠٨
ملحق رقم (٤): عن الطهارة والنجاسة بين العهدين ٢١٨

كلمة إلى القارئ

هذا الكتاب، **الرابع عشر** من **"نور الحياة"** – سلسلة الدراسات في كلمة الله، يستكمل الكتب الثلاثة التي سبقته والتي تناولت **"أناجيل قداس الآحاد"** خلال السنة الليترجية، ويقدم دراسة كتابية روحية **"للأعياد الكنسية".**

وتتصدر هذا الكتاب مقدمة عن نشأة **أعياد العهد الجديد**، فنعرف أن جذورها تعود إلى **أعياد العهد القديم** التي احتفى بها الرب أيام جسده، ونقلها من بعدها الرمزي، الملتصق بالأرض والتاريخ، إلى غايتها الحقيقية المجتمعة في شخص مخلصنا المسيح الذي غسلنا بدمه وأنار الحياة والخلود، وختم على الموت والتراب، وفتح لنا أبواب الأبدية.

هكذا توقف **الفصح القديم**، وسائر الذبائح، بمجيء **"المسيح فصحنا"** الذي **"ذُبح لأجلنا"** (١كو ٥: ٧)، وارتبط **عيد الخمسين بحلول الروح القدس** على الكنيسة، وانحسر القديم وصار الكل جديداً (٢كو٥: ١٧).

وبالطبع فأولى الأعياد التي احتفت بها الكنيسة هي تلك التي تتصل مباشرة بشخص الرب وسمّتها **"الأعياد السيدية":** وهي سبعة كبرى وسبعة صغرى، وإن كانت كلها أعياداً لها نفس القدر بانتسابها إلى السيد الملك.

ثم كانت **أعياد المناسبات:** مثل **عيد النيروز** أو **الشهداء** الذي بدأت به الكنيسة تقويمها الجديد سنة ٢٨٤م (رأس السنة القبطية)، و **عيد الصليب**[١]، وأعياد الشهداء والقديسين والملائكة، وفي المقام الأول **العذراء القديسة مريم** ولها أكثر من عيد، فضلاً عن أعياد يُعيّد لها كل شهر قبطي (يوم ٢٩: أعياد البشارة والميلاد والقيامة، يوم ١٢: عيد الملاك ميخائيل).

---

(١) أضيفت في السنوات الأخيرة أعيادٌ أخرى أضفت عليها الكنيسة مسحة مسيحية مثل عيد الأم وعيد الشكر.

ولكي يحتفظ الكتاب بحجمه المناسب، فقد استحسنا أن نقّدم هذه الدراسة عن **الأعياد الكنسية** في كتابين: **الأول** يغطي الأعياد خلال **الشهور من توت إلى أمشير** (أي من عيد رأس السنة القبطية إلى عيد دخول المسيح الهيكل طفلاً)، و**الثاني** يخصص لأعياد الفترة **من شهر برمهات إلى نهاية العام** القبطي (أي من **عيد الصليب** إلى عيد صعود جسد العذراء وختام العام القبطي).

❊ ❊ ❊

وكما في كل ما صدر من كتب هذه السلسلة، فعيننا على **"كلمة الله"** نور الحياة، نلهج فيها ونستند إليها ونفسرها ونقيس عليها، ونجعلها مرجعنا الأساس، ونجتهد في إثارة الأذهان لحفظها والتأمل فيها بروح الصلاة، والسير على هدْيها، وطاعتها والالتزام بها بكل استقامة وبغير تحايل أو مساومة.

* * *

وإني أسأل **الرب**، شمس البر الذي تدور حوله هذه الأعياد، ظاهراً أو خافياً، أن يبارك في هذا الجهد لمجد اسمه وامتداد ملكوته؛ بشفاعة **العذراء القديسة مريم** و**سائر القديسين** الذين ذُكرت أعيادهم في هذا الكتاب، وصلوات أبينا **البطريرك البابا أنبا تواضروس الثاني**، كما أطلب صلوات كل من يقرأ هذا الكتاب ليكون سبباً في استنارة العقول بالتلمذة لكلمة الله **"نور الحياة"**.

مايو ٢٠١٥

١

مقدمـــة

- عن أعياد العهد القديم
- المسيح والأعياد اليهودية
- الأعياد اليهودية في نور العهد الجديد
- عن الأعياد المسيحية

عن أعياد العهد القديم

■ عن الأعياد الدينية :

عرفت الشعوب **الأعياد** منذ فجر التاريخ، احتفالاً بحدث أو أمر أثّر في حياتها ويحتل موقعاً بارزاً في تاريخها. وهدفت بذلك إلى استبقاء الحدث حياً في ذاكرة الأمة وتاريخ الجماعة، ونقله إلى الأجيال التالية لتحفظه وتستلهم منه الدروس والعبر. وتقترن الأعياد بالفرح والبهجة، أو الإحساس بالفخر والكرامة، وتصاحبها عادة طقوس تختلف من عيد لآخر.

وعلى سبيل المثال، فالمصريون القدامى احتفلوا بعيد **"وفاء النيل"** امتناناً لفيضانه السنوي الذي يحمل له الخير، ولازلنا نحتفل به إلى اليوم. كما يحتفل العالم كله **ببداية العام الجديد**، مستبشراً متفائلاً بأن يحمل له السلام والتقدم. وتحتفل الدول **بعيد تأسيسها**، و**عيد استقلالها** الذي حصلت فيه على حريتها من المحتل، أو **عيد النصر** على عدو معتد. كما يحتفل العالم بذكرى من ضّحوا من أجل السلام، أو منع التمييز بين البشر، أو من كرسّوا حياتهم لخدمة المرضى والفقراء.

من ناحية أخرى، فقد شكّلت الأعياد[1] في كل الأديان عنصراً جوهرياً من أركان العبادة. ولما عيّن الرب نسل إبراهيم وشعب إسرائيل ليأتي منه المسيح المخلص في ملء الزمان، أعطاهم وصاياه العشر على يد موسى، والتي تضمنت الوصية الرابعة منها **تقديس السبت** (خر٢٠: ٨، ٣١: ١٤-١٧، لا٢٣: ٣)، اليوم السابع، الذي باركه الله وقدّسه، واستراح فيه بعد خلقة العالم (تك٢: ١-٣). فكان **السبت** هو باكورة الأعياد اليهودية حيث يكف فيه اليهودي عن الأعمال الجسدية متفرغاً للعبادة. وبعده تم تخصيص أيام للاحتفاء بأحداث بعينها خلال مسيرة إسرائيل مع الله.

■ عن أعياد العهد القديم :

هكذا جاءت **الأعياد اليهودية**، التي لم تُدرك أبعادها الأعمق و لم تُكشف غاياتها الكاملة إلا في المسيح بصلبه وموته وقيامته. والرب هو الذي حدّد أعياد إسرائيل كمحافل مقدسة نسبها إلى نفسه **"تعيّدونه عيداً للرب"** (خر١٢: ١٤)، **"هذه مواسم الرب"** (لا٢٣: ٢، ٤)، ولتكون أيام فرح وبهجة وعبادة ولتذكر مراحم الله **"بصوت ترنّم وحمد جمهور معيّد"** (مز٤٢: ٤).

والأعياد اليهودية الرئيسية سبعة[2] وهي: **الفصح، والفطير،**

---

(١) الكلمة المقابلة لكلمة **"عيد"** في العبرية: **حاج** hag، وتعني محفل أو احتفال. وهي تُشتق في العربية من الميعاد أو العودة، أي: مناسبة تعود كل سنة، أو ما يعود إليه الإنسان للاحتفال متذكراً مبتهجاً. وهناك في العبرية كلمة **عيد** أيضاً، وتعني شهادة، وهي أقرب إلى ما يقصده العيد في الكنيسة المسيحية، باعتباره إعلان شهادة بالمسيح إلهاً وملكاً ومخلّصاً وديّاناً.

(٢) العدد **سبعة** هو رمز الكمال. **فاليوم السابع** هو إعلان تمام الخلق وراحة الله. وكل **سنة سابعة** كانت تعتبر سنة سبتية، فيبرّئ كل صاحب دين يده مما أقرض به صاحبه، والعبد في سنته السابعة يُطلق حراً إلا لو أراد البقاء (تث١٥: ١، ٢، ١٢، ١٦، ١٧). وسبعة أسابيع سنين (أي ٥٠ سنة) هي يوبيل **"لا تزرعوا ولا تحصدوا زريعها، ولا تقطفوا كرمها، فالرب يبارك في السنة السادسة بما يكفي لثلاث سنوات"** (لا ٢٥: ١١، ١٢).

والباكورة، والأسابيع (الخمسين أو الحصاد)، والأبواق، والكفارة، والمظال[٣]. وأهمها ثلاثة: **الفطير** (المرتبط بالفصح)؛ في الربيع، **والأسابيع**، في الصيف، **والمظال**، في الخريف. ويمتد الاحتفال بكل منها أسبوعاً كاملاً (خر٢٣: ١٤-١٧، ٣٤: ١٨-٢٣، تث١٦: ١٦).

وضمن الأعياد السبعة: فالثلاثة الأولى تأتي متتالية في الشهر الأول من السنة، والثلاثة الأخيرة تأتي متتابعة في الشهر السابع، وعيد الأسابيع يتوسط السبعة.

(١) عيد الفصح :

تُفتتح دورة أعياد اليهود بعيد **الفصح** (خر ١٢: ٢٨، لا ٢٣: ٥، عد٢٨: ١٦، تث١٦: ١). **وفصح** تشتق من الكلمة العبرية بيصاح Pesah، وبالآرامية واليونانية **بصخا** Pascha أي **عبور**، إشارة إلى عبور الإسرائيليين البحر الأحمر (خر١٤: ٢٢) بعد أن أكلوا خروف الفصح. ويقع عيد الفصح في الرابع عشر من الشهر الأول من السنة العبرية (أبيب أو نيسان – خر١٣: ٤). ويستعيد الإسرائيليون في العيد طقوس الفصح التي مارسها أسلافهم من ذبح خروف صحيح ذكر ويأكلون لحمه مشوياً بالنار

---

(٣) هناك أعياد أخرى تأتي في مرتبة تالية، مثل **"عيد التجديد" (أو التدشين)** (يو١٠: ٢٢)، (بالعبرية **هانوكا** Hanukkah، وباليونانية Enkainia) في الشهر التاسع كسلو- الذي يقابل الأشهر الآرامية أيلول/ تشرين أول - سنة ١٦٤ ق.م، تذكاراً لاستعادة الهيكل وتطهيره (أي تجديده) على يد **يهوذا المكابي**، عندما انتصر المكابيون على **أنطيوخس الرابع** الملقب **ابيفانس** (١٧٥-١٦٤ق.م) (١مكا ٤: ٣٦-٥٩) الذي كان قد اقتحم هيكل أورشليم، قبل ثلاث سنوات، ونهب ذخائره ودنس مذبح المحرقات بذبائح الأوثان (رجسة الخراب – ١مكا ٦: ٧، دا٩: ٢٧، مت ٢٤: ١٥). ويسمى هذا العيد أيضاً **عيد الأنوار** حيث تضاء المنارة ذات الشعب الثماني، وتضاء الشعبة الثامنة في اليوم الأخير، تذكاراً لعمود النور الذي كان يقود شعب إسرائيل في البرية ليلاً.
وهناك أيضاً **عيد البوريم** Purim (أو الفوريم) أيام **الملكة استير والملك أحشويرش** ملك فارس (أس٧: ١٠، ٩: ٢٢، ٢٦- ٢٨) والذي أسسه **مردخاي** ابن عم أستير لذكرى الخلاص من **هامان** مدبّر المؤامرة لإهلاك اليهود، فمات على الصليب الذي كان قد أعدّه لمردخاي. ويحتفل به يومي ١٤، ١٥ آذار (مارس) قبل عيد الفصح.

مع فطير وأعشاب مرة دون أن يكسروا عظامه **"ويكون لكم هذا اليوم تذكاراً فتعيدونه عيداً للرب. في أجيالكم تعيّدونه فريضةأبدية... هى ليلة تُحفظ للرب لإخراجه إياهم من أرض مصر"** (خر١٢: ١٤، ٤٢).

وخروف الفصح يجد صداه في **ذبيحة الصليب** التى تمت في نفس يوم الفصح بحسب الترتيب الإلهي المُحكم. وإذا كان بدم الخروف على أبواب بيوت العبرانيين تمت نجاتهم من الهلاك (خر١٢: ٣)، فإنه بدم المسيح كان الخلاص الأبدي لكل من يؤمن (وسنعود إلى ذلك لاحقاً بتفصيل).

(٢) عيد الفطير :

يرتبط **عيد الفطير** ارتباطاً وثيقاً **بعيد الفصح**، باقترانه أيضاً بخروج بنى إسرائيل من مصر. ويُحتفل به في اليوم التالي **لعيد الفصح** (١٥ نيسان)، ويستمر، كما ذكرنا، لسبعة أيام (خر١٣: ٦، ٢٣: ١٥، لا ٢٣: ٦، عد ٢٨: ١٧، ٢ أي ٣٠: ٢١، عز ٦: ٢٢، مت ٢٦: ١٧). ويكاد يكون الاثنان عيداً واحداً[٤]، حتى أن الأمر الإلهي بهما يأتي متضّمناً الاثنين متتالين ومتداخلين (تث١٦: ١- ٨).

والفطير وهو الخبز غير المختمر، هو ما أكله بنى إسرائيل مع الفصح يوم خروجهم المتعجّل من مصر. فلم يكن هناك ما يسمح من الوقت ليختمر العجين. ومكتوب أن الشعب حمل **"عجينهم قبل أن يختمر، ومعاجنهم مصرورة في ثيابهم على أكتافهم"** (خر١٢: ٣٤) حتى أنه سُمّي **"خبز المشقَة"** (تث١٦: ٣) بما أحاط به من ذعر واضطراب وعجلة.

ويُقدَّم في كل يوم من أيامه السبعة محرقة: ثوران وكبش وسبعة خراف مع دقيق ملتوت بالزيت، وتيس ذبيحة خطية للتكفير (عد٢٨: ١٨-٢٥).

---

(٤) وإن كان يغلب عليه اسم **عيد الفطير "قُرب عيد الفطير الذي يقال له الفصح"** (لو٢٢: ١).

(٣) عيد الباكورة:

أو عيد **أول الثمار**، ويلي **عيد الفطير** مباشرة. وقد أمر الرب الشعب، عند بلوغهم الأرض التي أعطاهم إياها، فزرعوها وحصدوا حصيدها، أن يأتوا بأول حصيد الشعير إلى الكاهن مُقرّين بعمل الرب العظيم معهم: **"فيردّد الحزمة أمام الرب للرضا عنكم في غد السبت** (الأحد)" ويقدموا خروفاً محرقة، ومن نتاج الأرض، ودقيقاً ملتوتاً بزيت وقوداً للرب وخمراً وخبزاً وفريكاً، وتيساً للتكفير (لا٢٣: ١-١٤، عد ٢٨: ٢٦-٣١).

وعيد الباكورة هو شهادة على كمال عمل الرب بدخولهم أرض الميعاد واستقرارهم حتى أعطت الأرض ثمرها، فيقدمونها للرب شكراً وعرفاناً (تث٢٦: ١-١١). ولأن الكاهن يردد الحزمة في غد السبت، أي يوم الأحد، فهذا العيد يشير إلى قيامة المسيح يوم الأحد باعتباره باكورة الراقدين القائمين من الموت إلى حياة دائمة (١كو١٥: ٢٠) وكل المؤمنين في القيامة يأخذون مثله جسداً مُمَجداً لا يفنى (١كو١٥: ٤٢-٤٩).

(٤) عيد الأسابيع :

عيد الأسابيع (خر ٣٤: ٢٢، تث١٦: ٩) هو ثاني أهم الأعياد اليهودية (مع **الفطير** (والفصح) **والمظال**) (تث١٦: ١٦، ٢أي ٨: ١٣) **"وتعمل عيد أسابيع للرب إلهك أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوي الذي في أبوابك والغريب واليتيم والأرملة الذين في وسطك.. وتذكّر أنك كنت عبداً في مصر.."** (تث١٦: ١٠-١٢).

وهو يأتي بعد سبعة أسابيع من **عيد الباكورة**، أي في الصيف. وفيما بعد عرف **بعيد الخمسين** (باليونانية Pentecost) للاحتفال به في اليوم

الخمسين بعد عيد الباكورة، وقد ربطت اليهودية المتأخرة عيد الأسابيع باستلام الشريعة في سيناء كاحتفال سنوي بهذه المناسبة.

ويسمى هذا العيد أيضاً **عيد الحصاد** لأنه كان يُقدّم فيه **"أبكار غلاتك التي ترزع في الحقل"** (خر٢٣: ١٦) **"من أبكار حصاد الحنطة"** (خر٣٤: ٢٢). وكان يقدم أيضاً أول رغيفين بخمير باكورة للرب (لا٢٣: ١٥) ومعهما سبعة خراف صحيحة حولية وثور وكبشين محرقة للرب، وتيس من الماعز كذبيحة خطية، وخروفان حوليّان كذبيحة سلامة (لا٢٣: ١٧-٢٠).

(٥) عيد الأبواق :

يحتفل **بعيد الأبواق** في اليوم الأول من الشهر السابع من السنة (أيلول/ تشرين أول -آرامي) مع بدء الخريف **"يكون لكم عطلة تذكار هتاف البوق بحفل مقدس"** (لا٢٣: ٢٤، عد٢٩: ١) **"وتعملون محرقة لرائحة سرور الرب ثوراً واحداً... وكبشاً واحداً وسبعة خراف حولية صحيحة وتقدمتهن من دقيق ملتوت بزيت... وتيساً واحداً من المعز ذبيحة خطية للتكفير عنكم، فضلاً عن محرقة الشهر وتقدمتها والمحرقة الدائمة وتقدمتها مع سكائبهن كعادتهن رائحة سرور وقوداً للرب"** (عد٢٩: ٢-٦).

وكان الهتاف بالبوق كأمر الرب هو لمناداة الجماعة للتأهب بحسب المناسبة: حرب، ارتحال، فرح، أعياد، رؤوس الشهور أو بداية السنة أو الإعلان عن أمر(٥). وقد يكتفى بضرب الأبواق أو يكون مصحوباً بالهتاف (عد١٠: ١-١٠). وقد عرفنا عن استخدام الأبواق في التسبيح (مز ١٥٠: ٣).

---

(٥) والرب ذكر التصويت بالبوق الذي يلجأ إليه المراؤون للإعلان عن صدقتهم لكي يمجَّدوا من الناس (مت٦: ٢).

والرب وهو يتكلم عن علامات الساعة الأخيرة يقول أنه **"يرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها"** (مت٢٤: ٣١). ويكتب القديس بولس **"لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً"** (١تس ٤: ١٦).

وفي سفر الرؤيا، فالأبواق في أيدي الملائكة السبعة (رؤ ٨: ٢)، وعندما يبوّق كل منهم تقع أحداث رهيبة. ولما بوّق الملاك السابع هتفت أصوات عظيمة في السماء قائلة **"قد صارت ممالك العالم لربنا ومسيحه فسيملك إلى أبد الآبدين". فعيد الأبواق** هو رمز للمجيء الثاني للرب للخلاص الأخير (عب٩: ٢٨، ١بط ١: ٥).

(٦) عيد الكفّارة[٦]:

وبالعبرية **يوم كيبور** Yom Kippur[٧]، ويقع في اليوم العاشر من الشهر السابع (سبتمبر/ أكتوبر ميلادي)، أي بعد عشرة أيام من **عيد الأبواق.** وهو اليوم الوحيد في السنة الذي يدخل فيه رئيس الكهنة إلى قدس الأقداس (الذي يرمز إلى السماء) للتكفير عن خطاياه وعن خطايا الشعب.

ويستعد رئيس الكهنة لهذا اليوم استعداداً غير عادي فيما يتعلّق بطهارته الجسدية وبملابسه من الكتان التي سيدخل بها إلى قدس الأقداس. وتكفيراً عن خطاياه وخطايا بيته وكهنته يقدم ثوراً كذبيحة خطية وكبشاً واحداً وسبعة

---

(٦) يذكر التقليد اليهودي أن **يوم الكفارة** يوافق اليوم الذي أخطأ فيه آدم، ويوم ختان إبراهيم، واليوم الذي عاد فيه موسى من الجبل وكفّر عن خطية الشعب بعد عبادته للعجل الذهبي.

(٧) **يوم كيبور** كان موافقاً السادس من أكتوبر سنة ١٩٧٣ عندما نشبت حرب أكتوبر مع دولة إسرائيل الحالية.

خراف كمحرقة للرب رائحة سرور مع تقدمة من دقيق ملتوت بزيت. وعن خطايا الشعب يقدم تيْسين يقترع على أحدهما ليُذبح ويرش دمه، والثاني **"تيس عزازيل"** يرسل للبرية حاملاً خطايا الشعب (لا ١٦، عد٢٩: ٧-١١).

وملابسات **عيد الكفارة** وطقوسه تتصل اتصالاً مباشراً بعمل المسيح كذبيحة كفارية فريدة حققت فداء أبدياً، مما سيتم تناوله لاحقاً.

(٧) عيد المظال :

وبالعبرية **هاسوكوت** Hassukkôt. **وعيد المظال** Tabernacles هو ثالث الأعياد السنوية الكبرى (مع الفطير والخمسين) والتي يحتفل بكل منها أسبوعاً. كما أنه العيد الثالث الذي يقع في نفس الشهر السابع في اليوم الخامس عشر منه حيث يكون القمر متألقاً.

وخلال أيام العيد السبعة يقيم الإسرائيليون في مظال مصنوعة من أغصان الشجر الخضراء كثيفة الأوراق، تذكاراً للأيام التي كانوا يقيمون خلالها في أكواخ Booths من سعف النخيل خلال ارتحالهم لأربعين سنة في سيناء بعد خروجهم من مصر: **"تعيّدونه عيداً للرب سبعة أيام في السنة فريضة دهرية في أجيالكم. في الشهر السابع تعيّدونه. في مظال تسكنون سبعة أيام... لكي تعلم أجيالكم التي في مظال أسكنت بني إسرائيل لما أخرجتهم من أرض مصر. أنا الرب إلهكم"** (لا٢٣: ٤١-٤٣).

وعيد المظال هو أكثر المواسم بهجة بين أعياد بني إسرائيل **"تفرحون أمام الرب إلهكم سبعة أيام"** (لا٢٣: ٤٠) في آخر السنة الدينية، لأنه يأتي بعد جمع المحاصيل (خاصة الشعير والحنطة) والثمار (خاصة الكروم والزيتون)، ووضعها في الأهراء والبيادر والمعاصر، وانتظار المطر المتأخر

لإعداد الأرض لمحصول جديد. ومن هنا فهو يسمى أيضاً **عيد الجمع أو القطاف** Ingathering **"وعيد الجمع في نهاية السنة عندما تجمع غلاّتك من الحقل"** (خر٢٣: ١٦، ٣٤: ٢٢)، **"عندما تجمع من بيدرك ومن معصرتك... لأن الرب يباركك في كل محصولك. في كل عمل يديك فلا تكون إلا فرحاً"** (تث١٦: ١٣-١٥).

وفي كل يوم من الأيام السبعة تقدم محركات وذبائح خطية: ثلاثة عشر نوراً وكبشين وأربعة عشر خروفاً حولياً مع تقدمة الدقيق الملتوت بالزيت، وتيساً من المعز. ومع كل يوم من الأيام التالية يقل عدد الثيران المقدمة واحداً حتى يصل عددها في اليوم السابع إلى سبعة ثيران. ويكون اليوم الثامن محفل مقدس ويوم اعتكاف (لا٢٣: ٣٦، عد ٢٩: ١٣-١٦، ٣٢-٣٥).

■ تراجُع الجانب الروحي للأعياد اليهودية :

ظل الإسرائيليون على التزامهم بالاحتفال بأعيادهم. على أنه مع الاعتياد، بمرور السنين، أخذ معظمهم في الانحراف عن القصد الإلهي من الأعياد، وفترت المحبة الأولى، وصار التركيز على الجوانب الطقسية الخارجية (وإن كانت بالفعل تشكّل عنصراً أساسياً) مع تباعد القلب عن الله[٨].

وسجّلت كتب الأنبياء عدم رضا الرب على عبادة إسرائيل الباطلة، وتحول أعيادهم إلى احتفالات شعبية ميتة: **"هذا الشعب قد اقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني"** (إش٢٩: ١٣)؛

---

(٨) ومعروف أن **الملك سليمان** ابن داود (الذي تراءى له الرب مرتين) أمالت قلبه النساء الغريبات وراء آلهة أخرى، وعمل الشر في عيني الرب الذي عاقبه بتمزيق مملكته إلى اثنتين (١مل ١١). وصار عبده **يربعام** ملكاً على إسرائيل ذات الأسباط العشرة، ووضع عجلين من الذهب في بيت إيل وفي دان آلهة بديلة، وصيّر كهنة من غير اللاويين، بل أنه ابتدع عيداً في الشهر الثامن في اليوم الخامس عشر (مقابل عيد المظال) (١مل ١٢).

"رؤوس شهوركم وأعيادكم بغضتها نفسي. صارت عليّ ثقلاً. مللت حملها" (إش١: ١٤)؛

"وأُبطل كل أفراح أعيادها. ورؤوس شهورها وسبوتها وجميع مواسمها" (هو٢: ١١)؛

"بغضتُ، كرهتُ أعيادكم ولست ألتذّ باعتكافكم. إني إذا قدمتم لي محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضي، وذبائح السلامة من مسمنّاتكم لا ألتفت إليها... وأحوّل أعيادكم نوحاً وجميع أغانيكم مراثي" (عا ٥: ٢١، ٢٢، ٨: ١١).

فالأعياد كانت فرصة بهيجة للقاء مع الله، وتذكّر رفقته وانقاذه وعطاياه كل الأيام، ولكنها لما فقدت روحها وصارت أداءً دورياً آلياً أُسْتبعد الله منه و لم يبق فيه إلا الشكل، فقدت أيضاً رضا الله.

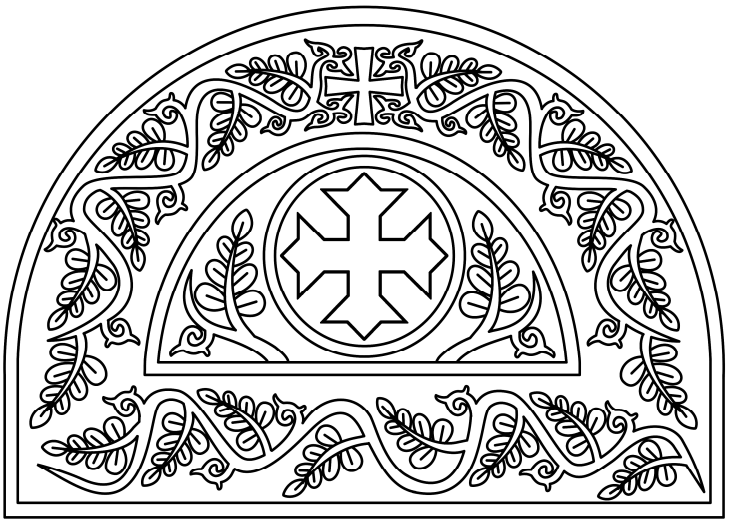

المسيح والأعياد اليهودية

يسجل الكتاب أن مريم ويوسف كانا **"يذهبان كل سنة إلى أورشليم في عيد الفصح. ولما كانت له** (أي للمسيح)، **اثنتا عشر سنة صعدوا إلى أورشليم كعادة العيد. وبعدما أكملوا الأيام..."** (لو٢: ٤١-٤٣). أي أن المسيح وهو بعد صبي كان يذهب مع أمه ويوسف التقيين إلى أورشليم في عيد الفصح (والفطير) ويقضون هناك أيام العيد الثمانية. والرب لم يكن مجرد يهودي ملتزم يحتفل بالأعياد (يو٤: ٤٥، ٥: ١، ٧: ١٠، ١٢: ١٢)، ولكنه كان مؤسسها ومحورها. ومن هنا كان يعلّم في الهيكل في أثنائها (منذ أن كان صبياً – لو٢: ٤٦، ٤٧) قاصداً أن يكشف معانيها الأعمق وأبعادها الخافية التي تتحقق في الإيمان به باعتباره المسيا مخلص العالم (مت١: ٢١).

كان المسيح يتكلم كمن له سلطان، كمرسل الأنبياء، صاحب الوصايا ورب البيت:

+ فهو يعلن ابتداءً أنه لم يأت لينقض الناموس والأنبياء (فهو لم يكن غريباً عنهما) وإنما ليكملهما ويحقق أهدافهما، ويقدم **"عهداً جديداً، ليس كالعهد الذي قطعته مع آبائهم يوم أمسكتهم بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدي فرفضتهم... بل هذا هو العهد... أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم وأكون لهم إلهاً وهم يكونون لي شعباً"** (إر٣١: ٣١-٣٣، عب٨: ٨-١٠، ١٠: ١٦، ١٧).

+ كما أدان رياء العبادة التي غلبت عليها المظاهر (مت٦: ٢، ٥، ١٦)، ومحبة المال واكتنازه (مت٦: ١٩، ٢٤) والحياة المادية (مت ٦: ٢٥).

+ وهو تعمّد أن يصنع بعض معجزاته في السبت[١] الذي تحول على أيدي اليهود الشكليين إلى يوم سلبي لا روح فيه، حيث يحرصون على وزن ما يحملون والمسافة التي يقطعونها، تاركين طاعة الوصايا بروحها. وكثيراً ما آخَذوا الرب على مواقفه، ولكنه جّدد مفهوم السبت بتكريسه لله بعمل الخير (مت١٢: ١٢) والتعامل مع وصية الله بروحها لا بظاهرها. والذي كان يتكلم هنا هو **"رب السبت"** (مت١٢: ١٨، لو٦: ٥)، ومن هو **"أعظم من الهيكل"** (مت١٢: ٦)، ولا ترضيه العبادة الشكلية، فهو إنما يريد **"رحمة لا ذبيحة"** (هو٦: ٦، مت٩: ١٣، ١٢: ٧، ٨).

+ ولما انتقد الكتبة والفريسيون تلاميذه **"أنهم لا يغسلون أيديهم حين يأكلون خبزاً"** وصفهم بالرياء، واستعاد نبوة إشعياء عن ديانتهم الباطلة إذ يرددون الكلام بالشفاة ولكن القلب مبتعد عن الله بعيداً، ويتمسكون بتقليد الناس ويتركون وصية الله (إش٢٩: ١٣، مت١٥: ٧-٩، مر٧: ٦-٨). كما قال أيضاً: **"ليس كل من يقول يا رب يارب يدخل ملكوت السموات بل الذي يفعل إرادة أبي الذي في السموات"** (مت٧: ٢١).

---

(١) شفاء مريض بيت حسدا (يو٥: ١-٩)، شفاء المرأة المنحنية (لو١٣: ١٠-١٧)، شفاء رجل به شيطان (لو٤: ٣١-٣٦) وشفاء حماة سمعان (لو٤: ٣٨، ٣٩).

+ والرب شدّد على تصحيح رؤية الفريسيين من جهة النجاسة الخارجية المادية، مبيناً أن ما يدخل الإنسان (طعاماً) لا يقدر أن ينجسه وإنما هو **"الذي يخرج من الإنسان"** سواء في ذلك الكلمات أو الأفكار الشريرة بأنواعها، وهو ما لم يفطنوا إليه (مت١٥: ١١، ١٨: ٢٠، مر٧: ١٨-٢٠).

+ ولما تحوّلت أمور الذبائح من ارتباطها بالتوبة والندم عن الخطية وتقديم الشكر لله، وصار تقديم الذبيحة فعلاً آلياً لا روح فيه، كما صارت الذبائح تجارة رابحة وانقلب هيكل الله إلى سوق للبيع والشراء، هنا تصاعدت غيرة الرب، وطرد باعة الغنم والبقر والحمام وقلب موائد الصيارفة[٢] وهو يقول **"مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى** (لكل الشعوب/ الأمم) **وأنتم جعلتموه مغارة لصوص"** (إش٥٦: ٧، إر٧: ١١، مت٢١: ١٢، ١٣، مر١١: ١٥-١٧، لو١٩: ٤٥، ٤٦، يو٢: ١٤-١٧). ساعتها تذكّر تلاميذه المكتوب **"غيرة بيتك أكلتني"** (مز٦٩: ٩).

+ وهو صبّ الويلات على معلمي الناموس، الذين وصفهم بالقادة الجهال والعميان الذين يقولون ولا يفعلون (مت١٥: ١٤، ٢٣: ١٩)، وأنهم كالقبور المبيّضة من خارج ومن داخل مملؤة عظام أموات، وذلك لمسئوليتهم عن تضليل الشعب وقيادتهم إلى الهلاك (مت٢٣: ١٣-٣٥). وقال في رفضهم مثَل **"الكرامين الأردياء"** (مت٢١: ٣٣- ٤٥، مر١٢: ١-١٢، لو٢٠: ٩- ١٩).

+ والرب بيّن أنه ليس عند الله محاباة قائلاً للذين يظنون أنهم أبرّ من غيرهم **"إن لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون"** (لو١٣: ٣، ٥)، وأكّد

---

(٢) وكان إخراج الرب للبقر والغنم من الهيكل إعلاناً ضمنياً مسبقاً على انتهاء دور الذبائح اليهودية التي استحال بالأكثر تقديمها بخراب هيكل أورشليم وحتى اليوم.

على أن الله هو رب الكل. وهو واجه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب بالقول أن كثيرين من الأمم، بل والعشارين والزواني يسبقونهم إلى ملكوت الله" (مت٨: ١١، ٢١: ٢١). والرب قبل إيمان قائد المئة الروماني (مت٨: ٥-١٠، لو٧: ٢-١٠) والمرأة الكنعانية (مت١٥: ٢١- ٢٨، مر٧: ٢٤-٣٠) والسامرية وأهلها الغرباء (يو٤: ٢٩، ٣٩-٤٣) مبيناً أنه قد جاء للجميع.

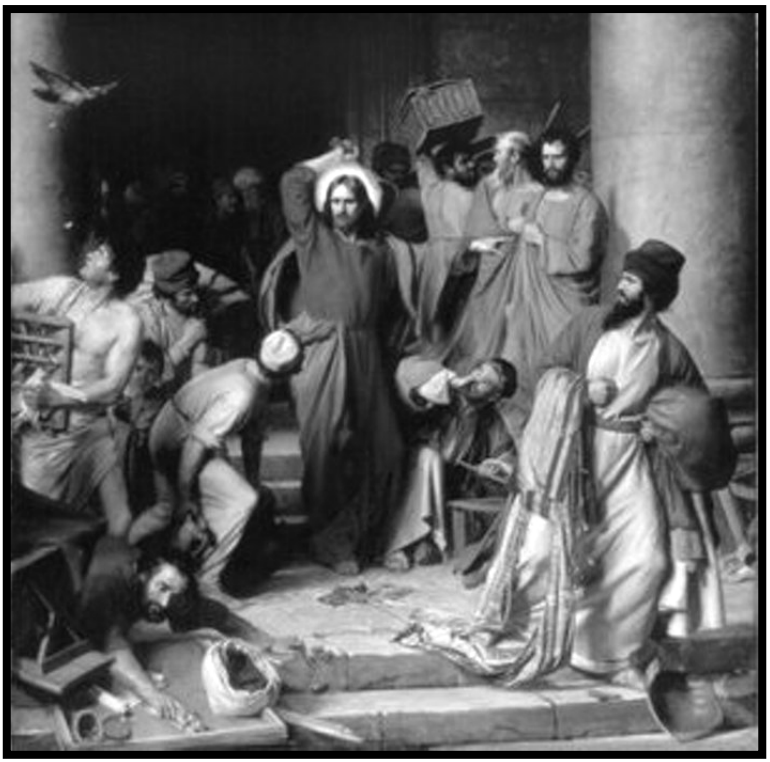

"مكتوب بيتي بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص"

الأعياد اليهودية في نور العهد الجديد

لم تكشف الأعياد اليهودية في وقتها غير بُعدها الظاهر المرتبط بالأحداث التي مر بها الشعب اليهودي وممارساتهم الأرضية. فخروجهم من أرض مصر وعبورهم البحر الأحمر بتدخل إلهي مبهر، ورعاية الله لهم خلال مسيرتهم في برية سيناء لأربعة عقود، أفرز أعياد الفصح والفطير والمظال والأبواق والكفارة، وارتبط عيدا الباكورة والحصاد (الأسابيع أو الخمسين) ببركات الأرض ووفرة غلاتها. وكلها تقصد تقديم الشكر له وطلب الغفران وتذكّر أعمال الله ومراحمه.

ولكننا نلمح في نبوات الأنبياء ما يكشف عن الآفاق البعيدة لهذه الأعياد. وأنه بمجيء الرب في الجسد يظهر ما كان محتجباً وتكتمل أبعادها المتوارية التي لم يدركها إسرائيل.

وقد شارك الرب في كل الأعياد، فكان بتعليمه وممارساته، وما جازه في النهاية من آلام وموت وقيامة، النور الذي سُلّط عليها، ففسّر ما أحاط بتأسيسها من ملابسات وما حوته من رموز.

(١) بين خروف الفصح وذبيحة المسيح:

تتعدد أوجه الشبه بين خروف الفصح وذبيحة الصليب[١]. فبحسب أمر الرب يكون خروف الفصح **"شاة صحيحة ذكراً ابن سنة** (أي فتيًّا لم يشخ)" (خر١٢: ٥). ومكتوب عن المسيح **"كشاة تساق إلى الذبح.. فلم يفتح فاه"** (إش٥٣: ٧). ويوحنا المعمدان، الملاك المُرسل كي يهيئ الطريق قدام الرب (مل٣: ١، مر١: ٢) لما نظر يسوع مقبلاً إليه قال: **"هوذا حمل الله** (الحقيقي) **الذي يرفع خطية العالم"** (يو١: ٢٩). وكتب عنه القديس بطرس في رسالته الأولى **"عالمين أنكم أقتديتم لا بأشياء تفنى... من سيرتكم الباطلة... بل بدم كريم كما من حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح"** (١بط ١: ١٨، ١٩).

فالرب هو الذي يرمز خروف الفصح إلى ذبيحته. فالمسيح ابن الله كان بلا عيب، وهو القائل **"من منكم يبكتني على خطية"** (يو٨: ٤٦)، وهو **"الذي لم يعرف خطية"** (٢كو٥: ٢١). وهو بعدُ شاب في مقتبل عمره، سيق موثقاً إلى المحاكمة (لو٢٢: ٥٤، يو١٨: ١٢) وحمل صليبه (يو١٩: ١٧) الذي سُمّر إليه.

وبحسب أمر الله، كان على الخروف أن يبقى تحت الحفظ من اليوم العاشر إلى الرابع عشر من الشهر ثم يذبح. ومعروف أن المسيح دخل أورشليم في اليوم العاشر في موكب حافل، وظل يأتي نهار كل يوم إلى الهيكل يعلّم (لو١٩: ٤٧، ٢٠: ١، ٢١: ٣٧). وكان يبيت في بيت عنيا (مت٢١: ١٧، مر١١: ١١) أو في جبل الزيتون (لو٢١: ٣٧). واحتفل بالفصح مع تلاميذه ليلة الجمعة (مساء الخميس حيث يبدأ الفصح)، وتم صلبه ظهر الجمعة في ذات نهار عيد الفصح، وهو الحدث الذي جعلته السماء حدثاً كونياً باحتجاب الشمس في رابعة النهارة لثلاث ساعات،

(١) تظل هناك، مع هذا، بعض الفروق الجوهرية نعرض لها عند المقابلة مع ذبيحة الكفارة (ص ٣٠).

فتطابق الرمز مع تحقيقه بحسب الترتيب الإلهي المُحكم (يو١٨: ٢٨، ١٩: ١٣، ١٤).

وكما كان خروف الفصح يؤكل مشوياً بالنار مع فطير على أعشاب مُرّة (خر١٢: ٨)، ودون كسر عظامه (خر١٢: ٤٦، عد ٩: ١٢)، هكذا جاز الرب نار آلام ساحقة. وهو ذاق خلاً ممزوجاً بمرارة قُدّم إليه ولكنه لم يُرد أن يشرب (مت٢٧: ٣٤)، ولكن مرارة العذاب كانت أقسى من أن تُحتمل. وبينما تم كسر سيقان اللصين كي يعجلوا بموتهما، لم يكسروا ساقي المسيح **"لأنهم رأوه قد مات"** (مز٣٤: ٢٠، يو١٩: ٣٢، ٣٣، ٣٦). وقد أنزل المسيح من على الصليب بعد الساعة التاسعة من يوم الجمعة، وهو ما كان مطلوباً أيضاً من الإسرائيليين ألا يُبقوا من خروف الفصح إلى الصباح (خر١٢: ١٠).

وإذا كان بدم خروف الفصح على أبواب بيوت العبرانيين نجاتهم من الملاك المهلك الذي أمات أبكار المصريين (خر١٢: ١٣)، فهكذا كان بدم المسيح المصلوب، فصحنا الجديد، غفران الخطايا وخلاص المؤمنين من الموت الأبدي **"لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذبح لأجلنا"** (١كو٥: ٧)؛ **"إذ محا الصك الذي علينا في الفرائض، الذي كان ضدّاً لنا، وقد رفعه من الوسط مسمّراً إياه بالصليب"** (كو٢: ١٤)؛ **"ورأيت فإذا في وسط العرش.. خروف قائم كأنه مذبوح"** (رؤ٥: ٦)؛ **"وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين: مستحق أنت أن تأخذ السفر وتفتح ختومه لأنك ذُبحت واشتريتنا لله بدمك من كل قبيلة ولسان وشعب وأمة"** (رؤ٥: ٩).

على أن احتفال المسيح بالفصح القديم لم يقف عن أكل الفصح ليل الخميس، وإنما أسس الرب على نفس المائدة **سر الشركة والشكر**، واستبق به أحداث الصليب، وقدم جسده ودمه إلى تلاميذه، الذي دخل به

نهار الجمعة إلى الأقداس فصنع فداء أبدياً، ولكي يظل حاضراً في كنيسته كل يوم عيداً متجدداً ممتداً إلى مجيئه الثاني، حين نشربه جديداً في ملكوت أبيه (مت٢٦: ٢٩). هكذا صارت ذبيحةُ الإفخارستيا الفصح الجديد الذي نأكله بديلاً عن الفصح القديم، والدمُ الذي خضّب العتبة العليا والقائمتين نشرب مقابله دم العهد الجديد الذي يطهرنا من كل خطية، ويثبّت الرب فينا ونحن فيه وامتدت أبعاد الفصح الجديد، ففي كل مرة نأكل جسد الرب ونشرب دمه نحن نبشر بموته، ونعترف بقيامته، ونحفظ ذكره إلى أن يجئ في اليوم الأخير.

وكما كان غير مسموح للغريب أو النجس أو الأغلف أن يأكل من الفصح (خر١٢: ٤٣، ٤٨)، فكذلك لا تسمح الكنيسة لغير المعتمد أو المستهتر أن يتقدم إلى مائدة الإفخارستيا: **"إذاً أيُّ من أكل هذا الخبز أو شرب كأس الرب بدون استحقاق يكون مجرماً في جسد الرب ودمه... يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مُميز جسد الرب"** (١كو١١: ٢٧، ٢٩).

(٢) المسيح وعيد الفطير:

معروف أن الخمير يرمز إلى الخطية، وبالتالي فالفطير يرمز إلى النقاوة والتجرد من الفساد. ومع بدء عيد الفطير في اليوم التالي للفصح كان المسيح في القبر، ويترتب عليه أنه لم يحتفل بعيد الفطير ذي الأيام السبعة. ولكن واقع الأمر أن المسيح كان الفطير الحقيقي **"الذي لم يفعل خطية ولا وُجد في فمه مكر... الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر"** (١بط ٢: ٢٢، ٢٤). وهو لأجل بره صار مؤهلاً أن يحمل خطايا الكثيرين ويشفع في المذنبين (إش٥٣: ١٢)، بل أنه جُعل **"خطية لأجلنا لنصير نحن بر الله فيه"** (٢كو٥: ٢١).

وفي تعليم العهد الجديد ارتبط الخمير بالرياء والشر[٢] **"انظروا وتحرزوا لأنفسكم من خمير الفريسيين الذي هو الرياء"** (مت١٦: ٦، ١٢، مر٨: ١٥، لو١٢: ١). ويكتب القديس بولس في هذا الصدد **"إذاً نقّوا منكم الخميرة العتيقة لكي تكونوا عجيناً جديداً كما أنتم فطير. لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا. إذاً لنعيّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق"** (١كو٥: ٧، ٨). فالفطير لا يرمز فقط إلى شخص الرب وإنما أيضاً إلى كل مؤمن اعتمد لموت المسيح وتحرر من أسر الخطية.

(٣) المسيح وعيد الأسابيع :

عيد الأسابيع أو **الخمسين** (خر٣٤: ٢٢، لا٢٣: ١٥-٢٠، تث١٦: ٩-١٢)، الذي يقع في فصل الصيف، هو واحد من الأعياد اليهودية الثلاثة الكبرى (تث١٦: ١٦) ويتوسّط الاثنين الآخرين: **عيد الفصح (والفطير)** في الربيع، **وعيد المظال** في الخريف.

وهو يرتبط **كعيد الباكورة** (الذي يأتي بعده بسبعة أسابيع، ومن هنا أخذ اسمه الآخر **عيد الخمسين** أو **العنصرة** Pentecost) بثمار الأرض، وتقديم الشعب أبكار حصاد غلاّت الحقل (الشعير في عيد الباكورة والحنطة في عيد الأسابيع)، ولهذا فهو يعرف أيضاً **بعيد الحصاد** (خر٢٣: ١٦، ٣٤: ٣٢)، إضافة إلى الذبائح التي كانت تقدم كمحرقة للرب، وذبيحة خطية وذبيحة سلامة، متذكرين انفلاتهم من عبوديتهم واستلام الشريعة في سيناء. ولكن يلفت انتباهنا أيضاً أمر الرب بتقديم **أول رغيفي قمح** مختمرين باكورة للرب (لا٢٣: ١٥).

---

(٢) من هنا فإن **قربانة الحمل** في سر الإفخارستيا في كنيستنا تكون من خبز مختمر، لأن الرب حمل خطايانا في جسده (عب٩: ٢٨). وبدخول الخبز المعجون في التنوّر (الذي يرمز إلى آلام الرب) فإن الخميرة (أي خطايانا) تحترق وتسقط، وتنضج القربانة لتصير فطيراً نقياً بعد أن سمّر الرب خطايانا بالصليب (كو٢: ١٤) واغتسل كل مؤمن تائب بالدم الكريم.

والحقيقة أنه كان يمكن أن يظل **عيد الخمسين** مقتصراً على أبعاده هذه، لولا أن الترتيب الإلهى قصد أن يقترن هذا العيد **بيوم حلول الروح القدس** الذي وعد الرب تلاميذه بإرساله لهم (يو١٤: ١٦، ١٥: ٢٦) لبدء الكرازة للعالم (لو٢٤: ٤٩، أع١: ٤، ٨).

ولأنه كان **لعيد الخمسين** قدرَه عند اليهود الأتقياء، فكان يجتمع في أورشليم في أيامه الآلاف **"من كل أمة تحت السماء"** (أع٢: ٥). والرب استدعاهم هذه المرة ليكونوا شهود الحدث الكوني بحلول الروح القدس بصورته غير المسبوقة مصحوباً بصوت **"هبوب ريح عاصفة"**، وظهرت ألسنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد من جماعة الرب **"وابتدأ يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"** (أع٢: ١-٤).

ومع الدهشة والحيرة والتساؤل، وقف **بطرس** مع الأحد عشر وسط الجموع وابتدأ كرازته الأولى مستعيداً نبوة **يوئيل** بحلول الروح القدس على كل بشر (يؤ٢: ٢٨-٣٠)، ثم مبشّراً بخلاص المسيح الذي مات لأجل الجميع وقام **"ناقضاً أوجاع الموت"** (أع٢: ٢٤) ومستشهداً بنبوءات **داود** عنه (مز١٦: ٨، ١٠، ١١٠: ١). وإذ رأوا ألسنة النار وسمعوا البشارة كل واحد بلغته التى ولد فيها (أع٢: ٨) **"نُخسوا في قلوبهم.. قبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس"** (أع٢: ٤١) كانوا نقطة انطلاق الإيمان إلى أقصى الأرض.

وإذ يوحّد الروح القدس الجميع يهوداً وأمماً، ينكشف مغزى **رغيفي القمح** اللذين كانا ضمن تقدمات عيد الخمسين، إذ كانا يمثلاّن **اليهود والأمم** يأتون بخميرهم، أي بخطاياهم، فيغتسلون في الدم الكريم ليصيروا رغيفاً واحداً، جسداً واحداً، عجيناً جديداً كأنهم فطير (١كو٥: ٧، ١٠: ١٧) **"لأننا جميعاً بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد يهوداً كنا أم يونانيين، عبيداً أم أحراراً، وجميعنا سُقينا روحاً واحداً"** (١كو١٢: ١٣، راجع أيضاً غل٣: ٢٧، ٢٨، كو٣: ٩-١١).

من ناحية أخرى، فإن **عيد الحصاد** يأخذ معنى جديداً في نور العهد الجديد. فهو يرمز إلى الحصاد الكامل في نهاية العالم. والرب استخدم تعبير **الحصاد ووقت الحصاد** في مثل **الحنطة والزوان**. وفي تفسير الرب للمثل بيّن أنه هو **زارع الزرع الجيد (الحنطة)** أي **الأبرار** بني الملكوت، **والزوان** هو **بنو الشرير**، **والعدو** الذي زرعه هو **إبليس**، **والحصاد** هو **انقضاء العالم**، **والحصادون** هم **الملائكة**، **وحرق الزوان** يرمز إلى **مصير الأشرار**، بينما **يضيء الأبرار** كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت١٣: ٣٦-٤٣).

(٤) بين ذبيحة الكفارة وذبيحة المسيح:

يقع **عيد الكفارة** (أو يوم كيبور Yom Kippur) ضمن المجموعة الأخيرة من الأعياد اليهودية، وهي ثلاثة: **الأبواق** في اليوم الأول من الشهر السابع، **والكفارة** في اليوم العاشر، **والمظال** في اليوم الخامس عشر.

وذبيحة **عيد الكفارة** (لا١٦، ٢٣، عد٢٦: ٧-١١، عب٩: ٧) يقدمها رئيس الكهنة وحده، عن خطاياه وخطايا الكهنة وكل الشعب، مرة واحدة في السنة، ويدخل بها إلى قدس الأقداس. وهي بهذه الطقوس والملابسات تتصل مباشرة بعمل المسيح الفدائي كذبيحة كفارية فريدة عن العالم كله. والمقابلة بين ما صنعه رئيس الكهنة اللاوي وما صنعه يسوع تفصح عن تدبير إلهي غاية في الإحكام، يكشف عن عظم الفارق بين الرمز المؤقت والحقيقة الأبدية:

+ فالمسيح هو **رئيس كهنة**، ولكنه ليس من سبط لاوي وإنما من **سبط يهوذا "الذي لم يتكلم عنه موسى شيئاً من جهة الكهنوت"**، وعلى رتبة **"ملكي صادق"** ملك البر وملك ساليم (أي ملك السلام) الذي عشّر

له إبراهيم (وبالتالي فإن "لاوي" الذي كان بعد في صُلب إبراهيم قد عشّر أيضاً لملكي صادق وتلقّى منه البركة، ليصير هو الأعظم) (عب٥: ٦، ١٠، ٦: ٢٠، ٧: ١-١٠، ١٤، ١٧، ٢١). وهكذا تنبأ أيضاً داود **"أقسم الرب ولن يندم. أنك أنت كاهن إلى الأبد على رتبة ملكي صادق"** (مز١١٠: ٤).

+ وبينما كان رئيس الكهنة اللاوي يقدم كل سنة ذبيحة كفارة **"أولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب"**، كما أنه خاضع للموت الذي يمنعه من البقاء، فإن المسيح هو **"قدوس بلا شر ولا دنس، قد انفصل عن الخطاة وصار أعلى من السموات"**، وليس له اضطرار أن يكفّر عن خطايا نفسه أو أن يكررّ الذبيحة كل سنة **لأنه فعل هذا مرة واحدة إذ قدم نفسه"** (عب٧: ٢٣، ٢٦، ٢٧). وهو إذ قام حياً صعد إلى السموات وجلس عن يمين أبيه (أف١: ٢٠، كو٣: ١) **"يبقى إلى الأبد له كهنوت لا يزول. فمن ثم يقدر أن يخلّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم"** (عب٧: ٢٤، ٢٥، ١يو٢: ١، ٢).

+ وبينما كانت ذبيحة الكفارة تُقدم في قدس أقداس الهيكل الحجري الذي بناه الناس، فإن المسيح دخل بذبيحة نفسه إلى السماء عينها **"وأما المسيح، وهو قد جاء رئيس كهنة للخيرات العتيدة، فبالمسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد الذي ليس من هذه الخليقة، وليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه، دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً"** (عب٩: ١١، ١٢).

+ كما أن فعل الذبيحة الحيوانية كان آنياً وقاصراً على خطايا السهو[٣]، لكن دم المسيح قادر إلى النهاية أن **"يطهر من كل خطية"** (١يو ١: ٨)، **"لأنه إن كان دم ثيران وتيوس ورماد عجلة مرشوش على المنجّسين يقدس إلى طهارة الجسد، فكم بالحري يكون دم المسيح الذي بروح أزلي قدم نفسه لله بلا عيب يطهر ضمائركم من أعمال ميتة لتخدموا الله الحي"** (عب٩: ١٣، ١٤).

+ كان يُقدم ضمن ذبائح عيد الكفارة **تيْسان** عن خطايا الشعب، يذبح أحدهما **(تيس الخطية)** ويُرَش دمه (لا ١٦: ١٥)، أما الثاني ويسمى **"تيس عزازيل"** فإنه يُرسل إلى البرية (لا١٦: ٢٠-٢٢). ففي ذبح الأول وإطلاق الثاني حياً إشارة صريحة إلى صلب المسيح وموته ثم قيامته حياً، إعلاناً عن قبول ذبيحته وتحقيق الكفارة الفريدة وشمول الخلاص للجميع يهوداً وأمماً (رو١١: ٢٥، ٢٦) **"ولأجل هذا هو وسيط عهد جديد لكي يكون المدعوون، إذ صار موت لفداء التعديات التي في العهد الأول، ينالون وعد الميراث الأبدي"** (عب٩: ١٥).

+ ثم أن المسيح بعد أن بذل نفسه لأجلنا صعد إلى مجده الذي كان له قبل كوْن العالم (يو١٧: ٥) ومنه تفيض النعم على مؤمنيه، وبعمل دمه تغفر خطاياهم، إلى أن يظهر في آخر الأيام لتمجيد قديسيه **"لأن المسيح لم يدخل إلى أقداس مصنوعة بيد أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله** (الآب) **لأجلنا، ولا ليقدم نفسه مراراً كثيرة... ولكنه الآن قد أُظهر مرة واحدة.. ليبطل الخطية بذبيحة نفسه.. سيُظهر ثانية بلا خطية للخلاص** (الأخير) **للذين ينتظرونه"** (عب ٩: ٢٤-٢٦، ٢٨، انظر أيضاً في٣: ٢٠، ١بط١: ٥).

---

(٣) فخطايا العمد لم يكن لها كفارة حسب القول الإلهي لموسى عندما عبد الشعب العجل الذهبي: **"من أخطأ إلي أمحوه من كتابي"** (خر٣٢: ٣٣).

(٥) المسيح وعيد المظال :

صعد يسوع إلى الهيكل في منتصف أيام **عيد المظال** وكان يعلّم. وكان من طقوس عيد المظال أنه في صباح كل يوم من أيامه السبعة، يذهب رئيس الكهنة، يرافقه جمهور كبير إلى بركة سلوام القريبة، ويملأ من مائها ابريقاً من الذهب يعود به إلى الهيكل ويخلط ماءه بخمر ثم يسكبه إلى جانب المذبح تذكاراً لإخراج موسى الماء من الصخرة في سيناء لتشرب جموع الإسرائيليين العطشى (خر١٧: ٦). وإذ يجرى هذا المشهد في اليوم الأخير العظيم من العيد(٤)، وقف الرب ونادى قائلاً **"إن عطش أحد فليقبل إليّ ويشرب. من آمن بي، كما قال الكتاب، تجري من بطنه أنهار ماء حي(٥). [قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون مزمعين أن يقبلوه، لأن الروح القدس لم يكن قد أُعطى بعد، لأن يسوع لم يكن قد مُجّد بعد"** (بالصليب والقيامة)] (يو٧: ٣٧-٣٩).

فالرب يذكّرهم أنه **ينبوع الماء الحي** (الروح القدس) و**الصخرة الحقيقية** التي يتفجّر منها سر الحياة، والتي استعاد القديس بولس ذكرها مشيراً إلى المسيح كمصدر للارتواء الروحي والذي كان يرعى إسرائيل في البرية **"فإني لست أريد أيها الإخوة أن تجهلوا أن آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة، وجميعهم اجتازوا في البحر، وجميعهم اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر، وجميعهم أكلوا طعاماً واحداً روحياً، وجميعهم**

---

(٤) حيث يشعلون الشعبة الثامنة في المنارة.

(٥) **"فتستقون مياهاً بفرح من ينابيع الخلاص"** (إش١٢: ٣)؛
"ويكون في ذلك اليوم أن مياهاً حية تخرج من أورشليم نصفها إلى البحر الشرقي ونصفها إلى البحر الغربي. في الصيف وفي الخريف تكون" (زك١٤: ٨)؛
" أجاب يسوع وقال لها لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك أعطيني لأشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حياً.. من يشرب من الماء الذي أعطيه أنا فلن يعطش إلى الأبد. بل الماء الذي أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية" (يو٤: ١٠، ١٤).

شربوا شراباً واحداً روحياً، لأنهم كانوا يشربون من صخرة روحية تابعتهم، والصخرة كانت المسيح"[٦] **(١كو١٠: ١-٤).**

من ناحية أخرى، فإن اليهود في عيد المظال كانوا يقيمون في مظال[٧] أو خيام من غصون الشجر، ويمسكون بسعف النخل. وسكنى الخيام تشير إلى أن إقامتهم ليست دائمة، أي إلى الغربة في العالم **(عب١٣: ١٤).** كما أنه إذا كان اليوم الثامن محفل مقدس، فإنه يشير إلى الراحة الأبدية حيث سكنى الأبرار في أورشليم السمائية (رؤ٢١: ٣) والتي استخدم لها الرب (في مثل وكيل الظلم – لو١٦: ٩) تعبير **"المظال الأبدية"** كناية عن المقر الأبدي للأتقياء[٨].

والحقيقة أن الأعياد الثلاثة الأخيرة: **الأبواق والكفارة والمظال** (التي تقع كلها في الخريف – الذي يرمز إلى النهاية) تتعلق جميعاً **بالمجيء الثاني للرب. فالأبواق** تقترن بمشاهد الأيام الأخيرة (مت٢٤: ٣١، ١تس ٤: ١٦، رؤ٨: ٢)، **والكفارة** تشير إلى عمل المسيح الفدائي الذي أنعم لنا بالحياة الأبدية، **وعيد المظال** يشير إلى عودة اليهود تحت مظلة الله مع سائر المؤمنين من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة **"وهم واقفون أمام**

---

(٦) في التقليد اليهودي أن الصخرة، التي أخرج منها موسى الماء (عد٢٠: ١-١١) فروى عطش الإسرائيليين في البرية، لم تفارقهم وإنما ظلت تتبعهم في رحلتهم الطويلة. **والقديس بولس،** في معرض حث المؤمنين الجدد أن يظلوا على التصاقهم بالرب وألا يشتهوا شروراً، مذكّراً بشعب إسرائيل الذين رغم العناية الإلهية عبدوا الوثن وسقطوا في الزنى وبأكثرهم لم يُسر الله، هو يصحح هذا المفهوم مبيناً **أن الصخرة التي توهموا أنها كانت تتبعهم كانت هي المسيح** الذي كان يرعاهم كل الأيام ويقيتهم ويرويهم (١كو ١٠: ١-١٤).

(٧) **وبطرس الرسول** ذكَر **المظال** يوم **التجلي** بسبب المجد والبهاء اللذين أحاطا بالرب (لو٩: ٣٠-٣٣).

(٨) **والنبي زكريا**، وهو يبشر بالملكوت الأبدي **"ويكون الرب ملكاً على كل الأرض. في ذلك اليوم يكون الرب وحده واسمه وحده"**، يشير إلى قيامة الأبرار كأنها **عيد المظال الأبدي** الذي يحضره **"كل الباقي من جميع الأمم... ليسجدوا للملك رب الجنود"** (زك١٤: ٩، ١٦).

العرش وأمام الخروف متسربلين بثياب بيض وفي أيديهم سعف النخل... الذين أتوا من الضيقة العظيمة وقد غسلوا ثيابهم وبيّضوا ثيابهم في دم الخروف" (رؤ٧: ٩، ١٤).

لقد فتح لنا دم يسوع طريقاً إلى الأقداس السمائية (عب١٠: ١٩)، ونقض حائط السياج المتوسط، فخلق من اليهود والأمم في نفسه إنساناً واحداً جديداً (أف٢: ١٤-١٦)، وختم على الذبائح القاصرة والفرائض الجسدية بذبيحته الفريدة مرة واحدة فوجد فداءً أبدياً (عب٩: ١٢). ويوم قيامته بعد موت الصليب يوقف استمرار الأعياد القديمة التي كانت ظلالاً ورموزاً (كو٢: ١٧).

وبعد أن كانت أورشليم، بهيكلها ولاوييها ورؤساء كهنتها، هي مقصد الكل لتتميم الفرائض، نأتي الآن، بعد خرابها، إلى **"مدينة الله الحي أورشليم السمائية** (حيث الاحتفال بالعيد الحقيقي) **وإلى ربوات هم محفل ملائكة، وكنيسة أبكار مكتوبين في السموات، وإلى الله ديّان الجميع وإلى أرواح أبرار مكمَّلين، وإلى وسيط العهد الجديد يسوع** (رئيس الكهنة العظيم) **وإلى دم رش يتكلم أفضل من هابيل"** (عب١٢: ٢٢-٢٤).

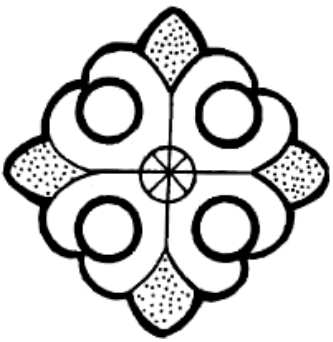

عن الأعياد المسيحية[1]

■ خلفية تاريخية :

تعود جذور **"الأعياد المسيحية"** إلى أعياد العهد القديم. فالمسيحية خرجت من رحم العهد القديم التى كانت أعياده رموزاً وإرهاصات لمجيء المسيح المخلص بإنجيل العهد الجديد الذي يكمل الزمان ويعلن اقتراب ملكوت الله (مر١: ١٥).

و**"لأن الخلاص هو من اليهود"** (يو٤: ٢٢) بمعنى أن الله اختار آباء إسرائيل، إذ قبلوا الإيمان (تك١٥: ٦)، لكي يحتضنوا وعد الخلاص ويأتي من نسلهم من تتبارك به أمم الأرض، فمن الطبيعي أن تنمو بذرة الإيمان الجديد في تربة العبادة اليهودية والتراث اليهودي.

---

(١) اعتمدنا في تفاصيل الخلفيات التاريخية الواردة في هذا الفصل على عدد من المراجع منها: **"تاريخ الكنيسة ليوسابيوس القيصري"** (٢٦٤- ٣٤٠) ترجمة القس مرقس داود، **"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة"** للقس شمس الرياسة أبي البركات المعروف بابن كبر (القرن ١٤)، **"أصوامنا بين الماضي والحاضر"** للقس كيرلس كيرلس (١٩٨٢)، وسلسلة كتب الأب أثناسيوس المقاري عن طقوس وأصوام وأعياد الكنيسة **"الدرة الطقسية للكنيسة القبطية"**.

+ فالمسيح جاء يهودياً من نسل إبراهيم وداود (مت١: ١، لو٣: ٣١، ٣٤)، وهو **خُتن** في اليوم الثامن، **وقُدم إلى الهيكل** في اليوم الأربعين مكرَّساً لفداء البشر (لو١: ٢١-٢٤). والذي أعلن المسيح للعالم هو **يوحنا المعمدان** نبي العهدين، يوم أن اعتمد الرب منه، فصار يوم **الظهور الإلهي** Theophany غير المسبوق بصوت الآب يشهد لابنه المتجسد والروح القدس نازلاً عليه مثل حمامة (مت٣: ١٣-١٧، مر١: ٩-١١، يو١: ٢٩-٣٤).

+ وقد بدأ الرب خدمته في **اليهودية والجليل**، وتلاميذه ورسله الذين اختارهم كانوا **يهوداً**. والمسيح بدأ تعليمه في **هيكل أورشليم ومجامع اليهود** (مت٩: ٣٥، لو٤: ١٦) وعلى شاطئ البحيرة وعلى الجبل وبين الحقول والمدن والقرى اليهودية(٢).

+ وهو احتفل **بالأعياد اليهودية** (مت٢٦: ١٧، مر١٤: ١٢، لو٢: ٤١، ٢٢: ٨، يو٥: ١، ٧: ١٤، ٣٧، ٣٨، ١٠: ٢٢، ٢٣، ١٣: ١، ٢) وأضفى عليها بتعاليمه روح العهد الجديد، لينقلها من الممارسات الطقسية ذات البعد المحدود إلى الحقيقة الممتدة إلى الملكوت الأبدي. هكذا فعل في **عيد المظال** حين دعا العطاش كي يأتوا إليه ويشربوا موجّهاً الأشواق إلى الروح القدس مغيّر الحياة، وقائلاً: **"من يؤمن بي.. تجري من بطنه أنهار ماء حي"** (يو٧: ٣٧) وناقلاً الفكر إلى المظال الأبدية حيث ينعم المؤمنون بالسلام الأبدي (لو١٦: ٩).

وفي **عيد الفصح** رسم سر **الإفخارستيا**، خاتماً على ذبيحة الفصح المتكررة، مقدّماً جسده ودمه، قبل أن يرفع على الصليب كرئيس كهنة

---

(٢) وإن كان لم يُغفل غيرهم من السامريين والأمم، فهو تعمّد لقاء السامرية وذهب إلى شعبها وآمنوا به (يو٤: ٤- ٤٢). وهو تعامل مع قائد المئة الروماني وامتدح إيمانه (مت٨: ١٠، لو٧: ٩). فهو كمخلص العالم فتح أحضانه للكل و**"مات لأجل الجميع"** (٢كو٥: ١٥).

بلا خطية يدخل إلى الأقداس بذبيحة نفسه فيصنع فداءً أبدياً (عب٩: ١١، ١٢). كما رتّب أن يتحول **عيد الخمسين** إلى يوم فيض الروح على البشر محققاً وعده الذي بشّر به الأنبياء (يؤ٢: ٢٨-٣٢) وانتظرته الأجيال كل الزمان.

+ وعلى نهج السيد، فكرازة **التلاميذ والرسل** بعد حلول الروح القدس كألسنة نار (أع٢: ١-٤) أمام آلاف الحجيج **"من كل أمة تحت السماء"** (أع٢: ١-٤) بدأت في **أورشليم**. فآمن في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف حملوا بشارة الملكوت إلى بلادهم (أع٢: ٤١).

+ وأول معجزة للتلميذين **بطرس ويوحنا** كانت إبراء الأعرج عند **"باب الهيكل الذي يقال له الجميل"** (أع٣: ١-١٠). وكان حديث بطرس بعد ذلك للجموع المبهوتة في **رواق سليمان**.

+ والذي كان يُقرأ في المجامع، حتى ظهرت أولى كتابات البشائر والرسائل المسيحية (في منتصف القرن الأول)، هو من **المزامير والبنوات** التي تشهد للمسيح (أع١٨: ٢٨). وكان أول ما قرأه **الرب** في بداية خدمته في مجمع الناصرة يوم السبت كان من **سفر إشعياء** (إش٦١: ١-٣، لو٤: ١٦-٢٢). وحديث **بطرس** يوم العنصرة، وأيضاً بعد شفاء الأعرج، تضمن آيات من **المزامير والنبوات** منذ إبراهيم وموسى وحتى يوئيل (أع٢: ١٤-٣٥، ٣: ١١، ٢١-٢٦) (٣).

+ و**فيلبس** الشماس بشّر وزير كنداكة ملكة الحبشة بيسوع من خلال نبوة **إشعياء** (إش٥٣: ٧، ٨، أع٨: ٢١-٣٩).

+ وكرازة **التلاميذ** بدأت وسط **اليهود** أولاً بحسب أمر الرب **"وتكونون لي شهوداً في أورشليم وفي كل اليهودية"** ثم **"السامرة"** وإلى

---

(٣) ولكن **بطرس** – كسيده – لما جاءته الدعوة الإلهية لكرازة **كرنيليوس** القائد الأممي لم يتردد وذهب إليه وبشره وعمده وعائلته (أع١٠).

أقصى الأرض (أع١: ٨). وكما كان **اليهود** أول المؤمنين فقد كانوا أيضاً أشرس المقاومين.

+ والقديس بولس كرز أولاً **لليهود** في مجامعهم، بدءاً من دمشق (بعد لقائه بالسيد) وأورشليم (أع٩: ٢٠-٢٢، ٢٨)، ثم في سائر آسيا (أع١٣: ٥، ١٤، ٤٤، ١٤: ١، ١٩: ٨) وحتى في أوروبا (أع١٧: ١، ٢، ١٨: ٤، ١٩) قبل أن يتوجه ببشارته إلى **الأمم** (أع١٣: ٤٦)، ويختص باقي **التلاميذ** بالخدمة وسط **اليهود** (غل٢: ٩). واستخدم في عظته في مجمع أنطاكية بسيدية نبوات من **المزامير وإشعياء وحبقوق** (أع١٣: ١٦-٤١).

بل أن **الرسول بولس** بعد عقود في خدمة السيد كان يقدم نفسه على أنه **يهودي مؤمن بالمسيح**، كما صرح لأمير الكتيبة في أورشليم وأمام الشعب (أع٢١: ٣٩). وهو ظلّ يرى العالم منقسماً إلى طائفتين: **اليهود والأمم "نحن بالطبيعة يهود ولسنا من الأمم خطاة.. آمنّا نحن أيضاً بيسوع المسيح"** (غل٢: ١٥، ١٦)، وأن اليهود هم أيضاً صاروا فئتين: **اليهود المؤمنين** (أي المسيحيين) [٤] و**"اليهود غير المؤمنين"** (أع١٧: ٥) أي الذين رفضوا الإيمان بالمسيح.

+ يمكن القول إذاً **أن المسيحية في فجرها كانت ذات صبغة يهودية غالبة.** وأخذ الأمر بعض الوقت لكي يحل **الأحد كيوم الرب** (رؤ١: ٧) محل السبت القديم. واليهود المؤمنون الأوائل تمسكوا **بالختان** مما شكّل صعوبة أمام دخول الأمم، حتى أن **القديس بولس** عمَد إلى ختان **تيموثاوس**، ذي الأم اليهودية والأب اليوناني، كي لا يعترض اليهود على دخوله المجامع

---

(٤) رغم أن المؤمنين دُعوا **"مسيحيين في أنطاكية أولاً"** (أع١١: ٢٦) انتساباً إلى اسم **"المسيح"** (وليس إلى **"المسيحية"** المشتقة هي أيضاً من **"المسيح"**)، ولكن كلمة **"مسيحيين"**، وإن كانت معروفة، لم تستخدم كثيراً في كتب العهد الجديد (أع٢٦: ٢٨، ١بط٤: ١٦) وإنما كلمة **"مؤمنين"**. ولم يعمّ استعمال كلمة **مسيحيين** على أتباع **يسوع المسيح** إلا في القرون التالية.

ومشاركته في الكرازة لهم (أع١٦: ١-٣). كما تطلب الأمر انعقاد **مجمع أورشليم** الذي قرّر ألا يُثقّل على الراجعين إلى الله من الأمم بالالتزامات اليهودية، وأن يمتنعوا فقط عما كان سائداً في حياتهم الوثنية السابقة **"مما ذُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا"** (أع١٥: ٢٠، ٢٩).

+ ومَرّ بعد صعود المسيح نحو عَقدين قبل أن يكتب **القديس يعقوب** (بن حلفى) أسقف أورشليم رسالته الموجهة إلى كل الكنائس، ويكتب **القديس بولس** رسائله إلى أهل غلاطية وتسالونيكى، وفي العقد التالي استكمل رسائله الأربعة عشرة، كما بدأت **البشائر** تأخذ مكانها ومكانتها في حياة الكنيسة خلال العقود التالية، حتى قرب نهاية القرن الأولى، عندما كتب **القديس يوحنا** رسائله ورؤياه وإنجيله.

■ الأعياد المسيحية في حياة الكنيسة:

+ كان **الاحتفال الإفخاريستي "كسر الخبز"** في أول الأسبوع، أي **في يوم الأحد: يوم قيامة الرب** (التي تحتوي الصليب والموت) **ويوم حلول الروح القدس**، والذي صار اسمه الرسمي **"يوم الرب"** (رؤ١: ١٠)، هو بمثابة **العيد الأول في حياة الكنيسة** الذي أخذ موقع السبت(٥) **"كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات"** (أع٢: ٤٢، ٢٠: ٧) **"الخبز الذي نكسره أليس هو شركة جسد المسيح، فإننا نحن الكثيرين خبز واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد"** (١كو١٠: ١٦، ١٧). وصلوات العبادة كانت تتضمن الصلاة الربية (مت٦: ٩- ١٥، لو١١: ٢-٤) مع صلوات المزامير، وفي المركز كلمات السر التي فاه بها الرب وختامها **"فإنكم كلما أكلتم من هذا الخبز**

(٥) وكما كان **يوم الأحد** قديماً هو اليوم الذي بدأ فيه الله خلقة العالم، ففي يوم الأحد الجديد **(اليوم الثامن)** تم تجديد الخليقة بقيامة الرب من بين الأموات، وانفتح أمام البشر باب الفردوس.

وشربتم هذه الكأس تخبرون بموت الرب (وقيامته) **إلى أن يجيء"** (مت٢٦: ٢٦-٢٩، مر١٤: ٢٢-٢٥، لو٢٢: ١٩، ٢٠، ١كو١١: ٢٣-٢٦).

+ والكنائس في البداية كانت في البيوت **"وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت"** (أع٢: ٤٦). وكان **القديس بولس** في سياق رسائله يبعث بسلامه إلى كنائس البيوت تلك "سلموا على بريسكلا وأكيلا... وعلى **الكنيسة** التي في بيتهما" (رو١٦: ٣، ٥)، "سلموا.. على نمفاس وعلى **الكنيسة** التي في بيته" (كو٤: ١٥)، ".. إلى فليمون.. وإلى **الكنيسة** التي في بيتك" (فل٢). وظل الأمر كذلك طويلاً خاصة بعد خراب الهيكل وهدم المجامع.

+ فإذا جئنا للاحتفال **بالأعياد** على غرار ما كان في العهد القديم، نجد أنه ظل لعيدي **الفصح** (الفطير) **والخمسين** (الحصاد أو الأسابيع) موقعهما الأثير، خاصة في حياة اليهود الذين آمنوا، وفي كل الكنيسة عامة، بعد أن أخذا وجههما المسيحي فتغير **الفصح القديم** معنًى ومبنًى ونسخت طقوسه، ليصير **الفصح الجديد** ذبيحة المسيح الفريدة الدائمة التي كان بها الخلاص بقيامة الرب منتصراً على الموت (١كو٥: ٧، عب٩: ١٢). وهكذا احتل **عيد القيامة** موقعه كأقدم وأعظم أعياد العهد الجديد، وإن بقى في بعض المواقع يحمل اسم **الفصح** Easter، وسماه الآباء عيد الأعياد، وإكليل الأعياد، وملك الأيام وتاجها.

كما كان أيضاً **عيد الخمسين** هو العيد العظيم الثاني في الكنيسة (والذي يحمل اسم **عيد الخمسين أو العنصرة** القديم) الذي دشّنه حلول الروح القدس ليصير عيد تأسيس كنيسة المسيح.

و**القديس بولس** خلال كرازته يكشف عن ارتباطه بهذين العيدين الكبيرين بوجههما المسيحي، ولعله كان يراهما أيضاً مجالاً عظيماً للكرازة للآلاف الذين كانوا يجيئون إلى أورشليم للاحتفال بهما. ففي ختام رحلته الثانية لم يستجب لطلب يهود أفسس أن يمكث عندهم زماناً أطول، وودّعهم إذ كان يريد أن يذهب سريعاً إلى أورشليم ليحتفل **بالعيد** (الفصح أو العنصرة) (أع١٨: ٢١). كما أنه اختصر رحلته الأسيوية التالية وبقى في ميليتس واستدعى إليه قسوس كنيسة أفسس "لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في **يوم الخمسين**" (أع٢٠: ١٦).

وظل **القديس بولس** يذكر في رسائله الأعياد اليهودية (التي صارت للكنيسة) لتحديد زمن الأحداث. فيكتب في ختام رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس أنه "يمكث في أفسس إلى يوم **الخمسين...**" (١كو١٦: ٨). و**القديس لوقا** وهو يكتب في سفر الأعمال عن سفره ورفاقه من فيلبي إلى ترواس بحراً ليلحقوا **بالقديس بولس**، أن ذلك كان **"بعد أيام الفطير"** (أع٢٠: ٦).

مع هذا فإن **القديس بولس** كان حريصاً في تعليمه أن يجرد الأعياد وتقاليدها من مفهومها اليهودي الرمزي القديم الخاضع للزمن، ويكشف وجهها المرتبط بالعهد الجديد وخلاص المسيح وبُعدها الأخروي فيكتب **"فلا يحكم عليكم أحد في أكل وشرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التي هي ظل الأمور العتيدة"** (كو٢: ١٦)، ويقول فيما يتعلق بالفصح وأيام الفطير **"لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا. إذاً لنعيّد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق"** (١كو٥: ٧، ٨).

■ عن عيد القيامة :

بدا الاحتفال **بالقيامة** في آسيا الصغرى يوم الفصح اليهودي (١٤ نيسان) دون النظر إلى موقع اليوم من أيام الأسبوع. على أنه عقب الثورة اليهودية بقيادة باركوكبا (١٣٥م)، ثم هدم بقايا أورشليم وبناء مدينة جديدة مكانها باسم Aelia Capitolina، مُنع الاحتفال بالفصح اليهودي، وبعده بدأ الاحتفال في أورشليم (وأيضاً في روما وفي الإسكندرية في عهد البابا ديمتريوس الكرام -١٨٩-٢٣١م) **بعيد القيامة** في الأحد التالي لموعد عيد الفصح، حتى كان **مجمع نيقية** (٣٢٥م) الذي حدّد عيد القيامة بالأحد التالي لاكتمال قمر الفصح اليهودي (١٤ نيسان) الذي يلي الاعتدال الربيعي (٢١ مارس/ آذار)[٦]، (وليكون في الكنائس الغربية بين ٣/٢٢ و٤/٢٥، وفي الكنائس الشرقية، التي لم تتبع التقويم الجريجوري، بين ٤/٤ و٥/٨) تأكيداً على الاستقلال عن عيد الفصح اليهودي، فلا يكون موافقاً أو سابقاً له، وإنما تالياً له.

وكان **الصوم الأربعيني** عند بدء ممارسته تالياً **لعيد الغطاس**، باعتبار أن الرب صامه بعد عماده في الأردن[٧]، ومستقلاً عن عيد القيامة. وحتى القرن الرابع كان أسبوع الفصح يُحتفل به مرة كل ٣٣ سنة (عمر المسيح) أي ثلاث مرات في القرن. وهذا لم يكن عملياً لأن كثيرين لن يصادفهم أن يصوموا أسبوع الآلام ويحتفلون بعيد القيامة طيلة حياتهم، إلى أن قرر مجمع

---

(٦) الاعتدال الربيعي قبل التعديل الجريجوري كان يقابل ٢٥ برمهات وصار الآن ١٢ برمهات.

(٧) هذا واضح من أن قراءات الأحدين التاليين لعيد الغطاس (وكانا أصلاً ضمن آحاد الصوم الكبير) تتصل بأمر المعمودية، لأن تسجيل أسماء الموعوظين الذين سينالون نعمة المعمودية في **أحد التناصير** كان يتم أولاً في أحد الرفاع وتدوّن الأسماء بصورة نهائية في الأحد الأول من الصوم.

نيقية أن يحتفل بالفصح المقدس كل عام وأن ينفصل الصوم الكبير عن الغطاس ليتصل **بأسبوع الآلام** (وضمنه **خميس العهد** و**جمعة الصلبوت**) الذي يختمه **عيد القيامة**، ويعقبه بعد أربعين يوماً **عيد الصعود**، ثم **عيد العنصرة** في اليوم الخمسين.

■ عن أعياد الظهور الإلهي:

رغم أن تعبير **الظهور الإلهي** Theophany **ثيئوفانيا** (أو **الظهور** Epiphany **إبيفانيا**) يقصد به مجيء الرب إلى أرضنا "(النعمة)... أُظهرت الآن **بظهور مخلصنا يسوع المسيح..**" (٢تي ١: ١٠)، أو ظهور الثالوث في الأردن، أو مجيء الرب الثاني "... أن تحفظ الوصية.. إلى يوم **ظهور ربنا يسوع المسيح**" (١تي٦: ١٤)، إلا أنه ارتبط أساساً بعماد الرب في الأردن **(الغطاس)**، ولكنه في البداية كان يضم معه أيضاً مناسبات أخرى هي البشارة وميلاد الابن المتجسد وختانه وزيارة المجوس، بل ومعجزة عرس قانا الجليل، باعتبار أنها كلها تعكس أيضاً ظهوراً جلياً لابن الله وتجسده وقدرته.

وكان يُحتفل **بعيد الغطاس** في ١١ طوبة الموافق ٦ يناير (وصار عندنا بعد التعديل الجريجوري – ١٥٨٢م- في ١٩ يناير)، وهو أقدم عيد عرفته كنيستنا، بعد عيدي القيامة والعنصرة بين القرنين الثاني والثالث[٨]، وكان

---

(٨) فيما بعد صار **عيد الغطاس** عيداً رسمياً وشعبياً في عهد الدولة الإخشيدية (٩٣٥- ٩٦٩م) والدولة الفاطمية - التي أنشأت القاهرة (٩٦٩- ١١٧١م). فكان يقام القداس على شاطئ النيل حيث تنصب الخيام وبعد انتهائه وسط الشموع والقناديل والسفن المزينة يغطس النيل وتصير ليلة الغطاس فرحاً وبهجة حتى الصباح. (وحتى اليوم، ففي احتفال كنائس أوروبا الأرثوذكسية بعيد الغطاس يلقي الشباب والكبار أنفسهم في المياه المثلجة وهم يرشمون أنفسهم بعلامة الصليب ثلاث مرات تشبهاً بنزول الرب في الأردن ليعتمد من يوحنا المعمدان). وقد أخذ النوبيون عادة مسح وجه الطفل الوليد بماء النيل كبقايا تاريخية لمعمودية الأطفال المسيحيين. وقد ظل التقويم القبطي المصري) معمولاً به في بلادنا حتى أوقف في عهد الخديوي إسماعيل ليحل محله التقويم الميلادي الغربي بدءاً من أول توت ١٥٩٣ (١١ سبتمبر ١٨٧٥م).

يسمى أيضاً **عيد الأنوار**، لأنه كان يعتبر واحداً من المناسبات الرئيسية (إضافة إلى ليلة عيد القيامة) لتعميد الموعوظين ومن ثم دخولهم إلى الكنيسة للاشتراك في الليترجية وهم حاملون الشموع في موكب النور للانضمام لشعب الله.

أما عن **عيد الميلاد** Nativity فلم يُحتفل به مستقلاً إلا بدءاً من سنة ٣٣٦م في عهد الإمبراطور قسطنطين. وقد أقر مجمع نيقية (٣٢٥م) ما انتهى إليه بابا روما **يوليوس الأول** بأن يكون ٢٥ ديسمبر (الموافق ٢٩ كيهك) موعداً للعيد(٩)، لينفرد **عيد الغطاس** باسم **الظهور الإلهي**(١٠) باعتبار أن خبر **الميلاد** الإلهي ظل محصوراً في دائرة ضيقة، أما **العماد** من يوحنا فقد كان علنياً، وما صاحبه من ظهور روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه وصوت الآب من السماء، جعل هذا اليوم هو الظهور الساطع الذي عرّف المعمدان وسائر الناس بمجيء **"حمل الله الذي يرفع خطية العالم"** (يو١: ٢٩).

وقد احتُفل **بعيد الميلاد** في مصر للمرة الأولى في ٤٣٢م. وهناك ما يشير إلى أن الاحتفال به في كنيستنا خلال القرن السابع كان يمتد ثلاثة أيام

---

(٩) قيل أن اختيار يوم ٢٥ ديسمبر لهذا العيد كان لكي يحل محل بعض الأعياد الوثنية التي تقع في ذات اليوم مثل عيد إله الزراعة الروماني Saturn، وعيد إله النور الفارسي Mithra، وعيد الشمس المنتصرة الذي ابتدعه الإمبراطور أوريليان (٢٧٤م)، باعتبار أن المسيح هو **"نور العالم"**، و**"النور الحقيقي"** (يو١: ٩، ٨: ١٢، ٩: ٥)، **"شمس البر"** (ملا٤: ٢)، و**"كوكب الصبح"** (٢بط ١: ١٩، رؤ٢: ٢٨)، ليتم تنصير هذه الأعياد ونسخها. فضلاً عن أن هذا التاريخ يقع مع بداية امتداد النهار (بعد ٢٢ ديسمبر الذي هو أقصر نهار وأطول ليل في السنة) كأنه الميلاد الثاني للشمس أو قيامتها الجديدة. وخلال القرن الرابع امتد الاحتفال بعيد الميلاد إلى آسيا الصغرى وسائر العالم الغربي.

(١٠) على أنه إذا كان **عيد الظهور الإلهي** قد اقترن في الشرق بالعماد في الأردن وقداس الماء (أو صلاة اللقان التي تسبق قداس العيد) فإنه اقترن في الغرب بالأكثر بزيارة المجوس حتى أنه يسمَّى **بعيد الثلاثة ملوك المقدسين** The Three Holy Kings.

من ٢٨ إلى ٣٠ كيهك ثم اقتصر على ٢٩ كيهك (المقابل لـ ٢٥ ديسمبر) ليقابل ٤ يناير سنة اعتماد التعديل الجريجوري[١١]، ومع فروق القرون التالية صار الآن يقابل ٧ يناير (و٨ يناير في ٢١٠٠)[١٢].

وقد عُرف **صوم الميلاد** أولاً في الغرب باسم Advent أي **المجيء**، بمعنى مجيء المسيح إلى العالم في الجسد، وذلك في النصف الثاني من القرن الخامس، ومنه انتقل إلى الشرق. ولكنه لم يصبح تقليداً ثابتاً إلا في القرن العاشر (وربما قبل ذلك) حيث كان الأقباط يصومون فترة **شهر كيهك.**

---

(١١) في سنة ١٥٨٢ عدَّل البابا جريجوريوس الثالث عشر (١٥٧٢- ١٥٨٥م) التقويم اليوليانى [المنسوب إلى يوليوس قيصر (١٠٠-٤٤ ق.م)، الذي حل محل التقويم القمري القديم، مستعيناً بالفلكي المصري سوسيجينس Sosigenes الذي اعتبر السنة ٣٦٥ يوماً وربع يوم (في الحقيقة ٥ ساعات، ٤٨ دقيقة، ٤٦ ثانية)، وابتدع السنة الكبيسة، وبدأ استخدامه سنة ٤٦ ق.م، (=السنة ٧٠٨ لتأسيس مدينة روما] بأن حذف عشرة أيام (بحيث تحول ٥ أكتوبر إلى ١٥ أكتوبر) مقابل فرق ١١ دقيقة و١٤ ثانية زائدة في كل سنة من السنوات السابقة (٤٦ ق.م – ١٥٨٢م). وفي السنة التالية (١٥٨٣م) صار ٢٩ كيهك يقابل ٤ يناير. وبزيادة ٣ أيام للسنوات القرنية ١٧٠٠، ١٨٠٠، ١٩٠٠، (التي يعتبرها التقويم الجريجوري سنوات بسيطة، وبهذا يخصم ٣ أيام كل ٤٠٠ سنة لضبط التقويم، وتكون السنوات القرنية الكبيسة هي ما يقبل القسم على ٤) صار الفرق ١٣ يوماً بين التقويمين (وهي التي تفصل بين مواعيد الأعياد والمواسم في الشرق والغرب). وفي مصر عدّل التقويم الميلادي بعد الاحتلال البريطاني وصار ٢٩ كيهك يقابل ٧ يناير، وسيزداد الفرق يوماً كل ١٢٨ سنة إن لم يتم تصحيح التقويم القبطي طبقاً للتعديل الجريجوري. (وإن ظلت الكنيستان الأرمنية والقبرصية تحتفلان حتى الآن للميلاد في ٦ يناير، وتحتفل معه كنيسة قبرص بعيد عرس قانا الجليل). ومع هذا التصحيح يبقى هناك فرق ٢٤ ثانية بين السنة الفلكية والسنة الجريجورية بما يكوِّن يوماً كاملاً كل ٣٥٠٠ سنة.

(١٢) **عن سنة ميلاد المسيح**: ظل التقويم الروماني (الذي تحدد في أخر مراحله بتأسيس مدينة روما) هو السائد حتى القرن السادس بعد المسيح، عندما بدأ الراهب **ديونسيوس اكسيجونوس** في تحديد سنة ميلاد المسيح لكي تكون هي بداية التقويم الجديد. وانتهى إلى أن سنة ميلاد الرب هي ٧٥٣ بحسب التقويم الروماني. وبعد فترة طويلة، قام الباحثون بمقابلة هذا التاريخ مع الأحداث التاريخية المصاحبة لميلاد المسيح، كما جاءت في الأناجيل (الميلاد حدث أيام هيرودس الكبير - مت٢: ١، والمؤرخ **يوسيفوس** يحدد سنة موت هيرودس ٧٥٠، فلابد للميلاد إذاً أن يسبق هذا التاريخ) بما كشف أن ميلاد المسيح كان سنة ٧٤٩ أو ٧٥٠، وبالتالي تكون بداية التقويم الميلادي -٤ ميلادية!

ولما كان من المتعذر تعديل كل تواريخ الأحداث بناء على ذلك، بعد أن مضى زمان طويل على استخدام تقويم ديونسيوس، وقد استقرت الأوضاع في العالم المسيحي، فقد كان الحل هو قبول التقويم كما هو حتى وإن كان يزيد في حقيقته أربع سنوات!

ولكن تحددت أيامه الثلاثة والأربعون[١٣] في عهد البابا الـ ٦٦ **خريستوذولوس** (١٠٤٧-١٠٧٧م)[١٤].

■ الأعياد السيدية :

فيما بعد امتد الاحتفاء بالمناسبات التي تمجد شخص الرب، وتحتفل بها الكنيسة أعياداً، لتصير الأعياد السيدية أربعة عشر: **سبعة كبرى** هي: أعياد **البشارة** Anunciation، **والميلاد، والظهور الإلهي (الغطاس)، ودخول أورشليم (أحد السعف أو الشعانين)** Palm Sunday ، **والقيامة** Easter، Pascha or Resurrection ، **والصعود** Ascension، **والعنصرة** Pentecost، **وسبعة صغرى** هي: **أعياد الختان** Circumcision، **ودخول المسيح الهيكل طفلاً** Entry of Our Lord to the Temple، **والهروب إلى مصر** Escape of The Holy Family to Egypt، **وعرس قانا الجليل** The Wedding at Cana of Galilee، **والتجلي** Transfiguration، **وخميس العهد** Maundy Thursday، **وأحد توما** Thomas Sunday[١٥].

على أنه ينبغي أن يُحصر معنى "كبرى" و"صغرى" في نطاق التمييز فقط بين مجموعتين متكافئتين من الأعياد لهم جميعاً نفس القدر والمنزلة

---

(١٣) تصوم الكنيسة اليونانية أربعين يوماً تمثلاً بصوم موسى النبي قبل اقتبال الوصايا العشر. فبصومهم يقبلون كلمة الله المتجسد في الاحتفال بعيد الميلاد. وكانت الكنيسة السريانية تصوم في القرون الأولى أربعين يوماً، صارت ٢٤ يوماً وهي الآن ١٠ أيام، وهي ٦ أيام عند الأرمن الأرثوذكس وعشرة أيام عند الموارنة.

(١٤) لم تفلح محاولات البابا غبريال الثامن سنة ١٦٠٢م في العودة إلى صوم شهر كيهك فقط.

(١٥) بحسب المرجع **"مصباح الظلمة في إيضاح الخدمة"** لابن كَبَر (+١٣٢٤ م)، ولكن كان **عيد التجلي والخميس الكبير** ضمن الأعياد السبعة الكبرى، **وعيد البشارة** ضمن الصغرى، وتبادلوا مواقعهم فيما بعد. وكانت **الجمعة الكبيرة وعيد الصليب** ضمن الأعياد السيدية. على أن الأعياد السيدية في مراجع أخرى لنفس الفترة كانت اثنى عشر (دون **الهروب إلى مصر، وعرس قانا الجليل، وأحد توما**، مع إضافة **عيد ظهور الصليب**) أو عشرة أو حتى ثمانية أعياد.

بانتسابهم إلى السيد. وربما يكون من الأفضل أن تُرتب الأعياد السيدية بصورة متتالية بحسب موقعها في السنة الليترجية، والتحرر من الأعداد(١٦) وصيغة السبعة الكبرى والسبعة الصغرى المقيِّدة، التي تحرم، مثلاً، **الجمعة العظيمة**[١٧] **وعيد الصليب**، اللذين يتصلان مباشرة بعمل الخلاص، من أن يكونا ضمن الأعياد السيدية (!) كأنهما أقل قدراً.

وبعد الأعياد السيدية تأتي **أعياد القديسين**، وتاجهم **العذراء مريم**، الذين تقدمهم الكنيسة نماذج عظيمة للمؤمنين (عب١٣: ٧). **وسنكسار الكنيسة** هو سفر أعياد الكنيسة سواء ما يتصل بعمل المسيح، أو حياة القديسين المنتصرين، شهداءَ أو آباءَ أو نساكاً، رجالاً ونساء وأطفالاً، سفكوا دماءهم أو كرسوا حياتهم من أجل عظم محبتهم في الملك المسيح.

o o o

على مستوى المؤمن، فإن آباء الكنيسة[١٨] يرون في حياة المؤمن في المسيح عيداً ممتداً كل أيام حياته، حيث يثبت المسيح فيه وهو في المسيح. وأن الزمان بالنسبة للكنيسة التي اقتناها المسيح بدمه (أع٢٠: ٢٨) هو عيدٌ بدأ بقيامة المسيح ويمتد في الأبدية، وتصير المناسبات المختلفة التي تبرزها وتحتفي بها وتحدّد لها أياماً بعينها هي فصول متوهجة ضمن دائرة العيد الإلهي الذي يحتوي الكنيسة.

---

(١٦) الأعياد الرئيسية التي يُحتفل بها في الكنيسة السريانية تسعة أعياد، وخمسة كبرى في الكنيسة الأرمينية مع عدد كبير جداً من الأعياد الصغرى.

(١٧) على أن **الجمعة العظيمة** كانت ضمن الأعياد السيدية حتى القرن ١٤.

(١٨) يُرجى الرجوع إلى مقدمة الجزء الأول من كتاب **"الأعياد الكنسية"** للأب متى المسكين.

٢

أعياد شهر توت

■ **رأس السنة القبطية**[*] **(عيد النيروز) (أول توت)** [**]

+ شهادتنا

+ قضية الاضطهاد

■ **استشهاد يوحنا المعمدان (٢ توت)**

■ **عيدا الصليب (١٧ توت، ١٠ برمهات)**

+ الصليب في حياة المؤمن

(*) انظر ملحق (١) **"عن التقويم القبطي- خلفية تاريخية"** في آخر الكتاب (ص ٢٠٠).
(**) انظر ملحق (٢) **"عن شهور السنة القبطية (المصرية)"** في آخر الكتاب (ص ٢٠٥).
القراءات: ٢ كو٥ ١١- ٦: ١٣، ١يو٢: ٧-١٧، أع١٧: ١٦-٣٤، لو٤: ١٤-٣٠.

■ رأس السنة القبطية

شهادتنا (١)

ما الذى جعل الشهيد يتمسك بإعلان إيمانه بالمسيح وهو يعرف الثمن الغالى الذى سيدفعه مقابل شهادته ؟

ما الذى جعل الشهيد بعد الإغراء فالتهديد ثم التعذيب، لا يتراجع ساعياً للنجاة منكراً للإيمان، بل يتقدم بلا خوف نحو الموت دون أن يندم على وداع الحياة؟

ما الذى جعل الشهيد يتجاوز محبته لحياته ولأهله وعمله وممتلكاته وآماله، قافزاً فوق كل العقبات، من أجل الإكليل ؟

---

(١) **الشهادة** هي إعلان ما شهدناه (رأيناه) أي ما اختبرناه. وكلمة **شهيد** Martyr مشتقة من اليونانية Martyros بمعنى شاهد witness (وفي العربية **شهيد** من شهد testify بما شاهده). فالحياة المسيحية هي الشهادة للمسيح **"تكونون لي شهوداً"** (أع١: ٨)، سواء بالالتزام الإيماني أو السلوك أو الكرازة أو الخدمة، والشهيد، كمؤمن، أعلن شهادته بالدم.

الإجابة فى كلمات قليلة.. أنه كان **مؤمناً حقيقياً :**

(١) فهو أحب المسيح أكثر من نفسه، وأكثر من أى حد وأي شئ، وكانت العبادة والتوبة أعظم ممارسات الحياة. وبالتأكيد فإن من يحب العالم لا يستطيع أن يحب الله (يع٤: ٤)، ولا يمكن أن يفكر فى التضحية بأى شئ من أجل المسيح فضلاً عن التضحية بحياته:

" من أحب أماً أو أباً أكثر منى فلا يستحقنى.. ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى. من وجد حياته يضيعها ومن أضاع حياته من أجلى يجدها" (مت١٠: ٣٧ – ٣٩)؛

" بل إنى أحسب كل شئ أيضاً خسارة من أجل فضل معرفة المسيح يسوع ربى الذى من أجله خسرت كل الأشياء وأنا أحسبها نفاية لكن لكى أربح المسيح" (فى٣: ٨)؛

" من سيفصلنا عن محبة المسيح: أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عرى أم خطر أم سيف... لا موت ولا حياة..." (رو٨: ٣٥-٣٩).

(٢) أن إيمان الشهيد كان اختباراً حقيقياً، وكان الإنجيل عنده ممارسة عملية كل يوم. فلما جاءت ساعة الامتحان كان مستعداً ولم يتردد فى النزول إلى ساحة الموت. والذى اختبر الحياة مع المسيح لا يحتمل البعد عنه ولا يفكر فى خيانته حتى لا يحرم من أعظم أهداف وبركات وجوده وهى أن يكون دوماً مع الله. أما المعرفة السطحية والإيمان الشكلى فلا يصمدان أمام الضيق. والذين ينكرون الإيمان ويبيعون مسيحهم بسبب الاضطهاد، أو من أجل بعض المال، أو من أجل امرأة أو رجل، هم فى الحقيقة لم يقتربوا من المسيح قط ولا عرفوا كلمة الله:

" جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان. امتحنوا أنفسكم" (٢كو١٣: ٥)؛

" بدون إيمان لا يمكن إرضاؤه" (عب١١: ٦)؛

" جاهد جهاد الإيمان الحسن وامسك بالحياة الأبدية التى إليها دعيت.." (١تى٦: ١٢)؛

" ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه" (مت١٦: ٢٦، مر٨: ٣٦، لو٩: ٢٥)؛

" لأن من استحى بى وبكلامى فإن ابن الإنسان يستحى به متى جاء بمجد أبيه" (مر٨: ٣٨)؛

" إن كنا ننكره فهو أيضاً سينكرنا" (٢تى٢: ١٢).

(٣) إن الحياة الحاضرة ولو أنها هبة عظيمة لنا من الله، إلا أنها وديعة مؤقتة. وهى فقط مجال لإختبار معرفة محدودة بالله تُستكمل فى الأبدية. فالذين عندهم الحياة هدف فى حد ذاته يصعب عليهم التخلى عنها لحساب الأبدية:

" لأننا لم ندخل العالم بشئ، وواضح أننا لا نقدر أن نخرج منه بشئ" (١تى٦: ٧)؛

" لأن ليس لنا هنا مدينة باقية، لكننا نطلب العتيدة" (عب١٣: ١٤).

(٤) أن المسيح أخبر عن هذه الضيقات. فهى فلم تكن مفاجأة للشهيد، بل قد اختبر فى حياته ألواناً منها، واستعد لما هو أقسى، وهو قد اختبر أيضاً مؤازرة الروح له فى تلك المواقف. أما الهاربون دوماً من الضيق، والمتعاونون مع العدو فلا يحتملون ضيقة المواجهة الأخيرة لأنهم لم يختبروا أبداً مساندة الروح فى الآلام:

" إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم" (يو١٥: ٢٠)؛

" تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو١٦: ٢٠)؛

" وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة. فلا تخافوا" (مت١٠: ٣٠، ٣١، لو١٢: ٧)؛

" ها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠).

(٥) إن المجازاة أعظم من كل الآلام وتتضاءل بجانبها كل تضحية مهما عظمت. والذين لا يحيون بالإيمان، لا يستطيعون تجاوز الواقع المؤلم، ويضيقون بالاضطهاد ويصعب عليهم قبوله، ولا يجدون عزاء عندما يقعون تحت وطأته:

" كن أميناً إلى الموت فسأعطيك إكليل الحياة" (رؤ٢: ١٠)؛

" أن آلام الزمان الحاضر لا تقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو٨: ١٨)؛

" كل من ترك... من أجل اسمى، يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية" (مت١٩: ٢٩)؛

" لكنى لست أخجل، لأنى عالم بمن آمنت، وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعتى إلى ذلك اليوم" (٢تى١: ١٢)؛

" قد جاهدتُ الجهاد الحسن. أكملتُ السعى. حفظتُ الإيمان. وأخيراً قد وُضع لى إكليل البر" (٢تى٤: ٧، ٨). (٢تى٤: ٧، ٨).

❋ ❋ ❋

والمطلوب منا ليس أقل مما اختبره وعاش به الشهيد حتى استطاع أن يعبر محنة الاستشهاد ويفوز بالإكليل. وإذ كان الشهيد قد أعلن شهادته الدم المسفوك[٢]، فإن شهادتنا هى إعلان إيماننا بالفعل والقول أمام العالم

(٢) الشهيد بموته وسفك دمه يمجد الله (كما كشف الرب لبطرس عند لقائه بعد قيامته بالتلاميذ على بحر طبرية - يو٢١: ١٩). والاستشهاد بسفك الدم - كما يقول بعض الآباء - يكافئ سر المعمودية (الذي هو موت وقيامة مع المسيح - رو٦: ٣-٥)، فهو أيضاً ميلاد ثان، ومن لم يعتمد قبل سفك الدم (مثل اللص اليمين) هو اعتمد للرب باستشهاده واستعداده المسبق للموت من أجل الإيمان بالمسيح.

الذى يحاصرنا ويضغط علينا بكل ثقله كى ننهار وننسلخ عن تبعيتنا للمسيح:

(١) بمحبتنا للمسيح قبل، وأكثر من أى أحد، وأى شئ، ورضانا شاكرين باحتمال الآلام والاضطهاد والتمييز من أجله، واستعدادنا بالنية للتخلى عن الحياة دون التنازل عن ارتباطنا بالمسيح والكنيسة.

(٢) بسلوكنا بالإيمان لا بالعيان، واستنادنا إلى عمل النعمة فى حياتنا لا إلى المال وعمل الذات.

(٣) برفضنا للخطية ومحبة العالم وتعظم المعيشة، والحياة بالتوبة والنسك والقداسة.

(٤) بمحبتنا للقريب والغريب، والفرح بالعطاء والخدمة أكثر من الأخذ والمكان الأول.

(٥) بالاستقلال عن العالم، ورفض المواقف الوسط الخادعة التى لا تظهر خضوعنا للعالم بشكل سافر، وتعطينا راحة كاذبة بأننا نرضى الله.

(٦) بالتطلع إلى الأبدية والوطن السماوى كهدف لا يغيب مهما كانت رفاهية الحياة لأنها محدودة بالموت.

بهذا نشارك نحن أيضاً فى الشهادة للمسيح ونعيّد للشهداء:

" والآن أيها الأولاد اثبُتوا فيه، حتى إذا أُظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه" (١يو٢: ٢٨).

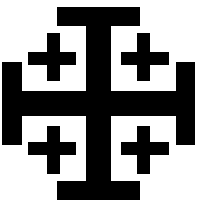

قضية الاضطهاد

ربما يحسب البعض أنه كان للاضطهاد عصوره وأنه قد تصاعد طـــويلاً ولكنه قد انحسر فيما بعد وعفا عليه الزمن. وإننا إذ دخلنا عصر حقـــوق الإنسان فلا مجال لحديث الآن عن اضطهاد أو استشهاد.

وربما قَصَرَ البعض مجالات الاضطهاد حالياً فيما تعانيه بعض الأقليـــات المسيحية هنا وهناك من اعتداءات أو تمييز في الحقوق الاجتماعية وحريـــة العبادة، ويراها ضد التطور الطبيعي للحياة الإنسانية وأن المجتمـــع العـــالمي سيتكفل بحصارها واستئصالها طال الزمن أو قصر.

فهل يترتب على هذا أن اضطهاد المؤمنين غير وارد في المجتمعات ذات الأغلبية المسيحية؟

وهل سقطت كلمات الكتاب التي تؤكِّد حتمية ودوام المواجهة بـــين المؤمنين -أينما كانوا - وبين العالم من حولهم، وأنها ستظل قائمـــة حـــتى انتصار الرب الأخير في مجيئه الثاني؟

أولاً : عن المواجهة بين العالم والكنيسة

لا يمكن القول إن ما سبق الرب ونبَّه إليه تلاميذه عمَّا سيُلاقونه في خدمتهم (وعن مساندة الروح القدس لهم) قد انتهت صلاحيته بنهاية عصر التلاميذ. ولكنه يظل موجَّهاً بالطبع لكل الخدام وسائر المؤمنين في كل زمان ومكان، فجميعهم تلاميذ: "اذهبوا **وتَلْمذوا جميع الأمم** وعمِّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (مت ٢٨:١٩). كما أن تعاليم الرب لم تكن مقصورة على مَن سمعوها منه بآذانهم، ولكنها لكل مؤمن يقرأ ويسمع كلمة الله منذ أن دُوِّنت وإلى آخر الأيام. وتعالوا نقرأ:

(١) "(وقال للجميع) إن أراد أحد أن يأتي ورائي **فليُنكر نفسه ويحمل صليبه (كل يوم) ويتبعني.**" (مت ١٦:٢٤، مر ٨:٣٤، لو ٩:٢٣)؛ **"ومَن لا يحمل صليبه ويأتي ورائي فلا يقدر أن يكون لي تلميذاً"** (لو ١٤:٢٧)؛ "بِعْ كل ما لك... **وتعالَ اتبعني حاملاً الصليب"** (مر ١٠:٢١).

فالإيمان وتبعية المسيح يتضمنان بالضرورة إنكاراً للذات وانفصالاً عن العالم الشرير. فالصليب الذي نحمله (والذي يحملنا) يقف بيننا وبين العالم، يصلبه لنا ويصلبنا له: **"مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيَّ"** (غل ٢:٢٠)، **"أما من جهتي فحاشا لِي أن أفتخر إلاَّ بصليب ربنا يسوع المسيح الذي به قد صُلِبَ العالم لي وأنا للعالم"** (غل ٦:١٤)، **"ولكن الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات"** (غل ٥:٢٤)

فليس غريباً على كنيسة رأسها وسيدها مكلَّلٌ بالشوك ومخضَّبٌ بالدم أن تصير الآلام عنصراً أصيلاً في كيانها. وكما هي تنهض بقوة قيامته، فهي تتقوَّى بشركة آلامه (في ٣:١٠).

(٢) "إن كان العالم يُبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم. لو كنتم من العالم لكان العالم يُحبُّ خاصته. ولكن لأنكم لستم من العالم، بل أنا اخترتكم من العالم، لذلك يُبغضكم العالم... إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم"(يو ١٥:١٨-٢٠)؛ **"في العالم سيكون لكم ضيق"** (يو ١٦:٣٣)؛ **"بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله"** (أع ١٤:٢٢)؛ **"جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون"** (٢تي ٣:١٢).

فطالما نحن نسير على درب المسيح وفي إثر خطواته، فسينالنا ما ناله من مقاومة العالم الشرير. فقانون العالم يتفق مع قانون المسيح في نقطة واحدة: إما أن نكون للعالم، أو نكون للمسيح: **"مَن ليس معي فهو عليَّ، ومَن لا يجمع معي فهو يُفرِّق."** (مت ١٢:٣٠، لو ١١:٢٣)

ويصير منطقياً، إذاً، أن يضيق بنا العالم ويعسر عليه أن يحتملنا، ويصير كل مَن يتبع المسيح موضعاً لمقاومة الشهوة، ومُحركاً لبغضة العالم وعداوته، هذا العالم الذي يجتهد أن يهز إيمانه وينقله من موقف الخصم العنيد إلى موقف الأسير الذليل: "ولكن **كما كان** حينئذ الذي وُلد حسب الجسد (إسماعيل) يضطهد الذي حسب الروح (إسحق)، **هكذا الآن أيضاً"** (غل ٤:٢٩).

يمكن القول إن علامة صدق إيماننا هي أن العالم يُبغضنا. وعلينا أن نفحص أنفسنا من جهة استحقاقنا المستمر لبغضة العالم هذه لئلا تمضي بنا الأيام فنشتهي مع العالم صُلحاً. ولنحذر إقبال العالم وانفتاحه علينا واندماجه فينا وعدم تعرُّضنا لاضطهاده: **"ويلٌ لكم إذا قال فيكم جميع الناس حسناً"** (لو ٦:٢٦)؛ فلعل هذا يكون علامة أننا تنكَّبنا الطريق وراء المسيح ورضينا بأن نلقي عنا صليبه وأن نخونه في بيت أحبائه.

(٣) "لا يقدر أحد أن يخدم سيدين" (مت ٦:٢٤)؛ **"لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم"** (١يو ٢:١٥)؛ **"لا تكونوا تحت نير مع غير المؤمنين، لأنه أية خلطة للبر والإثم؟ وأية شركة للنور مع الظلمة؟ وأيُّ اتفاق للمسيح مع بليعال؟ وأيُّ نصيب للمؤمن مع غير المؤمن؟ وأية موافقة لهيكل الله مع الأوثان؟"** (٢كو ٦:١٤-١٦)؛ **"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"** (عب ١٢:٤).

والمؤمن مُطالَب أيضاً أن يكون في موقف المحارب المقاوِم: **"فقاوموه راسخين في الإيمان"** (١بط ٥:٩)، مشتركاً في "احتمال المشقات **كجندي صالح ليسوع المسيح"** (٢تي ٢:٣)، عابراً من **الباب الضيِّق**، وسائراً في **الطريق الكَرِب** (مت ٧:١٣و١٤، لو ١٣:٢٤)، وأن يرفض الحلول الوسط أو الحياد، أو الشركة المؤقتة، وأن يكون استقلاله عن العالم ساطعاً لا لَبْس فيه. ففي هذه المواقف مع العالم لم يأتِ المسيح ليُلقي سلاماً واتفاقاً بل **سيفاً وانقساماً** (مت ١٠:٣٤).

فهذه الحرب قد فُرضت علينا فرضاً عندما قبلنا المسيح مخلِّصاً. واضطهاد المؤمن الحقيقي من الخارج (العالم) ومن الداخل (الجسد) ليس أمراً عارضاً، ولكنه في صميم الحياة المسيحية. ولا طريق أمامنا غير رفض المصالحة ومواصلة الجهاد دون تراجع: **"هاربين من الفساد** الذي في العالم بالشهوة" (٢بط ١:٤)، مستندين إلى وصية الله و**"ناظرين إلى رئيس الإيمان ومُكمِّله يسوع"** (عب ١٢:٢).

(٤) على أننا لا ننشد الاضطهاد، لأننا مرضى نفسيون، أو أننا متشائمون نتفادى الفرح ونتوجس من مباهج الحياة، أو أننا نتلذَّذ بالألم ونفتش عنه، أو نسعى وراء تقدير الناس وتمجيدهم كمحتملين للعذاب أو كشهداء من أجل المبادئ. فسيف الاضطهاد مؤلم، ومحنة المؤمن في هذا

العالم شديدة، ولكن الآلام مقبولة - رغم كل شيء - فقط لأنها حصاد تبعيتنا للمسيح الذي أحبنا وأسلم ذاته لأجلنا، ولأن طريق الصليب هو الطريق الوحيد للنور الأبدي: **"وُهبَ لكم لأجل المسيح لا أن تؤمنوا به فقط، بل أيضاً أن تتألموا لأجله"** (في ١:٢٩). فنحن بقبولنا المسيح، لا نسعى للاضطهاد، ولكن الاضطهاد هو الذي يسعى إلينا. والقديس أثناسيوس صار ضد العالم Contra Mundum، لأن العالم تحالف ضده.

ثانياً : الاضطهاد اليوم : تغيَّرت الوسائل والأهداف واحدة

قد يتغيَّر شكل الاضطهاد ووسائله بتغيُّر الزمن، ولكن مضمونه وهدفه باقٍ على حاله لا يتغيَّر أو يتوقَّف إلاَّ بنهاية الأيام؛ ذلك أن محرِّكه في كل العصور واحدٌ، وهو إبليس رئيس هذا العالم (يو ١٦:١١)، خصمنا الذي لا يهدأ ولا يهادن، والذي يجول من حولنا كأسد زائر ملتمساً مَن يبتلعه (١بط ٥:٨)، وهو المشتكي علينا أمام إلهنا نهاراً وليلاً (رؤ ١٢:١٠)، وهو الذي له في كل عصر صورة ووجه، وله مع كل مؤمن أسلوب، وهو أحياناً يستخدم نفس أدواته القديمة بعد أن يجدِّدها ويصقلها لتُلائم العصر:

(١) أول مصادر المقاومة وأقربها إلى المؤمن هو **ذاته وإنسانه العتيق وخبراته الخاطئة الماضية**، فكم تؤرِّق المؤمن محاربات الداخل التي يثيرها إبليس.

(٢) وكم يُضطهد المؤمن أحياناً من عائلته، فتُشهِّر به، وتُعطِّل مسيرته ودعوته، وتُحارب خدمته، وتسخر منه. والرب نفسه عانى من أقرب الناس إليه: **"ولما سمع أقرباؤه، خرجوا ليمسكوه لأنهم قالوا إنه مختل"** (مر ٣:٢١)، حتى أنه قال: **"وأعداء الإنسان أهل بيته"** (مت ١٠:٣٦).

(٣) وكم يُضطهد المؤمن اليوم **باستغلال التقنيات الحديثة والفنون في تزيين الخطية** (والخطايا الجنسية بالذات). فلم يَعُد العالم يُقدِّم الخطية مجرَّدة فجَّة، ولكنه يجتهد أن يعرضها في أجمل صورة ويغلِّفها بأبدع الأقنعة، ويكرِّس كل مواهب العقل الإنساني وقدراته الحديثة في خدمتها، ليس فقط لتصير مقبولة غير مُنفِّرة، وإنما مُغرقة في الإبهار، سواء في الكتاب والقصة والمجلة أو في الفيلم والصورة الملونة عَبْر الأقمار الصناعية (على القنوات التلفزيونية العالمية والشبكة الدولية) التي تدخل إلى كل بيت بحكم التطور(١). إضافة إلى استغلال الموسيقى والأغنية والأماكن المترفة (كل هذا باسم الثقافة والترفيه)، فضلاً عن موجات الانحلال المختلفة في الملبس والزينة (باسم الموضة) وألوان الرقص الخليع بالغ الإثارة (باسم التسلية والتحضُّر وترويض الغريزة).

كما لا نغفل هذه الإباحية الجنسية التي تسود الغرب - والتي تزحف علينا بكل الوسائل - باسم الحرية والتربية الواقعية والعولمة وحتى حقوق الإنسان! فبصورة عامة لم تَعُد العلاقات الجنسية قبل الزواج معيبة خاطئة، وإنما على العكس مؤهِّلاً طبيعياً للارتباط (دون زواج) أو للزواج! وحتى الشذوذ الجنسي الذي كان في الماضي يثير الاستهجان والتقزُّز (والذي يشير اسمه إلى أنه ضد الطبيعة)، عُدِّل اسمه ليصير الجنسية المثلية، وصار في بعض بلاد الغرب حقًّا من حقوق الإنسان يكفله القانون، وتقوم من أجل قبوله التظاهرات، ويُدان مَن يُشهِّر بمن يمارسونه!

وعلى الناحية الأخرى اعتُبرت الطهارة تخلُّفاً حضارياً وتعبيراً عن نفسيات معقدة تناهض الطبيعة. واستُهلكت الغرائز، التي أودعها الله فينا لخيرنا، لحساب

---

(١) لابد أن نشير هنا إلى كيف استُخدمت وسائل الاتصال الحديثة (مثل التليفونات الذكية والآيباد وغيرها) وبرامج التليفزيون والإنترنت، في سلب الوقت من العبادة أو الدخول في محادثات وعلاقات قد تكون لها عواقبها السيئة.

لذة الجسد وعلى حساب مفهوم الحب المقدس والعائلة المسيحية، وصارت الحرية على عكس الوصية **"فرصة للجسد وسترة للشر"** (غل ٥:١٣، ١بط ٢:١٦).

إن انحسار الخطايا الجنسية بانتشار الإيمان في القرون المسيحية الأولى يتراجع الآن. بينما صار قرن الانتصارات العلمية هو أيضاً قرن التراجُع الخلقي وانتشار الخطية الفاجرة وارتفاع صوتها دون خجل أو مواربة، بل بكل جسارة وتبجُّح وتحدٍّ وادِّعاء وتفاخر: **"مجدهم في خزيهم"** (في ٣:١٩)، كأنما صارت هي الحق المطلق! وأن حياة القداسة والعفة هي الانحراف المريض والتخلُّف الحضاري ومجافاة الطبيعة!

وسط هذا الجو الموبوء بلذة الجنس والخمر والمخدرات، يتحرَّك المؤمنون والمؤمنات المتمسِّكون بطهارتهم كالسائرين على الجمر، يتعرَّضون للسخرية والعزلة كأنهم مرضى نفسيون لا يسندهم سوى إيمانهم بالمخلِّص الذي حرَّرهم، وثقتهم في غلبته في النهاية.

(٤) العالم يضطهد المؤمن **بسلاح المال** في وقت تنتشر فيه عبادة المال في كل مكان، فيحجبه عنه ليورِّثه الهمّ أو الإحساس بالظلم، أو يغريه به للتخلُّص من ضائقته على حساب مبادئه والتزامه، أو يحفزه للتطلُّع إلى حياة أكثر رفاهية وتنعُّماً حتى يترلق إلى محبة العالم ويتوه منه هدفه الأبدي.

(٥) العالم يتسلل إلى العائلة المسيحية ويجعلها **تختلف وتنقسم** على أمور ميتة (كالمال مثلاً) مستثيراً في القلب الطمع ومحبة الذات، أو **يغري بالخيانة** والتحلُّل من التعهُّد خضوعاً للشهوة، وقد ينخدع البعض وتكون النتيجة بيوتاً منهارة وضحايا كباراً وصغاراً.

(٦) بينما يرى البعض أن التقدُّم العلمي الهائل واقتحامه لكل المجالات حتى الفضاء الخارجي، وانتصارات الطب المختلفة وتطلُّعاته لحل مشاكل الإنسان، واستخدام الهندسة الوراثية في الطب والإنتاج الزراعي والحيواني وغيرها من ألوان البحث؛ كلها تمجِّد الله الذي وهب الباحثين (حتى غير

المؤمنين منهم) هذه القدرات، **فإن العالم المضلّ يستغل الفكر العلمي المجرَّد لهزِّ إيمان البسطاء** وتقديم العلم على أنه التحدِّي المعاصر للإيمان بحيث يفقدون ثقتهم في قدرة الله وأنه ضابط الكل.

نعم، كان هناك وقت تجاوزت فيه الكنيسة الغربية اختصاصها ودخلت في خصومة مفتعلة مع العلم والعلماء، بل واقتادت بعضهم إلى الموت في محاكمات ظالمة. ولكن هذا العهد انقضى بل - في اعتذار علني شجاع - أعادت الكنيسة الاعتبار إلى العالِم **جاليليو**، كما تراجعت عن مناوأة نظرية التطور. وعلى مر السنين ظهرت كتابات عظيمة تُصالح بين الدين والعلم وتؤكِّد أن كلاً منهما في النهاية يقود إلى تمجيد الله: الدين عن طريق الإيمان، والعلم عن طريق المعرفة والبحث. ولكن يبقى لكلٍّ منهما الدائرة التي يعمل في نطاقها دون أن يُعادي أحدهما الآخر. العلم الصحيح ليس ضد الله، بل إنه في خدمة الله والإنسانية، إنه نتاج الرحمة ومحبة المريض والفقير والمحتاج والجائع وتيسير حياة الناس. والمؤمن لا يهاب تقنيات العالم الحديثة أو ينفر منها، بل هو يستخدمها في المعرفة والعلم والعمل والاتصال لمجد الله، وهي ليست عنده أدوات لتغذية الشهوة.

(٧) وأليست محنة للمؤمن، وهو يرى **نزعات الإلحاد والشكّ** تجتاح شعوباً بأكملها كانت يوماً تتعبَّد للمسيح، وغيرهم ملايين يعبدون حتى الآن آلهة غريبة؟

(٨) العالم يضطهد المؤمن بمحاولة **التسلُّل إلى الكنيسة وضربها من الداخل**، فيُغريها بالزعامة والشهرة أو بوفرة المال، أو بالعمل بالسياسة، ويجتذبها إلى أن يكون لها رأي في كل مجال، أو أن تتحوَّل إلى العمل الاجتماعي دون أن يقترن ذلك بالكرازة بالخلاص بهدف أن تختلط بالعالم وتذوب فيه فتفقد مصدر قوتها ويتراجع دورها في الشهادة للحق. ومن ناحية أخرى فإن العالم وأبواقه يستغل خطايا قلة من رجال الدين كي

يُشهِّر بالكنيسة والمتدينين ويُلقي بالظلال على استقامة الجميع ويُعطي راحة للخطاة في خطيتهم.

(٩) وأليس من المؤلم لنفس المؤمن أن يرى العالم متَّحداً ضد الكنيسة، جسد المسيح، **كي تستمر منقسمة إلى كنائس ومذاهب**، راضية بتفتيت الجسد الواحد ومقاومة محاولات الوحدة حفاظاً على المكان الأول؟

(١٠) وفي مجال الخدمة يضطهد العالم الخدَّام بإثارة التطلُّع إلى المكان الأول **والتحلُّل من قانون "الرجوع مثل الأولاد"** (مت ١٨:٣)، وقانون **"غسل الأرجل"** (يو ١٣:١٤) اللذين اشترط الرب على خدَّامه الالتزام بهما، أو بأن **تتحوَّل الخدمة إلى الشكلية**، دون عمل روحي حقيقي أو كرازة بالتوبة.

(١١) وبالنسبة للمؤمن العادي، فإن العالم يضغط بكل السُّبُل لإلهائه عن خلاصه وتوبته وعبادته ومعرفة الكلمة، **وأن يكتفي بشكل العبادة دون فاعليتها وصورة التقوى دون قوتها**، أو أن يترلق إلى حياة مزدوجة يريد فيها أن يخدم سيدين (ولن يستطيع)، أو أن يتحلل من الالتزام الإيماني ومعرفة المسيح كي يتفادى عداء المتعصِّبين من غير المسيحيين.

(١٢) والقائمة طويلة، ولكن ربما تجدر الإشارة هنا إلى الاضطهاد النفسي والظلم الاجتماعي وألوان التمييز المختلفة وما يتفرَّع عنها من عشرات التفاصيل خاصة عندما يكون المؤمنون أقلية عددية وسط كثرة مناوئة.

ثالثاً : سبيلنا إلى الغلبة

إن النفوس المنتمية إلى الرب تُدرك أنه لابد من مواجهة العدو ومقاومته. فالتهرُّب من المواجهة والرضوخ للعالم هو إنكارٌ للإيمان وبيعٌ للنفس الثمينة دون مقابل. ومن هنا فلنكن دوماً مستعدِّين لابسين سلاح الله الكامل لكي نقدر أن نثبت ضد مكائد إبليس (أف ٦:١١)، واضعين أمامنا الاعتبارات التالية:

(١) إن مفتاح الغلبة الوحيد على كل هذه الألوان من الاضطهادات وما يستجدّ منها، هو في الارتماء على الرب يسوع والتعلُّق بذراعه الرفيعة **"مَن هو الذي يغلب العالم، إلاَّ الذي يؤمن أن يسوع هو ابن الله"** (١يو ٥:٥)؟ فهو وحده القادر أن يُعطي قوة المواجهة والصمود أمام العدو مهما كانت الواجهة التي يتخفَّى وراءها، ويمنح إمكانية القلع والقطع والبتر واحتماله مهما كان مؤلماً (مت ١٨:٨و٩، مر ٩:٤٣و٤٥و٤٧). وهو وحده القادر أن يكشف لنا الموت الكامن في كأس العالم المسموم مهما كان بريقه وجماله. وهو وحده القادر أن يفتح لنا أبواب الأبدية فنتعزَّى بمرآها عن كل مجد العالم الزائل (١يو ٢:١٧).

(٢) إن إيماننا بالمسيح الذي غلب (يو ١٦:٣٣، رؤ ٦:٢) هو عطية الله لمغالبة كل ضُروب الألم. والكتاب يروي لنا عن: **"الذين بالإيمان قهروا ممالك، صنعوا برًّا، نالوا مواعيد، سدُّوا أفواه أُسود، أطفأوا قوة النار، نَجَوا من حدِّ السيف، تَقَوَّوا من ضعف، صاروا أشداء في الحرب، هزموا جيوش غرباء"** (عب ١١:٣٣و٣٤). هؤلاء ارتفعت في عيونهم قيمة الأبدية، فتصاغرت قيمة الحياة الحاضرة. ومن هنا يمكن أن نفهم كيف لم يقبلوا النجاة **"لكي ينالوا قيامة أفضل"** (عب ١١:٣٥).

كما أن اختبارنا اليومي لمحبة المسيح لنا يجعلنا راضين عن كل ما يختاره لأجل خلاصنا وتزكية إيماننا، آلاماً كانت أم أفراحاً، عالمين "أن كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله" (رو ٨:٢٨). **فالمسيح راعينا الأمين يراقب كل شيء ولا بد أن مستندات الآلام التي نجوزها قد عُرضت عليه وصدَّق عليها بموافقته. ولكن عينه علينا، وهو لأمانته لا يسمح للآلام أن تتجاوز غرضها المبارك بل يجعل معها المنفذ** (١كو ١٠:١٣)، كما أنه لا يجعل عصا الخطاة تستقر على نصيب الصدِّيقين (مز ١٢٥:٣). وهو لن يترك

بلا تأديب كل الذين اشتركوا في اضطهاد مؤمنيه، حتى وإن كانوا - من حيث لا يقصدون - سبباً في تمجيدهم الأبدي.

(٣) إن المؤمن الحقيقي يُدرك أنه ينتسب إلى ملك الملوك، الذي خرج غالباً ولكي يغلب (رؤ ٦: ٢)، وهو المخلِّص الوحيد، وديَّان الأرض كلها. فهو يشعر دوماً بقوته المستندة إلى قوة إلهية. ومن هنا فلا مكان عنده لعقد الاضطهاد أو هموم الأقليات التي تُرهق المؤمنين الشكليين.

(٤) الإيمان الحقيقي يغلب الذات ومحبة الحياة الحاضرة بما تتضمنه من محبة العالم والمال، ويستثير التوبة، ويُحقِّق الطهارة الباطنية واستقامة القلب. وواضح أن النصرة على الخارج لن تكون مكفولة إن لم تتم النصرة على الداخل أولاً.

والمؤمن (والمؤمنة) وهو يحفظ نفسه طاهراً (١تي ٥:٢٢) يُدرك أنه مدعوٌّ لحياة القداسة، وأنَّ جسده هو هيكل للروح القدس (١كو ٦:١٩) وليس للأوثان، وأن كل أعضائه هي للمسيح (١كو ٦:١٥)، وأن الحرية التي كفلها له موت المسيح وقيامته هي خروج من سجن الخطية، ومن هنا فنداءات العالم الذي يركض إلى فيض الخلاعة (١بط ٤:٤) لا تجد صداها عنده، لأنها تنكسر عند باب قلبه بمساندة الروح. وبهذه الطهارة يُقدِّم المؤمن نفسه لله بتولاً مكرَّساً، أو يتهيَّأ لزواج مقدَّس تمتد به الكنيسة. وهكذا تعمل الغريزة لحساب الحياة الأبدية لا لحساب اللذة والموت.

وتصير مسئولية كل مؤمن يهاجر إلى مجتمعات تُجاهر بخطيتها أن يثبُت على ما تعلَّمه (٢تي ٣:١٤)، وأن يبشِّر بالقيم المسيحية في السلوك والحب والزواج وحماية العائلة - كنيسته الصغيرة - من الفساد الذي في العالم **"مُقدِّماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة"** (تي ٢:٧). وهو في

هذا يسلك كتلميذ لذاك الذي مات من أجله، وواثقاً في قوة برِّ المسيح الذي غلب الخطية على الصليب، والقادر وحده أن ينقذه من أن تقترب النار منه، كما أنقذ لوطاً من قبل (٢بط ٢: ٧): **"يَعْلَم الرب أن يُنقذ الأتقياء من التجربة، ويحفظ الأَثَمَة إلى يوم الدِّين مُعاقَبين، ولا سيما الذين يذهبون وراء الجسد في شهوة النجاسة"** (٢بط ٢: ٩و١٠).

(٥) إننا نثق في عدالة الله وحبه لخليقته ودوام اتصاله بها. إن الملايين التي لم تعرف المسيح بعد وتوارثت عبادة آلهة غريبة هي موضوع رعاية الله، وهو يرتِّب لها مَن يُبلِّغها كلمة الخلاص في الوقت الذي عيَّنه. والكتاب يشير إلى أن **"كثيرين يُدْعَوْن وقليلين يُنتخبون"** (مت ٢٠: ١٦). ولكن عند الله خططه التي لا نعرفها. فالشيوعية عاشت سبعين سنة منعت خلالها العبادة واستخدام الكتاب المقدس، ولكنها انهارت بضربة واحدة، وسطع نور المسيح من جديد في أنحاء روسيا وغيرها من بلاد أوروبا الشرقية. كما أن قصص التحوُّل الكثيرة إلى المسيح في مجتمعات تنكره كمخلِّص لمَّا يملأ القلب يقيناً من جهة قدرة الله المعجزية على اقتحام معاقل العدو مهما تحصنت، وأنه لا حدود هناك أمام عمل الروح القدس.

ولابد أن نشير هنا إلى الدور الإيجابي الذي لعبته الشبكة الدولية أو البينية Internet فصارت الأداة الإلهية للكرازة بالمسيح في أخر الأيام، فبها اخترقت حدود الدول بغير مانع لتصل كلمة الله إلى بلاد كانت تتحصن داخل حدودها ضد الإيمان، فاجتاحها خلاص المسيح.

(٦) إن قوة الكنيسة هي من الأعالي وليست من البشر. والروح القدس هو الذي يكشف بين الحين والحين نواحي القصور وأسباب الضعف ويُعالجها، مستخدماً شهوده الأمناء الذين يُرسلهم في كل جيل. كما أن

حضور الروح القدس في الكنيسة، عروس المسيح، هو سر نقائها، ولن تُلوِّثها خطايا بعض البشر. وسيظل رأس الكنيسة ملك الملوك ورب الأرباب هو عنوان طهارتها، وغيرته على بيته وتدخُّله لطرد المفسدين لن تتوقَّف.

ومن ناحية أخرى، فإن الروح القدس سيُلهم جسد الكنيسة - ورأسها واحدٌ هو المسيح - إلى الاتجاه إلى الوحدة في الوقت المعيَّن أيضاً، وعلينا ألاَّ نفقد رجاءنا أبداً.

(٧) يسوع المسيح هو ملكنا الأبدي الذي سيدين يوماً سرائر الناس، حيث سيُميِّز الخراف عن الجداء: لهؤلاء المجد، ولأولئك خزي الوجوه. وقتها يستدُّ كل فم تحدَّى، وتنحني كل رأس شمخت، وتتلقَّى كل النفوس التي لم تؤمن بالابن غضب الله الأبدي (يو ٣:٣٦)، ووقتها أيضاً: **"يُضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم"** (مت ١٣:٤٣)، وتعلو هاماتهم أكاليل البر (٢تي ٤:٨). لقد زرعوا يوماً بالدموع والآن يحصدون بالفرح.

* * *

حرب الاضطهاد، إذاً، هي حرب محكوم فيها على العالم ورئيسه وأعوانه بالهزيمة. وهذه هي كلمات الكتاب تسندنا في جهادنا:

"ثقوا أنا قد غلبتُ العالم" (يو ١٦:٣٣)؛

"أما الظالم فسينال ما ظلم به، وليس محاباة" (كو ٣:٢٥)؛

"إذ هو عادلٌ عند الله أن الذين يُضايقونكم يُجازيهم ضيقاً، وإيَّاكم الذين تتضايقون راحةً معنا، عند استعلان الرب يسوع من السماء مع ملائكة قوته" (٢تس ١:٦و٧)؛

"وإبليس الذي يُضلُّهم طُرح في بحيرة النار والكبريت، حيث الوحش والنبي الكذَّاب. **وسيُعذَّبون نهاراً وليلاً إلى أبد الآبدين"** (رؤ ٢٠: ١٠).

* * *

وبعد، فإن بركات احتمال الاضطهاد هي وقفٌ على الشركاء الحقيقيين لآلام الرب يسوع(٢)؛ أما المضطهَدون الأدعياء الذين يتمسَّحون بالمؤمنين ويتظاهرون بالإيمان دون أن يتكلفوا أي عناء أو يدفعوا أي ثمن، فهم يريدون أن يستروا اتفاقهم مع العالم بالمعاناة المصطنعة والكلام المزيَّف؛ أما الذين يتحمَّلون آلاماً بسبب قبولهم للخطية وانصياعهم لها، فليس لهؤلاء مع المسيح نصيبٌ.

---

(٢) بالطبع فإن الحياة عموماً لا تخلو من الآلام، وبعضها يسحق القلب من المرض والفقر والمجاعات وثورات الطبيعة التي لا ترحم طفلاً أو شيخاً أو حيواناً، إلى ويلات الحروب من خراب وقتلى ومشوَّهين وجرحى ومُهجَّرين وعداءات لا تنتهي، ثم حرب الإرهاب والحرب المضادة والأبرياء الذين يفقدون الحياة أو يشوَّهون ويُعانون في الحالَين، فضلاً عن ألوان الإعاقة الذهنية والجسدية، واستغلال الإنسان للإنسان، إلى آخر قائمة البؤس الإنساني.

بعض هذه الجوانب من ميراث خطية الإنسان، وبعضها يسمح به الله كي يُمارس الإنسان خدمة الرحمة ويقترب من أخيه الإنسان. وبعضها يصعب علينا فهمه فنُردِّد مع القديس بولس: **"يا لَعُمق غِنَى الله وحكمته وعلمه! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطُرُقه عن الاستقصاء"** (رو ١١: ٣٣)، وإنما هي تعبيرٌ عن أن **"العالم كله قد وُضِعَ في الشرير"** (١يو ٥: ١٩)، وأن النقص هو من طبيعة هذه الحياة التي ستكمُل في الأبدية.

فالإنسان متألِّم على أي حال، والملايين الذين استوفوا البلايا والمحن وضروب العذاب في هذه الأرض (مثل لعازر ــ لو ١٦: ١٩ــ٣١) ستكون لهم في القيامة راحة بصورة ما تُحقِّق العدل الإلهي. ولكن يتعالى جداً بما لا يُقاس قدر ومكانة الألم من أجل الإيمان وبسبب تبعية السيِّد. هذا الألم هو هبة المسيح لأحبائه وشركة في المجد وسُكنى في النور مع الرب وقديسيه إلى الأبد.

استشهاد يوحنا المعمدان[1]

إنجيل قداس **الأحد الأول من شهر توت** (لو٧:٢٨-٣٥) يسجل شهادة الرب عن ملاكه الذي سبقه ليهيئ الطريق قدامه. وقد اختارت الكنيسة هذا الفصل في هذا الموعد القريب من بداية العام الجديد لتقويم الشهداء المصري **باعتبار القديس يوحنا المعمدان أول شهداء الإيمان المسيحي.** فهو وإن كان آخر أنبياء العهد القديم، فهو في نفس الوقت المُرسَل لإعلان العهد الجديد بمجئ **"حمل الله الذي يرفع خطية العالم"** (يو١:٢٩). **ففيه إذاً يلتقي ويتصل العهدان القديم والجديد.**

ونحن هنا نعرض لخدمة **القديس يوحنا المعمدان** ورسالته العظيمة التي ختمها بالدم.

(١) من المقالات ذات العلاقة: **"الصارخ في البرية"** (مجلة **مرقس**، ديسمبر ٢٠٠٤، ص ٢٥)، **"نبي العهدين"** (مجلة **مدارس الأحد**، سبتمبر ٢٠٠٩، ص ١٤) .

أولاً : الشهادات عن يوحنا المعمدان :

(١) شهادة الأنبياء :

قبل **يوحنا** بأربعمائة وثلاثين سنة، كتب **ملاخي النبي** هذه النبوة عن الدور الذي اختارته ليوحنا خطة الله للإعداد لبُشرى الخلاص: **"هأنذا أرسل ملاكي فيهيئ الطريق أمامي ويأتي بغتة إلى هيكله السيد الذي تطلبونه"** (مل ٣:١). وهي النبوة التي أشار إليها الرب في حديثه عن يوحنا : **"ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الذي يهيئ طريقك قدامك"** (مت١١:١٠، لو٧:٧)، وذكرها **القديس مرقس** وهو يسجل **خدمة المعمدان** في بداية إنجيله (مر١:٣).

ومن قبل ملاخى بحوالى ثلاثة قرون، كتب **إشعياء** النبي عن رسالة **المعمدان** لشعب إسرائيل بأنه **"صوتُ صارخٍ** (وليس: صوتٌ صارخٌ) **في البرية: أعدَّوا طريق الرب، قوّموا في القفر سبيلاً لإلهنا (اصنعوا سبله مستقيمة)، كل وطاء يرتفع (كل وادٍ يمتلئ) وكل جبل وأكمة ينخفض، ويصير المعوج مستقيما والعراقيبُ سهلاً (والشعاب طرقاً سهلة)، فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر معاً (ويبصر كل بشر خلاص الله)، لأن فم الرب تكلم"** (إش ٤٠:٣-٥).

فهو كمن يأتي في اللحظة الأخيرة الفاصلة لشعب يتهدده الهلاك منذراً أنه الوقت للرجوع والتوبة، ولصغار النفوس وللمتعالين وللمنحرفين والتائهين في دروب الأرض على السواء أن يتغيروا ويتهيأوا لاقتبال "خلاص الله" بالمسيح يسوع.

وقد استعاد **القديس يوحنا المعمدان** هذه النبوة عن نفسه عندما سئل عمن يكون (يو١:٢٣)، كما ذكرها الإنجيليون الثلاثة الأُول عند إشارتهم إلى دور **القديس يوحنا** في الكرازة بالمسيح (مت٣:٣، مر١:٣، لو٣:٤-٦).

(٢) شهادة المسيح :

كان **يوحنا** - السجين في ذلك الوقت - قد أرسل اثنين من تلاميذه إلى يسوع، وبحسب ظاهر الكلام فإنهما كان يحملان تساؤل يوحنا للرب : **"هل أنت هو الآتي أم ننتظر آخر؟"** (مت١١:٣، لو ٧:٢٠). ولكن واقع الكلام وملابسات الأحداث السابقة التي شهد **يوحنا** من خلالها للرب، وقام بعماده في الأردن، وسمع صوت الآب، ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه (مت ٣:١٦، ١٧، مر ١:١٠، ١١) تُوجِّه المعنى إلى أن **يوحنا** أراد لتلميذيه أن يتعرّفا على الرب ويقتربا منه، ويشهدا بنفسيهما ما يجريه من معجزات، وليدركا هما أن هذا هو المسيح الذي أتى لخلاص العالم، وأن ينضما إلى جماعة تلاميذه خاصة وأن **يوحنا** كان في طريقه إلى الموت. فالسؤال مقدَّم بصيغة الجمع (ننتظر)، إذ لو كان السؤال من **يوحنا** كأن الشك - رغم كل شئ - قد داخله في حقيقة الرب، لكان السؤال بالمفرد (ينتظر). وحتى لو قيل إن **يوحنا** يتكلم أيضاً باسم تلاميذه وتابعيه، فهذا مستبعد أيضاً، خاصة أن الرب لم يترعج للسؤال و لم يُلق باللائمة على **يوحنا** ويعلن خيبة أمله فيه، بل على العكس طفق يمتدحه أمام جمهور، كثيرون فيه يرفضون **يوحنا** ولا يعتمدون منه، ويتهمونه أن به شيطان (لو ٧:٣٠، ٣٣)، وهذه كلماته: **"ماذا خرجتم لتنظروا؟ أنبياً؟ نعم، أقول لكم وأفضل من نبي.. لأني أقول لكم إنه بين المولودين من النساء ليس نبي أعظم من يوحنا المعمدان"** (مت ١١:٩-١١، لو ٧:٢٦-٢٨). وأضاف أن **"هذا هو إيليا المزمع أن يأتي"** (مت١١:١٤، ١٧:١٢، ١٣، مر ٩:٣).

فهل هناك شهادة لنبي أعظم من هذه؟ إذ مَن الذي يشهد؟ إنه المُرسِل الأنبياء وديّان الأحياء والأموات. وعظمة يوحنا تأتي أنه كان الملاك المرسل ليهيئ الطريق أمام من هو **أعظم الجميع** (مت١١: ١١، ١٢: ٤١، ٤٢، لو٧: ٢٨، ١١: ٣١، ٣٢).

(٣) شهادة الملاك جبرائيل :

هذا ما قاله **جبرائيل الملاك لزكريا الكاهن** وهو يبخّر في الهيكل مبشّراً إياه بميلاد **يوحنا : "... وكثيرون سيفرحون بولادته لأنه يكون عظيماً أمام الرب وخمراً ومسكراً لا يشرب، ومن بطن أمه يمتلئ من الروح القدس. ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته ليرد قلوب الآباء إلى الأبناء والعصاة إلى فكر الأبرار لكي يهيئ للرب شعباً مستعداً"** (لو١: ١٤-١٧).

فهو **"يمتلئ من الروح القدس"**، وهو يُوهَب " روح **إيليا** وقوته" حتى إنه بكرازته وندائه بالتوبة **"يرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب"**، كما **"يرد قلوب الآباء إلى الأبناء"** الراجعين بعد الغياب، ومن جديد يعيد "العصاة إلى فكر الأبرار" ليحقق هدف إرساليته، سابقاً لملك الدهور، **أن "يهيئ للرب شعباً مستعداً"** لقبول دعوة الخلاص والإفلات من الموت.

(٤) شهادة زكريا الكاهن :

بعد امتلائه من الروح القدس تنبأ **زكريا الكاهن** عن ابنه **يوحنا** يوم مولده قائلاً **".. وأنت أيها الصبي نبي العلي تُدعى، لأنك تتقدم أمام وجه الرب لتعد طرقه. لتعطي شعبه معرفة الخلاص بمغفرة خطاياهم، بأحشاء رحمة إلهنا التي بها افتقدنا المُشرَق من العلاء، ليضئ على الجالسين في الظلمة وظلال الموت، لكي يهدي أقدامنا في طريق السلام"** (لو١: ٧٦-٧٩).

فهو يسبق بثلاثة عقود منبئاً أن هذا الطفل ذا اليوم الواحد سيصير فيما بعد منادياً بالخلاص للشعب الذي افتقده الله بالنور الذي يضئ في الظلمة وظلال الموت.

(٥) شهادة الكنيسة :

في **"مجمع القديسين"** في القداس يأتي **يوحنا المعمدان** تالياً **للقديسة مريم** والدة الإله **(القديس يوحنا المعمدان** السابق والصابغ والشهيد)، وسابقاً **للقديس اسطفانوس**، أول شهداء الكنيسة المسيحية، و**القديس مرقس** أول شهداء كنيسة مصر. كما تأتي أيقونته على حامل الأيقونات، وهو يعمّد الرب في الأردن، تالية مباشرة لأيقونة المسيح ضابط الكل. وكنيستنا تحتفل بعيد ميلاده في الرابع من كيهك، وبعيد استشهاده في الثاني من توت، وتختتم قسمة عيد الغطاس و**أعياد القديس يوحنا المعمدان** بالنداء **"يا يوحنا يا ابن الموعد: شفاعة من أجل خطايانا وذنوبنا"**.

فالكنيسة تقدمه لنا كسابق وصابغ (مُعمِّد) لمخلصنا، ونموذجاً عظيماً للتكريس والتجرد والالتزام والشجاعة في الحق والأمانة حتى الموت.

ثانياً: شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح :

كان **يوحنا** يدرك سمو من يهيّئ الطريق أمامه، وخطورة المهمة التي يؤدّيها في تقديم الرب إلى العالم الموضوع في الشرير، وحثّه على التوبة، وإعداد قلبه لقبول من أتى لخلاصه. والكتاب يسجل له هذه الشهادة المستفيضة:

"أنا أعمدكم بماء للتوبة، ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً (بمستحق) أن أحمل حذاءه، (أنحني وأحلّ سيور حذائه) هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقّي بيدره ويجمع قمحه إلى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تُطفأ" (مت ٣:١١، ١٢، مر ١:٧، لو ٣:١٦، ١٧، يو١:٢٦، ٢٧).

فالفرق بينهما هائل وهو يعترف به : فمعموديته بماء للتوبة، أما معمودية المسيح فبالروح القدس ونار؛ كما أن الرب هو الديّان الذي سيفرز القمح من التبن، والأول مكانه الملكوت (المخزن) والثاني مكانه الهاوية حيث النار التي لا تُطفأ.

وهو يؤكد على ذلك بعد أن جاءه الرب ليعتمد منه فيقول **"هذا هو الذي قلت عنه يأتي بعدي رجل صار قدامي لأنه كان قبلي. وأنا لم أكن أعرفه، لكن الذي أرسلني لأعمد بالماء ذاك قال لي الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس. وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله"** (يو١:٣٣، ٣٤).

وهو يحدد موقعه المتواضع من الرب الذي **هو "فوق الجميع"** مُظهراً الفارق الكبير بينهما : إنه مجرد **صديق العريس**، الذي يعلن فرحه ويقف بعيداً، موجّهاً الأنظار كلها إلى المُحتَفي به وحده، الذي جاء ليبقى ويمتد أثره إلى آخر الدهور، أما هو (أي يوحنا) فيختم رسالته ويتوارى :

"من له العروس فهو العريس وأما صديق العريس الذي يقف ويسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي قد كمل. ينبغي أن ذاك يزيد وأني أنا أنقص" (يو ٣:٢٩، ٣٠)(٢).

ومن ناحية أخرى، **فيوحنا** من الأرض ومن الأرض يتكلم، أما **يسوع** فهو من السماء ومن السماء يتكلم ويشهد بكلام الله، ولأنه من فوق فهو فوق الجميع، فمن يؤمن به ينال الحياة الأبدية، ومن يرفضه يسود عليه غضب الله ويطويه الموت الأبدي، وهذه هي كلماته:

"الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع. والذي من الأرض هو أرضي ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع وما رآه وسمعه

(٢) وهو دفع تلاميذه لكي يتبعوا المخلص، فتلاميذ يوحنا المعمدان (يوحنا وأندراوس) هم باكورة تلاميذ المسيح (يو١: ٣٦-٤٢).

به يشهد .. ومن قَبِل شهادته فقد ختم أن الله صادق. لأن الذي أرسله الله يتكلم بكلام الله.. الآب يحب الابن وقد دفع كل شئ في يده. الذي يؤمن بالابن له حياة أبدية والذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله " (يو٣: ٣١-٣٦).

ثالثاً: مواقف في حياة المعمدان وخدمته:

(١) توبوا:

حددت السماء رسالة **يوحنا المعمدان** وحصرتها في إعداد القلوب بالتوبة للخلاص الذي اقترب (مت ٣: ٢)، وهي وهبته روح **إيليا** النبي الناري للتعامل مع الشعب المعاند غليظ الرقبة.

وهو **"يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا"** (لو٣: ٣)، "خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن **واعتمدوا منه في الأردن معترفين بخطاياهم"** (مت ٣: ٥، ٦). ولكن لما تجاسر كثيرون من الفريسيين والصدوقيين وأتوا إليه كي يعتمدوا راكبين الموجة في نفاق مفضوح، لم يخش بأسهم بل واجههم بشجاعة زلزلتهم قائلاً: "يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. **فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة، ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً، لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم. والآن قد وُضعت الفأس على أصل الشجر، فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى في النار"** (مت٣: ٧-١٠، لو ٣: ٧-٩).

(٢) تعاليم جديدة:

إضافة إلى حثّه على التوبة، يسجل الكتاب أيضاً **للمعمدان** أنه، في ردوده على أسئلة الجموع، كان يجيب بما هو قريب من شريعة العهد الجديد، كما جاء في موعظة الرب على الجبل: **"من له ثوبان فليعط من ليس له. ومن له طعام**

فليفعل هكذا.."؛ ونبّه العشارين المعتمدين منه أن يغيروا نهجهم **"لا تستوفوا أكثر مما فُرض لكم"**؛ ورد على أسئلة الجنود (رمز السلطة) قائلاً: **"لا تظلموا أحداً ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم"** (أي لا تغريكم السلطة فتظلموا، واقنعوا بأجوركم ولا تطمعوا في الرشوة من المواطنين) (لو٣:١٠-١٤).

(٣) يوحنا وهيرودس :

ظل **يوحنا** على شجاعته والمناداة بالحق حتى أمام هيرودس الملك، وذهب إليه في قصره موبّخاً إياه على خطيته بزواجه من هيروديا امرأة فيلبس أخيه قائلاً له : **"لا يحلّ أن تكون لك امرأة أخيك** (الحي)" (مت١٤:٤، مر٦:١٨). فوضعه هيرودس في السجن (وكان ذلك بعد معمودية الرب وقبل أن يبدأ الرب خدمته الجهارية) (مت١٤:٣، مر ٦:١٧، لو ٣:٢٠).

ورغم أن هيرودس كان يهاب **يوحنا** عالماً أنه رجل بار وقديس، وكان يحفظه وإذ سمعه فعل كثيراً وسمعه بسرور" (مر٦:٢٠). ولكن تعلقه بهيروديا جعله يفكر في التخلص منه، وإن كان يخاف الشعب "لأنه **(أي يوحنا)** كان عندهم مثل نبي" (مت١٤:٥)، حتى جاء اليوم الذي حقق فيه هيرودس وهيروديا أمنيتهما. ففي حفل عشاء أقامه هيرودس يوم ميلاده رقصت ابنة هيروديا، فانتشى الملك وأقسم لها أنها مهما طلبت يعطيها إياه ولو إلى نصف مملكته **(!)** "فخرجت وقالت لأمها: ماذا أطلب؟ فقالت رأس **يوحنا المعمدان** " ولما سمع الملك حزن جداً واغتم، ولكنه لم يستطع التراجع عن قَسَمه أمام المجتمعين" فمضى (السياف) وقطع رأسه في السجن وأتى برأسه على طبق وأعطاه للصبية والصبية أعطته لأمها" (مت١٤:٦-١١، مر٦:٢١-٢٨).

هكذا انتهت حياة **المعمدان**، ولكن شبحه ظل يؤرّق ضمير هيرودس، وبقى يخاف ذكر اسمه، حتى إنه لَمّا سمع عن المسيح وأعماله كان يقول لغلمانه: " هذا هو **يوحنا المعمدان** (الذي قطعت أنا رأسه) قد قام من الأموات ولذلك تُعمل به القوات" (مت١٤:٢، مر ٦:١٤، ١٦، لو ٩:٦).

رابعاً : نحن ويوحنا المعمدان :

(١) كانت رسالة **يوحنا** الرئيسية في إعداد الناس لاقتبال الخلاص هي **التوبة** (مت٣:٢)، كما كانت أيضاً رسالة الرب (مت٤:١٧). وهي ما ينبغي أن تكون رسالة كل الخدام في كل عصر، وأن تكون **التوبة** وتسليم الحياة للرب محور كل عظة وألا تتحول إلى كلام مرسل يملأ الفراغ أو خبرات اجتماعية أو طرائف للتسلية والضحك. هذه خيانة لرسالة المسيح.

(٢) كان تجرد **يوحنا** واستقلاله عن العالم وذبول ذاته وتكريس نفسه لرسالته هو الذي وهبه القوة لقول الحق بغير خوف، فليس هناك ما يخشى عليه أو يتمسك به. فالذي واجه انحراف الشعب وتصدى لفساد الملك كان لا يملك شيئاً ويحيا في البراري ويقف متضعاً متصاغراً قدام الله:

"**يوحنا** هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جراداً وعسلاً برياً" (مت٣:٤، مر١:٦)، "وكان في البراري إلى يوم ظهوره لإسرائيل" (لو ١:٨٠)، **"لست أهلاً أن أنحني وأحلّ سيور حذائه"** (مر١:٧، لو٣:١٦ ، يو ١:٢٧)، **"أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتي إليّ"** (مت ٣:١٤). فاتضاع الخادم وترفعّه عن الدنايا وأشياء العالم هو ضمان نجاحه في مواجهة العالم الشرير بقوة، وحصار الخطية من أن تتسلل إلى خدمته.

(٣) ظل **يوحنا** تابعاً لإلهه حتى الموت، لا يتراجع عن خدمته مهما كان الثمن. وكانت خدمته قصيرة ولكنها كانت مؤثرة، وانتهت حياته بالموت ولكنها ظلت مُلهمة لكل الأجيال و لم يطوها النسيان. وعرفنا منه أن الشهادة للحق مكلفة جداً، وأن الالتزام بالمسيح طريق يؤدي إلى جسثيماني والصليب وربما الموت ولكن هذا كله لا يمس إلا الجسد، ونهايته إكليل البر والحياة (٢تي ٤:٨، رؤ ٢:١٠).

مجد الخادم الحقيقي هو في خدمته والذين انتزعهم من براثن إبليس، وليس له مجد آخر هنا. **والقديس بولس** يقول لقسوس أفسس **"لست أحتسب لشئ** (من الوثق والشدائد التي تنتظره)، **ولا نفسي ثمينة عندي، حتى أتمم بفرح سعيي والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع، لأشهد ببشارة نعمة الله"** (أع٢٠:٢٤). وهو يقول لمخدوميه إنه ينسكب على ذبيحة إيمانهم وخدمته (في ٢:١٧)، وإنهم يكونون رجاءه ومجده وفرحه وسروره وإكليل افتخاره في اليوم الأخير (٢كو ١:١٤، في ٤:١، ١تس ٢:١٩، ٢٠).

(٤) مثل الرب الذي عاش فقيراً بغير كيس (مت ١٧:٢٧)، أو مكان دائم يسند فيه رأسه ويبيت (مت ٨:٢٠، لو ٩:٥٨)، عاش **يوحنا** متجرداً وقدم نفسه نموذجاً للخادم المترفع عن أموال العام. وفي الكنيسة الأولى يعلن **بطرس** أنه ليس له فضة ولا ذهب (أع ٣:٦)، ولما حاول سيمون الساحر شراء موهبة وضع اليد بالمال قال له **بطرس " لتكن فضتك معك للهلاك"** (أع ٨:٢٠). **والقديس بولس** يتكلم عن نفسه وجماعته فيقول **"كفقراء ونحن نغني كثيرين. كأن لا شئ لنا ونحن نملك كل شئ"** (٢كو ٦:١٠).

فالمال كفيل بقتل الخدمة وضياع الموهبة وهروب الروح، والتنعم وغرور الغنى هو نهاية كل خادم **"ديماس قد تركني إذ أحب العالم الحاضر"** (٢تي ٤:١٠).

* * *

هذا هو **يوحنا المعمدان**، القدوة والمثال في خدمة الخلاص والشهادة للحق والتحرير من قيود العالم. وهو بالإيمان عاش وفي الإيمان مات **"وبه وإن مات يتكلم بعد"** (عب ١١:٤).

عيدا الصليب[1]

(١٧ توت[2]ـ ١٠ برمهات)

تنفرد الكنيسة القبطية (وابنتها الكنيسة الإثيوبية) بين الكنائس باحتفالها بعيدين للصليب المقدس الذى يستمد كرامته وجدارته بالتمجيد من ارتباطه بشخص الرب المخلص وارتباط الرب به، فانتسب الصليب للمسيح ودمه [فيقال: **صليب المسيح** (غل٦: ١٢، ١٤)، وإن المسيح عمل الصلح **بدم صليبه** (كو١: ٢٠)]، كما انتسب المسيح للصليب [فيسمّى

---

(١) من المقالات ذات العلاقة: **"عشرة الصليب"** في الكتاب **الثالث** من **"نور الحياة"** (ص ٧١)؛ **"نحن والصليب والخلاص"** في الكتاب **السادس** (ص ٢٢).

(٢) قراءات **اليوم الأول: عشية:** مز٤: ٦، ٨، يو٨: ٢٨- ٤٢؛ **باكر:** مز٦٠: ٤، ٥، يو١٢: ٢٦-٣٦؛ **القداس:** ١كو١: ١٧-٣١، ١بط ٢: ١١-٢٥، أع ١٠: ٣٤-٤٢، يو١٠: ٢٢-٣٨؛ **اليوم الثاني:** غل٦: ١١-١٨، ١بط ١: ٣-١٢، أع ٤: ٨-١٨، يو٦: ٣٥-٤٦؛ **اليوم الثالث:** كو٦: ١٩، ١يو٥: ١٢-٢٠، أع٣: ١٢-٢١، لو١٤: ٢٥-٣٥.

ويستخدم في صلوات العيد اللحن الشعانيني فنستقبل الصليب كما استقبلنا المسيح في عيد دخوله أورشليم، ونحمل صليبه ونتبعه؛ ويقال قبل قراءة البولس لحن **فاي ايتاف انف: هذا الذي أصعد ذاته ذبيحة مقبولة على الصليب عن خلاص جنسنا، فاشتمه أبوه الصالح وقت المساء على الجلجثة"**؛ وتقال **القسمة السريانية** في ختام القداس.

الملاك المسيح القائم من الأموات **"يسوع المصلوب"** (مت٢٨: ٥، مر ١٦ : ٦)] حتى أن القديس بولس لم يعزم أن يعرف شيئا بين مؤمنى كورنثوس **"إلا يسوع المسيح وإياه مصلوباً"** (١كو٢: ٢).

ويقع **العيد الأول فى** ١٠ برمهات (١٩ مارس) بمناسبة العثور على خشبة الصليب. وعن خلفية الأحداث يَذكر عدد من المؤرخين أن **قسطنطين الأول** Constantinus (٣٢٣م- ٣٣٧م) إمبراطور الدولة الرومانية الشرقية، أثناء حربه مع **ماكسنتيوس** Maxentius قيصر روما، رأى الصليب منيراً وسط السماء، وسمع صوتاً يقول: **"بهذا تغلب"**. ويُقال أنه جعل جنوده يحملون علامة الصليب فانتصر في حربه.

على أن حادثة رؤية الصليب هذه لم يذكرها المؤرخ **يوسابيوس القيصري** Eusebius (٢٦٠- ٣٤٠م)، الذي كان مقرباً **لقسطنطين**، وإنما ذكر أن **قسطنطين** بعد دخوله روما ظافراً أمر أن يُوضع في التمثال، الذي أقيم تخليداً لانتصاره، صليباً يُنقش عليه **"بهذه العلامة المقتدرة، دليل الشجاعة الحقيقية، أنقذتُ مدينتكم وحررتُها من نير الطاغية"**[٣].

هذه الأحداث أثارت اهتمام **الملكة هيلانة**[٤] أم قسطنطين للبحث عن خشبة الصليب وتشير وثائق التاريخ أن الملكة - استجابة لحلم رأته - جاءت إلى أورشليم، وذلك سنة ٣٢٦ م (٤٢ للشهداء)، يرافقها مئات الجنود، حيث اجتمعت **بالقديس مكاريوس أسقف أورشليم** وأبدت له رغبتها هذه. فأرشدها إلى حاخام يهودى طاعن فى السن اسمه يهوذا[٥] هو الذى دلَّ الملكة على مكان الصليب تحت **"تل الجلجثة"** غرب المدينة

---

(٣) المعروف أن **قسطنطين** كان متسامحاً (كأبيه الملك **قسطنديوس**، الذي كان منفتحاً على المسيحية). وإن كان المعروف أنه لم يقبل الإيمان المسيحي إلا في أخريات حياته.

(٤) ومنها الاسماء هيلينا، هيلين، إيلين، إيلينا، إيلانا.

(٥) يُقال أنه آمن بالرب، وصار اسمه **كرياكوس** عند عماده. كما قيل أنه فيما بعد صار أسقفاً على أورشليم، واستشهد في عهد يوليانوس الجاحد.

المقدسة. وكان هذا الموقع قد تحول منذ القرن الأول إلى جبل من النفايات بتحريض اليهود، بل كان قد أُقيم فوقه هيكل وثني للزُهرة إمعاناً في إخفاء الصليب والقبر المقدس. وعند إزالة هذا الركام وجد الجنود فى باطن التل **ثلاثة صلبان.** وقد أمكن تمييز صليب الرب لأنه كان يحمل اللوحة المكتوب عليها **"يسوع الناصرى ملك اليهود"**، إضافة إلى المسامير الثلاثة (أو الأربعة). ومن ناحية أخرى فقد تأكد الأمر - حسبما يذكر المؤرخ **القديس روفينوس** - عندما وُضعت الصلبان الثلاثة بالتتابع على جثة أرملة تدعى **"لبيانيا"**، ذهب الأسقف **مكاريوس** إلى بيتها وصلى إلى الله أن يظهر مجده. وعندما لمس الصليب الثالث جسد الأرملة فتحت عينيها وقامت تمجد الله. وبعدها تدفقت الجموع تعانق الصليب.

وفى المساء حمل الأسقف والملكة الصليب إلى **كنيسة القيامة** بالتسبيح والترتيل، وتم تغطية الصليب بالذهب ولُفَّ بالحرير. ووُضع الصليب فيما بعد فى خزانة من الفضة **بكنيسة الصليب** التى أقامتها الملكة هيلانة (كما أمرت ببناء هياكل البشارة والميلاد والقيامة). وتم البناء بعد بضع سنوات ودشنها **البابا أثناسيوس بطريرك الأسكندرية** العشرون فى احتفال عظيم، حضره أيضاً بطاركة القسطنطينية وأنطاكية وأورشليم.

ولأن **العيد الأول** للصليب يقع دائماً فى أيام الصوم الكبير، فإن الكنيسة تقيم احتفالها الكبير بالصليب فى **عيده الثانى**(٦) الذى يمتد لثلاثة أيام تبدأ ١٧ توت (٢٧ سبتمبر)، بمناسبة إعادة خشبة الصليب إلى القدس (حوالى سنة ٦٢٨م) التى انتزعها الإمبراطور **هرقل** Heraclius (٦١٠- ٦٤١م) من أيدى الفرس الذين، بقيادة **الملك كسرى الثاني،** كانوا قد احتلوا أنطاكية وكبادوكية وكيليكية، وقطعوا الاتصال مع

(٦) كان **عيد الصليب** ضمن الأعياد السيدية حتى القرن الرابع عشر، وفيما بعد حل محله عيد **عرس قانا الجليل** ضمن السبعة الصغرى.

القسطنطينية. وفي مايو ٦١٤م دخلوا القدس، وأحرقوا كنيسة القيامة واستولوا على الصليب كرهينة. وفيما بعد دخلوا الإسكندرية، واحتلوا مصر كلها (٦١٨م). وبعد حرب امتدت من ٦٢٢- ٦٢٨م، انهزم الفرس، ودخل **هرقل** القسطنطينية منتصراً وقد استعاد الصليب، الذي كان الفرس قد دفنوه في مدينة هيرابوليس، ونقله إلى القدس.

ويذكر التاريخ فى هذه المناسبة أن **هرقل** لبس حلته الملكية وتاجه الذهبى وحمل الصليب بنفسه. ولما اقترب به من باب الكنيسة ثقل عليه حمله فلم يستطع أن يدخل به. **ولكنه استجابة لنصح أحد الآباء خلع تاجه ووشاحه الملكى وهكذا أمكنه دخول الكنيسة**، ووُضع الصليب فى مغارة عميقة. وفيما بعد حُفظت بقايا الصليب في صندوق من الفضة وُوزعت أجزاء منه على كنائس العالم. وعُرف هذا الاحتفال باسم **"إعلاء أو رفع الصليب"**[٧]، وذلك في عهد البابا **بنيامين الأول** (٦٢٣- ٦٦٢)، وتم تكريس كنيسة الصليب والقيامة.

على أن الاحتفال بإعلاء الصليب شوهته مذبحة مروعة لليهود، مما جعلهم ينتقمون بالترحيب بالقائد العربي **خالد بن الوليد** (الذي دخل بلاد الفرس سنة ٦٣٤م). وبعد انتصار العرب على بيزنطة في موقعة اليرموك (٦٣٦م) أرسل مسيحيو أورشليم الصليب وأواني الكنيسة إلى القسطنطينية، وأودعوا هذه الذخائر كنيسة **أجيا صوفيا**. وفيما بعد طلب البطريرك الملكاني **صفرونيوس** (٦٣٤- ٦٣٨م)، استدعاء الخليفة **عمر بن الخطاب** الذي جاء بعد أيام وسلّمه المدينة.

بعد ثمانية قرون (١٤٥٣م)، سقطت القسطنطينية على يد **محمد الفاتح** (١٤٢٩- ١٤٨١م)، واستحالت الكنيسة الكبرى مسجداً **(أيا صوفيا)**، ودالت دولة الروم بعد حكم دام خمسة عشر قرناً من الزمان.

---

(٧) وهو ما يُحتفل به في الغرب على أنه عيد الصليب منذ أواخر القرن السابع.

■ عيد الصليب

الصليب في حياة المؤمن

تثير واقعة اكتشاف الصليب، بعد ثلاثة قرون من حدث الصلب الذي غير وجه التاريخ، وما أحاط بها من ملابسات، عديداً من التأملات، نجتزئ منها هنا ثلاثة رئيسية:

التأمل الأول: الصليب المختفى

بعد إنزال المسيح بعد موته من فوق الصليب، أخذه يوسف الرامى وسمعان القانوى ودفناه فى قبر جديد منحوت فى الصخر (مت٢٧: ٦٠، مر١٥: ٤٦، لو٢٣: ٥٣، يو١٩: ٤١)، و ووارى الصليب ومعه صليبا اللصين في باطن الأرض مكان الصلب. وعلى مدى السنين تراكمت النفايات فوق المكان حتى صنعت تلا عظيما اختفى تحته الصليب تماما. ومع تتابع السنين والأجيال لم يعد هناك من يعرف مكانه إلا الأقلون.

فى حياتنا - بالإهمال والانشغال عن تتميم خلاصنا والتطلع إلى العالم وتوثيق العلاقة به - **يتوارى الصليب حتى يختفى تماماً:**

+ فإذا كان الصليب رمزاً لإعلان الإيمان بالمسيح وقبول الخلاص، والشهادة للرب بكل وسيلة واحتمال الآلام من أجل اسمه، **فإنه يستتر بالخوف والحرص على الحياة والأشياء، وبإنكار الإيمان بالسلوك المضاد للإنجيل والضيق من الاضطهاد ومحاولة الهروب منه جبنا ورعبا من الموت الجسدى.**

+ وإذا كان الصليب يجسده قمع الجسد وأهوائه **"الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات"** (غل ٥: ٢٤)، والدخول من الباب الضيق (مت٧: ١٣، لو١٣: ٢٤)، **فإنه يختفى تحت الاهتمامات الجسدية والاستجابة للشهوات والأفكار الطائشة والميل إلى الإباحية والتبرج وإغراء الآخر جسديا واختيار طريق الهلاك الرحب والدخول من بابه الواسع** (مت٧: ١٣).

+ وإذا كان الصليب يقترن بالحب الذى يتأنى ويرفق ويصبر (١كو١٣: ٤، ٧) **فإنه يطمر تحت أكوام الكراهية والقسوة والسعى للانتقام.**

+ وإذا كان الصليب تعبيراً عن البذل والتضحية والعطاء والتعب المبارك وخدمة الآخرين بغير ملل مع احتمال صابر للألم، **فإنه يختفى بالانكفاء على الذات ومن ينتمى إليها، واعتبار الخدمة إهداراً للوقت والجهد، وإلغاء وصية محبة القريب أى كل البشر.**

+ وإذا كان الصليب إعلانا عن الاستقلال عن العالم الحاضر الشرير، **فإنه يستتر بمحبة العالم والخضوع لشهوة الجسد والعيون وتعظم المعيشة** (١يو٢: ١٦) **والتحلل من حياة القداسة وغياب هدف الحياة الأبدية.**

+ وإذا كان حضور الصليب فى حياتنا يكشفه معرفتنا بأنفسنا وقدرتنا أمام الله فنتضع ونخلى ذواتنا، **فإن نور الصليب فينا يحجبه الكبرياء والبحث عن الكرامة والسعى إلى المكان الأول والتعالى وعدم الاحتمال وسرعة الغضب.**

التأمل الثانى: إعادة اكتشاف الصليب

مهما كانت التراكمات فوق الصليب حتى يختفى حضوره، من إنكار للإيمان، وانصياع لرغبات الجسد وأهوائه، وغياب المحبة إلى الانكفاء على الذات والإقبال على العالم، **فإن إعادة اكتشافه فينا ليست فوق الطاقة،** فإذا اجتمعت الرغبة **"أتريد أن تبرأ"** (يو٥: ٦) مع الجدية والثقة فى المصلوب الذى يريد **"أن جميع الناس يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون"** (١تى٢: ٤)، والذى يستطيع وحده أن يخلص إلى التمام (عب٧: ٢٥)، **فإن انهيار كل هذا الركام أمر تكفله قدرة الله "لأن كل شئ مستطاع عند الله"** (مر١٠: ٢٧)، **وسيبدد نور الصليب كل الغيوم التى حجبته.** وإذا كان المسيح قادراً أن يسبى قلوبا لم تعرفه يوما، بل أكثر من ذلك أن يتلمذ نفوسا قد اضطهدته كل حياتها، **فبالأولى كثيرا أن يعاود ظهوره فى حياة من عرفوه فترة من حياتهم ثم خانوه بالضعف وخديعة العالم.**

والمهم أن يلتفت هؤلاء إلى هذا الواقف بباب قلبهم كل الوقت يقرع ويطلب دعوة على العشاء (رؤ٣: ٢٠). وقد يقرع الرب الباب بلطف، ولكنه يمكن أن يرفع عصا التأديب (عب١٢: ٧) فيسمح بالتجربة التى قد تتصاعد شدتها إلى شوكة دائمة فى الجسد (٢كو١٢: ٧)، وربما أكثر، وذلك حسب احتياج النفس، كى تفيق من غيبوبتها وتكتشف سوء حالها وتغربها عن إلهها مصدر قوتها ونصرتها. **فإذا ارتمت عند قدميه بالتوبة الصادقة ستجد الأحضان المرحّبة** والذراع الرفيعة القادرة أن تقشع كل السحب وتزيل الأكوام التى طُمر تحتها الصليب زمنا. **وسيتوقف نجاح التوبة وتألق الصليب من جديد على رفض الحلول الوسط أو سياسة الخطوة خطوة،** وإنما على السماح ليد الله المحب أن تقطع وتبتر الذراع الخائنة والعين الشريرة والرِجل المنحرفة والشهوة الردية والعلاقة الآثمة والأفكار النجسة وكل ما يضاد الإيمان.

ولكن التوبة ليست فقط رجوعا بالندم عن الماضى الخاطئ وتعهدا بعدم العودة إلى ما أحزن قلب الله، **وإنما هى أيضاً إقبال متعطش إلى حياة القداسة التى كانت قد توقفت.** فالصلاة النشطة، وقراءة الكلمة وحفظها، والصوم الروحى لا الشكلى، وخدمة الله وإخوته الأصاغر هى ختم الروح الذى يسيّج حول النفس فتتحطم على أسوار النعمة كل سهام الشرير الملتهبة (أف٦: ١٦)، ويحفظ نور الصليب متألقا هاديا، وعلامة لا تخفى عن الانتماء للمخلص الغالب دوماً.

التأمل الثالث: الصلبان الزائفة

كان مع صليب الرب صليبان يشبهانه فى الشكل والمظهر **ولكنهما يخلوان من قوته للخلاص والإقامة من موت الخطية إلى الحياة الجديدة.**

والبعض يتفادى نفقة الصليب الحقيقى المكلفة، وعبء التوبة وآلام بتر الأهواء وثقل الرجوع بعد خيانة المخلص، ومن أجل إرضاء الناس - مع تحلله من التزام الإيمان - **يقتنى واحداً من الصلبان الزائفة** التى لا تكلف كثيرا ولكنها تعطى له، كما يقول الكتاب، **"صورة التقوى"** وإن كان ينكر قوتها (٢تى٣: ٥). ويوجد فى أسواق العالم الكثير من هذه الصلبان التى تتفق مع الصليب الحقيقى فقط فى مظهرها دون الفاعلية وصدق الإيمان، ويتمسح أصحابها فى المصلوب دون أن ينتموا إليه بالفعل. وهذه تتعدد أنماطها فمنها:

(١) العبادة المظهرية والرياء

وفيها يتم تزييف أقدس العلاقات مع الله إلى مجموعة من الممارسات الجسدية والطقسية يصير إتمامها بشكل آلى أو حرفى غاية المراد. **وأصحاب هذا الصليب الزائف يختزلون علاقتهم المسيحية فى حضور الكنيسة فى**

المناسبات والأعياد، وزيارات الأديرة لا للصلاة والتوبة وإنما "للتبرك" (كما يقولون) ولمس الصور وإيقاد الشموع، وقد يتمسكون بلقمة من القربان أو خبزة أو قارورة زيت أو صورة أو أيقونة. وهم ربما يتلون صلوات محفوظة أو يرددون ألحاناً أو تراتيلَ ولكن هذا كله **يتم آليا من الشفاه دون فهم أو مشاركة قلبية**، وهم فى صومهم لا تشغلهم حرارة الصلاة أو ضبط الحواس والتوبة وإنما مجرد نوع الطعام. وبعضهم يعاملون الكنيسة كمركز اجتماعى للقاء الأصدقاء والمشاركة فى الأفراح والجنازات والرحلات والحفلات.

هؤلاء هم كمن يُدعوْا لحضور حفل عشاء مع الملك فيضلّون طريقهم إليه ولا يأبهون به ليلتقوه، بل يتزاحمون على الفتات الذى لا يسمن ولا يغنى من جوع **"فلا يظن ذلك الإنسان أنه ينال شيئا من عند الرب"** (يع١: ٧).

(٢) الطائفية والتعصب

أصحاب هذا الصليب الزائف انتماؤهم المسيحى أمر اجتماعى لا إيمانى. وهم يتعاملون مع إخوتهم كطائفة لا ككنيسة، وهدف الحياة الأبدية عندهم متراجع أمام المطالب الأرضية والحقوق الاجتماعية. والحروب المسماة بالصليبية تخفّت وراء هذا الصليب الزائف لتغطية الأطماع والمصالح. والحرب الطائفية فى لبنان قبل سنين، وفى أيرلندا الشمالية حتى وقت قريب، حملت هذا الصليب لا للدفاع عن الإيمان وإنما للذود عن المصالح والأنصبة.

هذا الصليب الزائف، وما يمثله، هو عدو لله والإيمان والكنيسة، وتغذيه الأنانية والبغضة والتعصب والطمع، وهو يبرر حتى القتل باسم الإيمان كما تنبأ الرب ليلة الصليب: **"تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله"** (يو١٦: ٢). وأصحابه، فى نفس الوقت، هم غير مستعدين لتحمل الاضطهاد ولا يملكون الحب الذى يجعلهم يقبلون الموت مِن

أجل مَن أحبهم، بل إنهم سيفرّون أمام الضيق، **وسيستغلون القوانين الدولية للجوء بسبب الاضطهاد لكى ينجوا بأنفسهم رافضين التألم من أجل المسيح.** ولأنهم قصيرو النظر، فعيونهم على ما يرى لا على ما لا يرى (٢كو٤: ١٨).

(٣) خدمة الذات:

أصحاب هذا الصليب الزائف يصعب الشك فيهم، فهم خدام فى الكنيسة وبعضهم مكرسون كلياً. وربما بدأوا خدمتهم حاملين صليب المسيح، وما يتضمنه من بذل الحياة لخدمة المسيح والكنيسة ثم انحرفت أهدافهم فيما بعد إلى خدمة الذات، **فتخلوا عن صليب التضحية الثقيل ليحملوا صليبا زائفا لا وزن له**، وصار "الدين" عندهم حرفة والتقوى تجارة (١تى٦: ٥)، وصار تعبهم لحساب أنفسهم لا لمجد الله، وصار الأخذ عندهم مغبوط أكثر من العطاء. وحماسة الأيام الأولى لعمل الله انطفأت، وخشية الله توارت بطول الممارسة والتعود، وبعد النسك والتجرد استعبدتهم رفاهة الحياة وحب المال وشهوة البطن، حتى وإن أخفوها خلف الجدران، وصارت كرازتهم تظاهراً وصلواتهم أمام الناس من الشفاه ووعظهم آليا متكلفا وحبهم زائفا. والمحزن أنهم آخر من يعلم أن الكل يدركون زيف الصليب الذى يحملونه، **وأن حياتهم المزدوجة ليست خافية على أحد، وأن العثرة التى تسببوا فيها لن تمر بلا عقاب.**

O O O

غير خافٍ أن أصحاب هذه الصلبان الزائفة يعيشون خطر الهلاك إذ استبدلوها بصليبٍ الرب، مجتنبين بالتالى اللقاء الشخصى مع مخلص العالم الوحيد، وهكذا **فإن لم يرجعوا فإنهم متجهون معصوبى الأعين نحو الموت.**

ولأنهم قد أدمنوا الكذب حتى صدقوا أنفسهم فهم يحتاجون إلى معجزة (تشبه مواجهة الرب لشاول فى الطريق إلى دمشق) تكشف لهم

زيف حياتهم وأنهم يعبدون آلهة غريبة، فيكفّوا عن خداع أنفسهم ومن حولهم، وينتزعوا **من داخلهم الصلبان الزائفة، لا لكى يستبدلوا بها أخرى أتقن تزييفا، وإنما كى يقتنوا صليب الرب الحقيقى**، وما يعنيه من الاتجاه نحو المخلص والثبوت فيه بالإيمان، وشركة الجسد والدم، والتوبة الدائمة والقداسة، وخدمة الرب لا الذات والعيش فى الأبدية هنا على الأرض، مصدقين على دعوة الرب **"ومن لا يأخذ (يحمل) صليبه ويتبعنى فلا يقدر أن يكون لى تلميذا"** (مت١٠: ٣٨، مر٨: ٣٤، لو٩: ٢٣، ١٤: ٢٧)، ومرددين مع القديس بولس الذى حسب كل ما كان له ربحا، خسارة لكى يربح المسيح (فى٣: ٢٧، ٢٨)، هاتفين كل يوم **"مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ"** (غل ٢: ٢٠).

O O O

فى عيد الصليب، فلنرتل مع الكنيسة قائلين **"السلام للصليب** (شيرى بي استاڤروس) **الذى صُلب عليه ربنا حتى خلّصنا من خطايانا.**

الصليب سلاحنا،

الصليب رجاؤنا،

الصليب خلاصنا،

الصليب فخرنا".

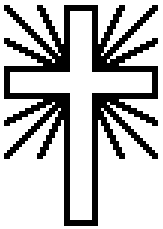

الملكة هيلانة واكتشاف الصليب

٣

أعياد شهر هاتور

- **عيد مارمينا (١٥ هاتور) (*)**
- **عيد الشكر (منتصف هاتور)**
- **عيد القديس فيلوباتير مرقوريوس (أبي سيفين) (٢٥ هاتور)**

(*) إنجيل القداس: لو١١: ٥٣-١٢: ١٢.

عيد مارمينا

■ ابن الموعد :

مثل **اسحق وصموئيل والمعمدان**، فقد ولد **القديس مينا** بوعد إلهي ينبئ عن أن الله أعدّه لمهمة مقدسة.

كان والده **أودُكسيوس** Eudoxius أميراً على إحدى مناطق مصر، هي على الأرجح **نيقيوس** Necius (ابشادى)[1]، حيث كانت تقيم عائلته، معاصراً لاثنين من البطاركة: **ثاؤونا** البابا ١٦ (٢٨٢- ٣٠٠) **وبطرس** خاتم الشهداء (٣٠٠- ٣١١). وكان اسم أمه **أوفيميا (أوفيمية)** Euphemia.

كان **لأودكسيوس** شقيق هو **أناطوليوس** Anatolius، الذي كان أميراً على منطقة مجاورة (مثل والدهما **ليبلوديانوس**، الذي كان أيضاً أميراً في زمن الإمبراطور الروماني **بروبوس** خليفة **فرومنتيوس**).

---

(١) موقعها الحالي قرية **أبشاد**، منوف، محافظة المنوفية.

لم يكن **أناطوليوس** على وفاق مع أخيه وكان يحسده لمحبة الناس لـــه، فدسّ له عند الملك **كارينوس**، الذي استجاب بنقل **أودكسيوس** إلى شمال أفريقيا.

تقدمت **أوفيميا** في السن بغير أن تنجب، وإن لم تكف عن أن تطلـــب أن يعطيها الله نسلاً. وفي عيد العذراء (٢١ طوبة)، وقفت أوفيميـــا أمـــام أيقونة العذراء تحمل يسوع، وتشفعت بها متوسلة بدموع إلى ابنها أن ينعم عليها بابن. والله استجاب لها هذه المرة وسمعت صوتاً من السماء يقـــول "آمين".

بعد شهور (٢٨٥م) ولدت ابناً وأسمتـــه بحـــسب الـــصوت الـــذي سمعته: **مينا**.

■ مينا: الجندي والناسك:

لما بلغ **مينا** عامه الحادي عشر توفى والده، وبعد ثلاث سنوات لحقت به أمه التقية التي قادته في طريق الرب ومحبة الفقراء.

في نهاية القرن الثالث الميلادي أصـــدر الإمبراطـــور **ديوقليـــديانوس** Diocletian مرسوماً يطلب جنوداً للانضمام إلى الجيش، فانضم **مينـــا** إلى فرقة عسكرية متميزة، بعد أن أقنعه قائدها **فرميانوس** (فرملميانوس)، الذي كان صديقاً لوالده. وفي عام ٣٠٣م أصدر **ديوقليديانوس ومكسيميانوس** Maximianus منشوراً يأمر الجميع بعبادة الآلهة الوثنية ومعاقبة الرافـــضين بالموت.

وبالطبع فإن **مينا** رفض الاستجابة للمنشور، وقرر الانـــسحاب مـــن الجيش. بعدها وزع ما ورثه عن أبيه، ومضى إلى الصحراء يسأل معونـــة السماء لمقاومة اضطهاد المسيحيين. وبقى في حياته النسكية هـــذه خمـــس سنوات، وفي نهايتها رأى السموات مفتوحة والشهداء يكللـــون بالمجـــد، وشعر أن عليه أن يجاهر بإيمانه لا أن يتهرب من المواجهة.

■ مينا شهيداً :

ترك مينا البرية إذاً وجاء إلى المدينة، ووقف أمام الوالي وجمهور الشعب معترفاً بإيمانه بشخص المسيح المخلِّص الوحيد، وأخذ يحث المؤمنين على الصمود بغير خوف من الذين يقتلون الجسد.

وكالمتوقع، فقد أثار عليه موقفه هذا السلطات، وتعرّض لألوان العذاب جلداً وضرباً وحرقاً، ولكنه ظل صامداً مجاهراً بإيمانه دون أن يتراجع رغم الإغراء والوعود.

وفي السجن ظهر له **الملاك غبريال** يشجعه على الاحتمال، وأن يظل على أمانته حتى الموت، ويعده بأكاليل ثلاثة: لأجل بتوليته، ونسكه، واستشهاده. وفي النهاية صدر الحكم بقطع رأسه بالسيف، وكان عمره لم يتجاوز الرابعة والعشرين. وبعد استشهاده، في ١٥ هاتور سنة ٣٠٩م، طُرح جسده في النار التي لم تمسه. على أن بعض المؤمنين أخذوا جسده وكفنوه ودفنوه.

■ الجسد يستقر في مريوط :

بعد استشهاده، تعرضت منطقة الإسكندرية لهجوم من البربر من ليبيا. فاستعان الحاكم بفرقة عسكرية، ضمنها الفرقة التي ضمت **القديس مينا** من قبل، بقيادة **أثناسيوس** المسيحيَ الذي كان من أعز أصدقاء القديس. فأمر الجنود المسيحيين بأن يأخذوا معهم جسد **القديس مينا** إلى مصر لنصرتهم في معركتهم.

وبعد انتصارهم على البربر ووصولهم إلى الإسكندرية، بعد خمسة أيام من الإبحار في المتوسط، استقبل الشعب والبابا ١٩ **البطريرك ألكسندروس الأول** (٣١٣- ٣٢٦م) الجيش المنتصر وجسد الشهيد. واستمرت المسيرة والجسد يحمله جمل. وعندما بلغوا مريوط توقف الجمل رغم المحاولات لحثه على التقدم. فاستحضروا جملاً أخر ولكنه لم يتحرك أيضاً. وأدركوا أن هذا هو المكان الذي عينته الإرادة الإلهية ليستقر فيه جسد الشهيد، فبنوا قبراً أودعوه الجسد المبارك.

■ بناء كنيسة الشهيد :

ظل الجسد مدفوناً دون أن يعرف أحد من أهالي مريوط عنه شيئاً، حتى بدأت تظهر معجزات في هذا المكان، منها أن طفلاً كسيحاً نال الشفاء، وخروفاً أجرب صار صحيحاً، كما تم شفاء ابنة **زينون** ملك القسطنطينية من الجذام، بعد أن عرفت بما يقال عن المكان وجاءت إليه وظهر لها القديس. بعدها تم الحفر في مكان الظهور، فوجدوا بقايا الجسد وأخرجوه وبنوا عليه هيكلاً صغيراً.

وبعد زمن الإضطهاد، ظهر **الملاك ميخائيل** للبابا العشرين **أثناسيوس الأول** (٣٢٦- ٣٧٣م) وطلب إليه أن يضع الجسد على جمل ويتركه إلى أن يقف. فوقف في منطقة بياض بمريوط. فوضع الجسد في تابوت من الفضة وبنوا عليه كنيسة صغيرة في المكان. وفي عهد البابا ٢٣ **ثيئوفيلُس الأول** (٣٨٥- ٤١٢م) تمت توسعة الكنيسة، بمعونة **الملك أركاديوس** (٣٩٥- ٤١٨م) ابن **ثيئودوسيوس الكبير**، واستُكمل العمل في عهد البابا ٢٦ **تيموثاوس الثاني** (٤٥٧- ٤٧٦م).

وأقام الإمبراطور **زينون** (٤٧٤- ٤٩١م) حول الكنيسة ديراً على اسم **القديس مينا**، ومدينة كاملة سماها **بومينا** أو **مدينة الشهيد** Martyropolis.

■ عن مصير جسد القديس ومدينة بومينا :

تصاعدت شهرة المدينة، التي سموها **"المدينة الرخامية"**، حتى أن المرضى كانوا يأتون إليها من أنحاء العالم ليأخذوا قناني من الفخار، محفور عليها الصليب وصورة الشهيد، ومملوءة بالماء المقدس للبركة والشفاء(٢).

---

(٢) وُجدت في القرون الأخيرة بعض هذه القناني في مدن أوروبية عديدة في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وإنجلترا وصربيا الحالية. ويقتني بعضها المتحفان القبطي بمصر القديمة واليوناني بالإسكندرية. كما أن معظم آثار **مدينة بومينا** اكتشفها عالم الآثار الألماني **فالتس** والأسقف **كارل ماريا كوفمان** بداية القرن العشرين (١٩٠٦- ١٩٠٧)، ونُقلت في ١٠٠ صندوق ملأت محتوياتها متحفاً كاملاً في مدينة فرانكفورت. وتوجد أيقونة في **متحف اللوفر** بباريس تصور المسيح يضع ذراعه اليمنى على كتف مارمينا بما يكشف على عمق علاقة المحبة المتبادلة بين مينا وإلهه **"من التصق بالرب فهو روح واحد"** (١كو٦: ١٧).

على أن الخراب بدأ يدب في المدينة مع الفتح العربي، كما لم تتوقف غارات البربر عليها. وفي القرن التاسع (الدولة العباسية) سادت مرحلة جديدة من التخريب، وفي عهد المأمون، سرقت أغلب محتويات الكنيسة من أعمدة، بحسب أمر الخليفة المعتصم (ابن هارون الرشيد) ليبني له قصراً في سامراء بالعراق.

وحاول البابا ٥٢ **يوساب الأول** (٨٣٧-٨٤٩م) إعادة الكنيسة التي بدأ بنائها **البابا أثناسيوس**، ولكن أغار عليها العربان (٨٦٧م) في عهد البابا ٥٥ **شنوده الأول** (٨٥٩- ٨٨٠م)، وأخذ أحد المؤمنين جسد القديس واحتفظ به في أتريب (بنها) ولكنه اختفى فيما بعد.

وبعد خمسة قرون، أيام **المعز** (١٣٢٠- ١٣٣٠م)، وغارات البربر لا تنقطع على الإسكندرية، عيّن الخليفة أحد الأعيان ومساعداً له من الأقباط للسفر إلى برقة والتفاوض من أجل إحلال السلام. وفي الطريق عُثر تحت كومة من الأحجار على صندوق مقفل حسبوه في البداية أنه ممتلئ بالذهب فتخاطفه الجنود. ولكن النور الذي صدر عنه كشف عن حقيقة أنه يحوي جسد القديس، خاصة مع ظهور القديس في حلم حيث أخبر عن استشهاده في القرن الرابع في ١٥ هاتور.

وفي مرحلة تالية أمر البابا ٨٢ **بنيامين الثاني** (١٣٢٧- ١٣٤٠م) بنقل الجسد إلى كنيسة مارمينا بفم الخليج، ولحمايته أخفاه كاهن الكنيسة بعيداً عن الأعين. وفي السابع من سبتمبر ١٨٧٣ ظهر القديس لكاهن الكنيسة وكشف له عن مكانه المدفون فيه.

وفي عهد محمد علي، بداية القرن التاسع عشر، قام محافظ الصحراء الغربية بانتزاع ما تبقى من أعمدة المدينة استخدمها في بناء مدينة أطلق عليها اسم **برج العرب**.

وفي ١٩٠٥/٧/٧ عثر أحد صبية البدو على آنية كاملة من أواني الكنيسة، وفي ١٩٠٧ تم اكتشاف قبر مارمينا وكنيسته الكبرى وأجزاء من مباني المدينة.

■ البابا كيرلس السادس والقديس مارمينا :

رتبت النعمة أن يأتي في أخر الأيام من يعيد منطقة بومينا لمجدها القديم، ويستقر فيها من جديد جسد **القديس مينا.** والذي كرس حياته لهذه المهمة هو راهب تقي أحب شفيعه **القديس مينا** حتى أنه أخذ اسمه عند رهبنته بدير البرموس (١٩٢٨/٢/٢٥).

وفيما بعد توحّد **الراهب مينا** في أحد طواحين الهواء في مصر القديمة وحولها إلى كنيسة صغيرة. ولما مُنع من البقاء فيها أثناء الحرب العالمية الثانية لأسباب أمنية، بنى كنيسة على اسم الشهيد في مصر القديمة وضع فيها جزءاً من جسد مارمينا أخذه مما بقى في كنيسة فم الخليج، وصارت هذه الكنيسة وخادمها الراهب المتوحد قبلة الخدام والمكرسين وطالبي شفاعة **القديس مينا.** ولأنه كانت **للآب مينا** دالة كبيرة عنده فكان يحمّله حل مشاكل خدمته ويطالبه بشفاء مرضاه.

وفي ١٩٥٩/٥/١٠ صار القمص **مينا المتوحد** بطريركاً باسم **كيرلس السادس.** وبعد رسامته بأيام (١٩٥٩/٦/٢٢- ١٥ بؤونة الذي يوافق عيد ظهور جسد **مارمينا)** أقام أول قداس على أطلال الكنيسة القديمة، وأزال الركام عن مدينة **بومينا (بياض)** في مريوط، وزار المنطقة عدة مرات.

وفي يوم الجمعة ١٩٥٩/١١/٢٧، وفي موقع الدير الأثري، وضع حجر أساس الدير الجديد[٣] وبدأ البناء بكنيسة صغيرة باسم **الأنبا صموئيل المعترف.** وتم بناء الدير في نوفمبر ١٩٦١، وحوى جزءاً من جسد

---

(٣) هناك أيضاً ديره الأثري بجبل **أبنوب** بصعيد مصر الشهيد باسم **الدير المعلق**، الذي يحتفلون فيه **بعيد مارمينا** في أول أبيب (يوم تكريس كنيسته التي أقامها **البابا أثناسيوس** بمريوط، وأيضاً لأن البابا أثناسيوس احتمى بهذا الدير أيام هروبه في الصعيد). فضلاً عن أن هناك أكثر من ٢٠ كنيسة في مصر على اسم **مارمينا** غير الكنائس التي في الخارج (كنيسته في **أيرلندا** التي كرز باسم المسيح فيها ٧ رهبان من دير مارمينا).

القديس مينا، نُقل إليه في احتفال كبير في ١٥/٢/١٩٦٢. وأوصى **البابا كيرلس** وقتها أن يُدفن في الدير. وبعد نياحته (٩/٣/١٩٧١) نُقل جسده إلى الدير (٢٤/١١/١٩٧٢).

وأخذ أول راهب يدخل هذا الدير اسم **مينا آفا مينا** (وكان تلميذ البابا كيرلس، سليمان رزق)، وهو صار أول أسقف للدير بنفس الأسم. وأخذ الأسقف التالي اسم **كيرلس**، على اسم البابا الذي أحيا ذكرى **القديس مينا** واستعاد ديره.

✠ ✠ ✠

أن مصر تفتخر باثنين من أبناءها حمل اسم **مينا**: الأول **الملك مينا نارمر** موحد الوجهين البحري والقبلي، والثاني هو **القديس مينا** الشهيد الشاب الذي هو شفيع الآلاف داخل مصر وخارجها، والذي تحتفل كنيستنا له بثلاثة أعياد(٤)، ويلقبونه بالعجائبي.

القديس مينا هو نموذج لكل شاب وشابة. فهو في مقتبل عمره صار للعالم نوراً وملحاً للأرض. وكل ما كان له ربحاً حسبه بغير ندم خسارة ونفاية من أجل فضل معرفة المسيح ربه. ومن أجل أمانته ساندته النعمة وألهمه الروح أن يواجه العالم بغير خوف منتصراً على كل أسلحته وأباطيله، راضياً بالموت الأليم من أجل الحياة الأبدية. وتظل حياته إلهاماً لأجيال وراء أجيال. فهذا واحد مثلنا جاهد وانتصر.

---

(٤) في ١٥ هاتور (٢٤ نوفمبر) يوم استشهاده، ١٥ بؤونة (٢٢ يونيو) يوم ظهور بقايا جسده وتكريس **البابا ثيئوفيلس** كنيسته، وأول أبيب (٨ يوليو) يوم تكريس كنيسته التي أقامها **البابا أثناسيوس**.

عيد الشكر

لا شكَّ أن تقديم الشكر لله هو أحد أركان الحياة الروحية في العهدين القديم والجديد(*) ، وهو علامة الإيمان الحيّ وتسليم الحياة لله، كما أنه مؤشر على نمو الشركة مع الله صانع الخيرات.

■ المسيح يُعلِّمنا :

فالسيد، أيام تجسُّده، كان يقدم الشكر للآب في كل مناسبة، فيقول: "**أحمدك أيها الآب** رب السماء والأرض، لأنك أخفيت هذه عن الحكماء

(*) احتفالات الشكر تقليد إنساني قديم بدأه المصريون واليونانيون والصينيون الأوائل ابتهاجاً بوفرة المحصول. وكان المصريون يقدمون احتفالهم في الربيع لإله الزراعة والخصب **من** Min.

وفي القرون المتأخرة تم إحياء احتفالات الشكر في أمريكا الشمالية وبدأها المهاجرون الإنجليز (١٦٢١)، وفي ١٧٨٩ اعلن الرئيس **جورج واشنطن** يوم ٢٦ نوفمبر (وفيما بعد صار الخميس الرابع من نوفمبر) **عيداً قومياً للشكر**، وانتقل بعدها إلى كندا (وإنما يُحتفل به في أكتوبر).

ورغم ما يصاحب الاحتفال بعيد الشكر من طقوس في الطعام (مثل الديك الرومي وغيره) إلا أنه يتميز باجتماع كل أفراد العائلة معاً والاشتراك في صلاة شكر لله على نعمه الكثيرة.

وسيكون توجُّهاً صائباً أن تتبنى كنيستنا في المهجر هذا العيد بفكرته النبيلة كممارسة تقوية وأن تضفي عليه بخبرتها الأبائية لمسة روحية أعمق تتجاوز دائرة الطعام والشراب والرواج التجاري، ليصير تقديم الشكر لله تحية كل يوم لمحب البشر وضابط الكل.

والفهماء وأعلنتها للأطفال" (مت١١:٢٥). فالشكر هنا لأن ملكوت الله يقترب، وها هو المخلِّص بين الناس، وها هو الرب يكشف أسراره للبسطاء الذين قبلوه.

وفي معجزة **إشباع الجموع** (مت ١٥:٣٦، مر ٨:٦، يو ٦:١١)، وعند تأسيس **سر الإفخارستيا** (مت ٢٦:٢٧، لو ٢٢:١٧)، فإن الرب **"شكر وبارك".** وعند **إقامة لعازر** رفع يسوع عينيه إلى فوق قائلاً: **"أيها الآب، أشكرك** لأنك سمعت لي" (يو ١١:٤١).

فالمسيح يدعونا أن نشكر الله على عطاياه السابقة واللاحقة: **"مراحمه لا تزول، هي جديدة في كل صباح"** (مرا ٣:٢٢و٢٣). وبعين الإيمان نرى استجابته الآتية، حتى ولو تأخرت، وحتى لو كانت بالرفض. فالله المُحب يرفض من طلباتنا ما لا يُناسبنا، أو ما كان منها ضدنا ونحن لا ندرك.

■ وكلمات الكتاب تعلِّمنا :

فالوحي الإلهي على لسان كاتب **المزامير** يحثنا أن **"احمدوا** الرب لأنه صالح، لأن إلى الأبد رحمته" (مز ١٣٦:١). ومعلِّمنا **بولس الرسول** عندما أخذ خبزاً **"شكر الله** أمام الجميع، وكسَّر، وابتدأ يأكل" (أع ٢٧:٣٥). وقد كتب إلى أهل فيلبي يقول: "لا تهتموا بشيء، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع **الشكر،** لتُعلم طلباتكم لدى الله" (في ٤:٦)، كما كتب أيضاً إلى أهل أفسس يقول: **"شاكرين كل حين على كل شيء** في اسم ربنا يسوع المسيح، لله والآب" (أف ٥:٢٠). **فالصلاة تكون مع الشكر، واللقمة تؤكل مع الشكر، وأن يكون الشكر كل حين وعلى كل شيء.**

ولا يفتأ **بولس الرسول** يقدم الشكر لله على اختياره وعلى مساندته لخدمته وعلى قبول الأمم للإيمان فيكتب "وأنا **أشكر المسيح يسوع ربنا** الذي قوَّاني، أنه حسبني أميناً، إذ جعلني للخدمة" (١تي ١:١٢)،

"**أشكر إلهي بيسوع المسيح** (في كل حين) من جهة جميعكم أن إيمانكم يُنادَى به في كل العالم" (رو ١:٨، ١كو ١:٤، ١تس ١:٢)، "**أشكر إلهي** عند كل ذكري إيَّاكم" (في ١:٣)؛ "**نشكر الله وأبا ربنا يسوع المسيح كل حين**، مُصلِّين لأجلكم، إذ سمعنا إيمانكم بالمسيح يسوع" (كو ١:٣و٤). فخادم الله يشكر الله الذي اختاره للخدمة، وهو إذ يشعر بعمل الله في خدمته يُقدِّم شكراً لله الذي يُخلِّص ويُبارك ويُنمي ويستخدم خدمته وإمكاناته القليلة، فيُثمر بها الكثير.

■ والكنيسة تُعلِّمنا :

فصلاة الشكر هي بداية كل الصلوات، سواء أكانت صلوات السواعي، أو القدَّاس (الحافل بكلمات الشكر)، أو سائر الأسرار، وحتى عند الصلاة على الراقدين. فالنفوس المؤمنة التي أسلمت قلبها لله، والتي تثق في محبة الله وكمال تدبيره، وأن كل ما يعمله هو للخير، تُقدِّم له الشكر على كل حال.

و"**التسبحة**" وهي تفيض بآيات الشكر، تتغنَّى بها الكنيسة مُسبِّحة مع الملائكة، الذين رآهم القديس يوحنا واقفين حول العرش ساجدين قائلين: "البركة والمجد والحكمة **والشكر** والكرامة والقدرة والقوة لإلهنا إلى أبد الآبدين" (رؤ ٧:١٢)، ويُشاركهم الشكر أيضاً الأربعة والعشرون قسيساً قائلين: "**نشكرك** أيها الرب الإله القادر على كل شيء" (رؤ ١١:١٧).

■ والتقاليد والأعراف تُعلِّمنا :

فمن التقاليد القبطية أن الشخص بعد أن يتناول طعامه يقول: "**الحمد لله**". كما أن كثيرين في المجتمع القبطي (والمصري عموماً) عندما يُقدَّم لهم شكرٌ على خدمة ما، يتعفَّفون عن قبوله بقولهم: "**لا شكر على واجب**" أو "**الشكر لله**"، باعتبار أن الأمر من قبل ومن بعد يعود إلى الله، فهو الذي أعطى وسمح ودفع إلى فعل الخير، وهو بالتالي مَن يستحق الشكر.

وفي المجتمعات المتحضرة صارت كلمة الشكر تلقائية بعد كل عمل أو خدمة أو لفتة مهما كان مقدارها. إن كلمة الشكر تعني أن النفس رقيقة

المشاعر قد التقطت فعل الخير وأدركته. ونحن مدينون بكلمة أو التفاتة الشكر أمام أية بادرة للخير. **والذين صار شكر الله عندهم قانون الحياة، يسهل عليهم شكر الآخرين على خدمتهم وأتعابهم، صغرت أم كبرت.**

■ مجالات الشكر:

نحن نشكر الله على العطايا والنِّعَم التي يُشاركنا فيها كل البشر فإنه **"يُشرق شمسه على الأشرار والصالحين، ويُمطر على الأبرار والظالمين"** (مت ٥:٤٥): وذلك مثل نعمة الحياة، الطبيعة من حولنا المسخَّرة لخدمتنا، الصحة، المواهب، النجاح، السلامة، العائلة، المال، الطعام، الملبس... إلخ. وفي هذا يُنبِّهنا الله قائلاً: "لا تهتموا قائلين: ماذا نأكل، أو ماذا نشرب، أو ماذا نلبس؟ فإن هذه كلها تطلبها الأمم" (مت ٦:٣١و٣٢).

ولكننا كمؤمنين لنا عطايانا الخاصة، التي هي أعظم بما لا يُقاس، مثل: **نعمة الخلاص والغفران والحياة الأبدية، الحياة بالإيمان، هبات الروح القدس، كلمة الله، نعمة العبادة والتسبيح، خدمة المسيح والتبشير باسمه، والتألُّم والموت من أجله.** كل هذا مما يجعل لحياتنا قيمة حقيقية تتجاوز مجرد الوجود، فنردِّد مع صاحب المزمور: **"باركي يا نفسي الرب ولا تنسي كل حسناته.** الذي يغفر جميع ذنوبك. الذي يشفي كل أمراضك (الروحية والجسدية). الذي يفدي من الحفرة (التجربة) حياتك. الذي يُكَلِّلك بالرحمة والرأفة. الذي يُشبع بالخير عمرك، فيتجدَّد مثل النسر شبَابُكِ" (مز ١٠٣:٢-٥).

■ لماذا الشكر؟

الشكر لله هو ردّ فعل طبيعي لنفسٍ مؤمنة تُدرك أنها بالله تحيا وتتحرك وتوجد (أع ١٧:٢٨)، فتشكره على عطاياه التي لا تُستقصَى.

والشكر هو علامة الإيمان بأن **الله صالح لا يصنع إلاَّ خيراً "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله"** (رو ٨:٢٨)، كما أنه **ضابط الكل** الذي **"لا يدعنا نُجرَّب فوق ما نستطيع بل سيجعل مع التجربة أيضاً المنفذ"** وذلك بعد تحقيق قصد الله (١كو ١٠:١٣). ومن هنا فإن شكرنا لله في التجارب

والضيقات والآلام هو علامة **طاعتنا وتسليمنا** لمَن هو **موضع رجائنا، وثقتنا** في حُسن تدبيره وصدق مواعيده. كما أن شكرَنا لله على القليل كما نشكره على الكثير هو من ناحية علامة **اكتفائنا: "إن كان لنا قوتٌ وكسوة فلنكتفِ بهما"** (١تي ٦:٨)، وأن سرَّ الغِنَى الحقيقي هو حضور الله في حياتنا، ومن ناحية أخرى هو أن محبتنا لله تلقائية بغير نظر إلى العطية.

وشكر الآخرين على ما يقدِّمونه لنا من خير هو بنوع ما شكرٌ لله في شخص هؤلاء الذين دبرتهم نعمة الله لخدمتنا ومساعدتنا. وفيما يتعلَّق بنا فعلينا أن نصنع الخير ونقدِّم المساعدة دون أن ننتظر شكراً من أحد. **فالخدمة مُقدَّمة لله: "**بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الأصاغر، **فبي فعلتم"** (مت ٢٥:٤٠)، والله ليس بظالم حتى ينسى تعب المحبة مهما كان ضئيلاً: **"مَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد... إنه لا يضيع أجره"** (مت ١٠:٤٢).

وإذا كان الشكر يُبهج قلب الله، إذ يرى أولاده المحبين يُدون امتنانهم لعطاياه ورعايته لهم كل الأيام، فإنه لمما يحزن قلب الله أن تتجمد مشاعر الإنسان الذي ينال العطية، ويفوته أن يمجِّد الله؛ حتى أن الرب بعد ما شفى البُرص العشرة ولم يرجع منهم غير واحد - وكان سامرياً - ليمجِّد الله، تأسَّف في قلبه قائلاً: **"ألم يوجد مَن يرجع ليُعطي مجداً لله غير هذا الغريب الجنس؟"** (لو ١٧:١٨). فالشكر فضيلة رائعة، بينما الجحود والإهمال تراجُع عن إنسانية الإنسان وتباعُده عن الله مصدر كل خير.

إن الاستخفاف بعطية الله، وأسوأ منه التذمُّر وعدم الرضا، هو إعلان عن الانفصال عن الله وفقدان الثقة في مواعيده. ونتيجته المحتومة حياة قلقة لا تعرف الراحة وتُعاني التعاسة التي تعكسها على مَن حولها. وأمامنا موقف **أيوب** وموقف امرأته، فبينما استطاع أيوب - بقبوله كل ما سمح به الله له - أن ينجو بنفسه متماسكةً صابرةً شاكرة، عابراً وادي الآلام، حتى نال عاقبة صبره وشُكره؛ كانت امرأته عبئاً عليه، بتذمُّرها واحتجاجها وانتقادها لكل ما جرى، فلم تحصد إلا علقماً.

وها هو الرب بذراعه الرفيعة ينقذ بني إسرائيل من العبودية ويُخرجهم من مصر، ولكن تذمُّرهم كان سبب غضب الله ونبيه موسى. فقد رأوا فيما صنعه الله مؤامرة لإماتتهم، واجترأوا على الله قائلين: "هل لأنه ليست قبور في مصر أخذتنا لنموت في البرية؟... لماذا أصعدتنا من مصر لتُميتنا وأولادنا ومواشينا بالعطش؟" (خر ١٤:١١، ١٧:٣). وحتى لما دبَّر الله المنّ والسلوى طعاماً لهم يتجدَّد كل يوم على مدى السنين، قالوا: "كرهت أنفسنا الطعام السخيف" (عد ٢١:٥). وكانت عاقبة غلاظة القلب والرقبة ورفض تدبير الله وإهانته، هلاكاً لكل مَن خرج من أرض مصر خلال سنوات التيه الأربعين، ولم يدخل كنعان منهم سوى يشوع وكالب وأجيالهم التالية.

■ بركات حياة الشكر:

إن نفس الله ترتاح في القلوب الطائعة الشاكرة دوماً، والتي ألقت كل رجائها على الله أصل وجودها. وكلما التزمت النفس بالشكر، سواء فاضت عليها البركات والأفراح، أم حاصرتها الآلام والتجارب، كلما تمتعت **بعناية الله ورعايته وحمايته وبركاته** أضعافاً **"لأنه تعلَّق بي أُنَجِّيه. أُرَفِّعُه لأنه عرف اسمي. يدعوني فأستجيب له. معه أنا في الشدة. أُنقذه وأُمَجِّده، من طول الأيام أُشبعه، وأُريه خلاصي"** (مز ٩١:١٤-١٦).

ومن ناحيتنا فإن حياة الشكر تملأ النفس **بالفرح**، لأننا أرضينا الله بالتفاتنا وتقديرنا لعطاياه، ولأن نعمة الله سندتنا فلم تسمح للتجربة أن تفصلنا عن محبة الله؛ بل صرنا بالتجربة أقرب إلى الله؛ وتصاعد يقيننا أن الله لا يفعل إلاَّ الخير، وأننا موضع اهتمامه، ومن هنا يحل **السلام** الواثق منتظراً موعد الرب. وهذا بالتالي يُحبط عمل الشرير الذي يريد أن يمتلئ القلب بالتذمُّر والجحود والاستهانة بعطية الله.

إن الله صانع الخيرات يستحق شكرنا، وإن كان لا يحتاجه. فليضئ روح الله حواسنا الداخلية لتُدرك إحسانات الله كل الحياة، **ولنجعل من كل يوم عيداً للشكر.**

عيد القديس فيلوباتير مرقوريوس

(أبي سيفين)

مثل شهيدنا المصري **مارمينا**، **فالقديس فيلوباتير مرقوريوس** كان عسكرياً أيضاً، **"جندياً صالحاً ليسوع المسيح"** (٢تي٢: ٣)، وإن لم يكن مصرياً.

وُلد **فيلوباتير** (ومعنى الاسم: محب الآب) في ٢٢٥م في **كبادوكيا** شرق آسيا الصغرى، مدينة **اسكنتوس** (Eskentos أو Scythia)، واسم والده **جورديانوس** (أو **ياروس** Yares) الذي كان قائداً في الجيش، واسم والدته **كيبوتوس**. وكانا وثنيين، ولكنهما فيما بعد آمنا بالمسيح واعتمدا ومعهم فيلوباتير، فأخذ الأب اسم **نوح** والأم الاسم اليوناني **للفُلك**، وفيلوباتير اسم **مرقوريوس**[١] Mercurius.

ولما توفى والده، صار **مرقوريوس**، وهو في السابعة عشرة، جندياً رومانياً مكان أبيه.

وما لبث أن تعرضت الدولة لهجوم البربر، وهذا استدعى إعلان الحرب

(١) وقيل أنه أخذ هذا الاسم عندما انخرط في سلك الجندية.

لصد هذا الهجوم. وشارك **مرقوريوس** في الدفاع عن الوطن كضابط في فرقة اسمها **مارتيثون** تعسكر في أرمينيا تحت قيادة القائد **ساترنينوس**.

وفيما هو يتأهب لدخول المعركة، ظهر **لمرقوريوس** رئيس الملائكة **ميخائيل**، وقدم له سيفاً وبشّره أنه سيغلب، وحثّه أن يظل على إيمانه مهما كان الثمن. فأخذ منه السيف وصار يحمل سيفين[٢]. وانتهت الحرب بالانتصار على البربر بعد أن أبدَى شجاعة عظيمة، فترقّى وصار قائداً للجيش وسنّه خمس وعشرون سنة.

ومنتشياً بالانتصار، فجّر **الإمبراطور ديسيوس (داكيوس)** (٢٤٦-٢٥١م) حملة اضطهاد عاتية ضد المسيحيين قادها **فاليريوس** (فاليريانوس)، مهدداً الرافضين لإنكار الإيمان بالموت الأليم.

بلغ الإمبراطور أن **مرقوريوس** لا يشارك في الحملة، واشتعل غضبه عندما عرف بإيمانه، وعصيانه أمر القيصر ورفضه تقديم الذبائح للآلهة الوثنية أرطاميس شكراً لها على تحقيق النصر، فأمر باعتقاله وإرساله مكبلاً بالأغلال إلى قيصرية كبادوكيا. وهناك تعرّض للتعذيب الشديد لإثنائه عن موقفه، ولكنه لم يتراجع عن إيمانه، والرب شدده وأرسل له **رئيس الملائكة ميخائيل** يسانده وسط آلامه.

في النهاية قطعت رأسه ونال إكليل الشهادة في ٥ ديسمبر ٢٥٠م (٢٢ نوفمبر بعد التعديل الجريجوري) الموافق ٢٥ هاتور. فأخذ المؤمنون جسده ودفنوه. وبعد انتهاء عصر الاستشهاد بولاية **قسطنطين** المُلك، سمح الرب بظهور جسد **القديس مرقوريوس** بتجلّيه في رؤيا لشخص فقير. فحمله الشعب بإكرام عظيم وشيدوا كنيسة على اسمه أودعوا فيها الجسد[٣].

---

(٢) بعد استشهاده وإعلان قداسته صار يُلقب **"بأبي سيفين"** لهذا السبب.

(٣) يحتفل في ٢٥ أبيب بتذكار تدشين أول كنيسة على اسم **القديس أبي سيفين**.

أما عن احتواء ديره في مصر القديمة على جزء من جسده، فيذكر التاريخ أن بطريرك أرمينيا زار مصر، والتقى بالبطريرك القبطي الذي طلب منه أن يأخذ جزءاً من رفات القديس ليوضع في كنيسته، واستجاب لطلبه، وهذا تم في ٩ بؤونه (١٦ يونيو)[٤] حيث أودعت رفاته في الكنيسة المعروفة باسمه داخل دير أبي سيفين العامر للراهبات[٥] ذي السمعة الروحية العالية والذي خضع للتجديد أواخر القرن العشرين.

يبقى أن نقول أن **القديس مرقوريوس** صعد إلى قمة المجد وهو شاب في الخامسة والعشرين، مثله مثل **القديس مينا** الذي جاء بعده بستة عقود، ولكنه واجه امتحان الإيمان بشجاعة ولا كانت نفسه ثمينة عنده وقدمها رخيصة لمن أحبه أولاً ومات من أجله. فتمجد بأن دخل الفردوس وأن يظل اسمه عالياً في كنيسة المسيح على مدى القرون.

ونحن نطلب من **القديس فيلوباتير مرقوريوس** أن يشفع عنا أمام منبر الملك المسيح ليغفر لنا خطايانا.

---

(٤) هناك روايتان عن السنة التي تم فيها ذلك. فقيل أن ذلك كان في عهد البابا الرابع والسبعين **يؤنس السادس** في أوائل القرن ١٥ [ولكن سجلات التاريخ تقول أن فترة البابا الرابع والسبعين هي أواخر القرن ١٢ وأوائل القرن ١٣ (١١٨٩- ١٢٣٥م)]. فإذا كان أوائل القرن ١٥ هو التاريخ الصحيح، فيكون البطريرك الذي يواكب هذه الفترة هو البابا ٩٣ **يؤنس الثاني عشر** (١٤٨١-١٥٢١م).

(٥) يعود تاريخ تأسيس هذا الدير إلى ما بعد القرن الخامس الميلادي، حيث تعرض كثيراً خلال السنين للهدم والتخريب والحريق، حتى أنه لم يبق منه أواخر القرن السابع إلا كنيسة صغيرة، وأعيد بناؤها في زمان **مارافرام السرياني** البطريرك ٦٢ (٩٧٤- ٩٧٩م) عقب أعجوبة نقل جبل المقطم. ولكنها دُمرت هي والدير في حريق الفسطاط (١١٦٨م) ولكن أُعيد بناؤها في ١١٧٦م. وزار الدير الرحالة **جورج كريستوف** بين ١٦٣٤، ١٦٣٦م.

وكان هذا الدير مقراً للبطريركية بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر. وفي ١٠٨٠م اجتمع فيه ٤٧ أسقفاً باسم الحاكم الفاطمي **بدر الجمال** لوضع القوانين القبطية. وعاش فيه **القديس برسوم العريان** لعشرين عاماً قبل نياحته في ١٣١٧م. وتمت في كنيسته رسامة بطاركة آخرين بين القرنين ١٦، ١٨.

"فجاءوا مسرعين، ووجدوا مريم ويوسف والطفل مضجعاً في المذود" (لو٢: ١٦)

أعياد شهر كيهك

■ عيد رأس السنة الميلادية(*) (٣١ ديسمبر/ أول يناير- ٢٢ كيهك)

+ تجديد الحياة(**)

■ عيد الميلاد (٢٩ كيهك)

+ التجسد والخلاص

(*)**التقويم الميلادي** هو تقويم قديم تغيرت بدايته أكثر من مرة أخرها بناء مدينة روما، وهو مؤسس على **التقويم المصري** وإن وزعوا أيام الشهر الصغير (مع يومين أخذوهما من فبراير) وأضافوها إلى سبع شهور ليصير كل منها ٣١ يوماً. وكانت البداية **شهر مارس** (إله الحرب)، و**أبريل** الاسم اليوناني للمعبودة **فينوس**، و**مايو** من **مايا** ربة الربيع، و**يونيو** من **يونو** ربة الزواج، وأُطلق اسم القيصرين **يوليوس** و**أغسطس** على الشهرين ٥، ٦، ويليهما **السابع** (سبتمبر) و**الثامن** (أكتوبر) و**التاسع** (نوفمبر) و**العاشر** (ديسمبر)، و**يناير** على اسم **يانوس** رب السماء، و**فبراير** بمعنى التطهير، ونسبت أسماء أيام الأسبوع عند الغرب إلى النجوم والكواكب، **فالسبت** هو لزحل Saturn أجمل الكواكب وصار اسمه بالتالي Saturday، و**الأحد** للشمس واسمه Sunday، و**الاثنين** للقمر واسمه Moonday Lundi (Monday)، و**الثلاثاء** للمريخ مارس Mars, Marde واسمه Mardi و Tuesday (منسوباً إلى Teus إله الحرب عند أمم الشمال)، و**الأربعاء** لعطارد Mercury واسمه Mercredi و Wednesday (منسوباً إلى أودين إله الفنون)، و**الخميس** للمشترى Jupiter واسمه Jeudi و Thursday، و**الجمعة للزهرة** Venus واسمه Vendredi و Friday.

(**) يناسب الاحتفال برأس السنة التأمل في **مثل شجرة التين** (لو١٣: ٦-٩).

■ عيد رأس السنة الميلادية

تجديد الحياة

التطلع إلى الجديد والسعى نحو الأفضل من سمات البشر. ولأن أشياءنا تبلى، وحتى علاقاتنا يصيبها الوهن مع الزمن، لذا فهذه كلها تحتاج أن نفحصها دورياً لنعرف ما طرأ عليها ثم نعالجها لتصير فى حال أفضل، وربما استبعدنا جوانب منها واستبدلنا بها الجديد الذى يطيل أمدها ويضفى عليها البهاء. فنحن نجدد مساكننا لتبدو فى هيئة أحسن، ونستبعد القديم والبالى من ملابسنا ونشترى ثياباً جديدة. ونحن نراجع علاقاتنا مع شركاء الحياة والأقارب والأصدقاء ورفاق العمل والخدمة ونسعى لرأب ما تصدع منها بالغفران والتسامح، ونذكر محبتنا الأولى، ونجتهد ألا تستغرقنا دوامات الحياة وتنسينا رفاق الطريق فنلتفت من جديد لندفع بالدماء إلى هذه العلاقات فنحييها ونجددها.

أكثر أهمية من كل ذلك، أن حياتنا نحن تحتاج إلى تجديد دورى. وبداية عام جديد فرصة مناسبة تماماً لهذا الأمر الحيوى.

❊ ❊ ❊

✚ ومنذ سقوط الإنسان واشتياق قلبه أن يجدد الله خلقته "قلباً نقياً **اخلق** فىَّ يا الله وروحاً مستقيماً **جدّد** فى داخلى" (مز٥٠: ١٠). والله من جانبه يعد بتجديده روحاً وقلباً وأن يجعل منه إنساناً جديدا لائقاً بملكوت السموات "وأعطيكم **قلباً جديداً** وأجعل **روحاً جديدة** فى داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم" (حز١١: ١٩، ٣٦: ٢٦).

✚ وكان **تجسد الابن** هو الوسيلة والنموذج. فهذا هو ابن الإنسان، **آدم الثانى**، الذى به وفيه تتجدد خليقة الله، ويأتى الإنسان الجديد الذى يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه (شخص **يسوع المسيح**) (كو٣: ١٠).

✚ وفى حديث الرب مع نيقوديموس يشير إلى أن الإنسان لكى يعود من جديد إلى ملكوت الله لابد له **أن يولد من جديد** (يو٣ :٥)، وهذه الولادة يعملها الروح القدس فى المعمودية عندما تجوز النفس موتاً مع المسيح وتقوم معه فى **جدة الحياة** (رو ٦ :٣ - ١٤)، المغتسلة من الخطايا (أع ٢٢ : ١٦)، والتى تبررت وتقدست باسم الرب يسوع والروح القدس (١كو٦ :١١)، وفيها نلبس المسيح "لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح **قد لبستم المسيح**" (غل ٣: ٢٧).

✚ ويشير الرب إلى تحقيق الوعد القديم: "هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمل مع بيت إسرائيل ومع بيت يهوذا **عهداً جديداً**، لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم، يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر، لأنهم لم يثبتوا فى عهدى" (إر٣١:٣١، عب٨: ٨)، عندما قدّم إلى تلاميذه ليلة آلامه دمه قائلاً "هذا هو دمى الذى **للعهد الجديد (العهد الجديد بدمى)**" (مت٢٦ :٢٨، مر١٤: ٢٤، لو٢٢ :٢٠). أى أن **العهد الجديد** بين الله والناس قد كلّفه دم ابنه **"وسيط العهد الجديد"** (عب٩ :١٥، ١٢: ٢٤). فليس هو عهد كلام، وإنما عهد قد خُتِمَ بالدم النازف حتى الموت.

✚ والرب يصف حياتنا الأبدية **بالتجديد** "أنتم الذين تبعتموني: في **التجديد** Regeneration، متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضاً تدينون أسباط إسرائيل" (مت١٩: ٢٨).

✚ ويصفها **يوحنا الرائي بأورشليم الجديدة، والسماء الجديدة والأرض الجديدة** (رؤ٢١: ١)، **حيث يصنع الله كل شئ جديداً** (رؤ٢١: ٥)؛

✚ وينتظر **معلمنا بطرس** مع كل المؤمنين بحسب وعد الله **"سموات جديدة وأرضاً جديدة يسكن فيها البر"** (٢بط ٣ :١٣)؛

✚ و**معلمنا بولس** يدعونا أن نسلك في **جدة الحياة** (رو٦: ٤) وأن **يتجدد الداخل** يوماً فيوماً (٢كو٤: ١٦)؛ **ويطالبنا أن نتجدد بروح ذهننا ونلبس "الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله في البر وقداسة الحق"** (أف٤: ٢٣، ٢٤). فتحولنّا إلى المسيح يغيرنا من الجذور "إن كان أحد في المسيح فهو **خليقة جديدة..** الأشياء العتيقة قد مضت **هوذا الكل قد صار جديداً"** (٢كو٥: ١٧).

❋ ❋ ❋

ونحن هنا نعرض لبعض جوانب تجديد الحياة في المسيح يسوع :

(١) تجديد الإيمان:

إن إيماننا بالمسيح يعني أن حياتنا مرتبطة بشكل مباشر بشخص المسيح في المقام الأول، وليس بمن أو بما حوله؛ ليس بأمور تتعلق بالعبادة قد تتم بصورة آلية أو شكلية، كمجرد الذهاب إلى الكنيسة كعادة أو ساعة الحاجة، أو الصلاة بالشفاه، أو الصوم كمجرد تغيير نوع الطعام، أو حتى الاعتراف وإنما دون توبة، وغيرها وغيرها.

فهذه الممارسات يمكن أن تتم مستقلة تماماً عن الإيمان بالمسيح (أو ربما بديلاً عن الإيمان بالمسيح). فكثيرون من المدعوين مسيحيين قد يغفلون عن المسيح السائر بجوارهم (كما حدث مع تلميذي عمواس)، ولا يفكرون فيه

ولا يتعاملون معه أو يحادثونه (حتى ولو كانوا يصلّون!). هم يتخلصون من تبعية المسيح ونفقتها العالية بألوان آلية من التدين تعطيهم راحة كاذبة أنهم أدّوا واجبهم.

الإيمان الحقيقى يجعلنى **ابناً لله** (يو١: ١٢) **ووارثاً بالمسيح ومعه** (رو٨: ١٧، عب٦: ١٧، ١١: ٩) **للملكوت الأبدى** المُعد لنا منذ تأسيس العالم (مت ١٩: ٢٩، ٢٥: ٣٤، اكو٦: ٩، غل٥: ٢١).

لقد رفع المسيح الدَيْن عنى وخلصنى من موت الخطية. وإن عدم يقينى من جهة خلاصى وترك الأمر للحظ والنصيب ولما ستسفر عنه النتائج فى اليوم الأخير هو إنكار لعمل الصليب والقيامة من جهة، وطعن فى حقيقة إيمانى كمسيحى من جهة ثانية. ومصدر هذا المفهوم الخاطئ هو الجهل وغياب التوعية الروحية. فالشخص الذى يجهل حقيقة نسبه، وبالتالى يجهل أنه قد صار وارثاً، لن يدافع عن حقه فى الميراث وسيعيش فقيراً ويموت دون أن يناله. **أما المؤمنون الحقيقيون، الذين يتمتعون بالخلاص الثمين وبنوتهم لله، فإنهم يدركون حقيقة الميراث الذى آل إليهم والمحفوظ لهم فى السموات** (ابط١: ٤)، **ويعيشون فى مخافة الله كل أيام الحياة، مجاهدين ضد الخطية** (عب١٢: ٤)، **متممين خلاصهم بخوف ورعدة** (فى٢: ١٢)، **مترجّين يوم اللقاء وحضورهم عشاء عرس الخروف** (رؤ١٩: ٧) **عند إعلان الخلاص الأخير** (فى ٣: ٢٠، ١بط ١: ٥).

ومن هنا فنحن نحتاج أن نتيقن على الدوام بوثوق علاقتنا بشخص المسيح كمخلص وحيد لحياتنا (أع٤ : ١٢)، وباستمرار هذه العلاقة ونموها، وأنه محور كل أنشطتنا الروحية والجسدية والعملية. **فالحياة المسيحية هى فى المسيح وغايتها سكنى المسيح فينا "مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فىَّ. فما أحياه الآن فى الجسد فإنما أحياه فى الإيمان، إيمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لأجلى"** (غل ٢: ٢٠)؛ **"ليحل المسيح بالإيمان فى قلوبكم"** (أف٣ :١٧).

والقديس بولس ينبهنا أن نمتحن أنفسنا من جهة الإيمان بالمسيح واختبار الخلاص: **"جربوا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان. امتحنوا أنفسكم"** (٢كو١٣: ٥). وعلينا أن نستجيب لهذه الدعوة **فتجديد إيماننا** هو حجر الزاوية فى كل بنياننا الروحى، وهو الكفيل بسكب القوة فى كل جوانب عبادتنا وحفظها من التحول إلى ممارسات شكلية أو فرائض تتم غيابياً. وكلما تقدمت بنا الأيام وواظبنا على امتحان أنفسنا من جهة الإيمان لاكتشاف جوانب الضعف وانتزاعها، كلما زاد إيماننا قوة وحياتنا نضارة. ووعد الرب صادق لا يكذب **"يعطى المُعيى قدرة ولعديم القوة يكثر شدّة.. الفتيان يتعثرون تعثراً أما منتظرو الرب فيجدّدون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور يركضون ولا يتعبون يمشون ولا يعيوْن"** (إش٤٠: ٢٩- ٣١).

وعلى كل قابل للعهد الجديد أن يدرك هذا جيداً: أن الحياة الجديدة التى أتيحت له فى المسيح يسوع تمر من **الباب الضيق**، وتتطلب **حمل الصليب** (مت١٦: ٢٤)، وتتبّعه كل الطريق الكرب الذى يمر بجثسيمانى والجلجثة (وأيضاً بمجد القيامة)، وهو المؤدى فى النهاية إلى **الحياة الأبدية** (مت٧: ١٤).

(٢) تجديد التوبة:

ستظل التوبة هى عملنا الأساسى اليومى ونحن نمارس حياة القداسة كمؤمنين حقيقيين، اختبروا المسيح مخلصاً، وصار الإيمان عندهم حياة بأكملها، وفهموا التوبة بمعناها الشامل أى **تغيير الفكر والاتجاه الذى يُعبّر عنه "بالميتانيا" كتجديد لفعل المعمودية، وأنها ليست كفًّا عن خطية هنا أو خطية هناك حسب ما تعى الذاكرة أمام أب الاعتراف، وإنما هى التحول من "حالة" الخطية إلى "حياة" القداسة.** فأى إيمان هذا الذى يفرز حياة مزدوجة متعثرة يراها البعض أقصى المنال.

نعم. لن تستحق اسم التوبة عمليات الترقيع الخارجية أو الإصلاحات الجزئية، التى تُجرى كلما دعت الحاجة أو حاقت بالإنسان نازلة، والتى سوف تستمر دون أن ينصلح حال الثوب وإنما ستتسع فيه الخروق (مت٩: ١٦، مر ٢: ٢١، لو٥: ٣٦)، وتتزلق الحياة إلى الزيف والرياء.

التوبة الشاملة تعنى استبعاد الثوب الممزق وارتداء الجديد (الحلة الأولى فى مثل الابن الضال- لو١٥: ٢٢)، **أى الحياة الجديدة بعمل الروح القدس، أو الرب يسوع نفسه الذى لبسناه فى المعمودية** (غل٣: ٢٧). وهى لا تحتمل إخفاء الخطية أو استبقاءها، ولا تقبل خدمة السيدين الفاشلة (مت٦: ٢٤). **فالبر لا يمكن أن يختلط بالإثم، كما أن النور لا يمتزج بالظلمة** (٢كو٦: ١٤-١٨). والرب يقول عن المؤمن إن **"له حياة أبدية ولا يأتى إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة"** (يو٥: ٢٤).

ومعلمنا بولس يقول للمؤمنين: **"كنتم قبلاً ظلمة وأما الآن فنور فى الرب. اسلكوا كأولاد نور"** (أف٥: ٨). فلابد إذاً أن يكون اختلاف المؤمن عن غير المؤمن حاداً، ساطعاً، وشاملاً. **وهذه الحياة المقدسة يضمنها الروح القدس الساكن فينا**(اكو٦:١٩،٣:١٦-٢٠) بطاعة المؤمن، كما أن إثارة التوبة هى أيضاً عمل الروح القدس **"توبنى فأتوب لأنك أنت الرب إلهى"** (إر٣١: ١٨).

بالطبع فإن إبليس عدونا لنا بالمرصاد، ويصفه معلمنا بطرس: **كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه** (١بط ٥: ٨). ولكن مع مداومة التوبة تنتهى حالة الاستسلام الأولى وينمو فى القلب اتجاه إلى مقاومة إبليس ورفض الخطية **"فقاوموه راسخين فى الإيمان"**(١بط٥: ٩)؛ **"قاوموا إبليس فيهرب منكم"** (يع٤: ٧)؛ **"لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية"** (عب١٢: ٤)، مع ثقة فى النصرة **"فإن الخطية لن تسودكم"** (رو٦ :١٤).

ربما لا تأتى النصرة إلا بعد فترة من الصراع مع عدو الخير **"فإن مصارعتنا** ليست مع دم ولحم بل مع الرؤساء مع السلاطين.. مع أجناد الشر الروحية فى السماويات" (أف٦: ١٢)، ولكن بمساندة النعمة واستخدام سلاح الله الكامل (وضمنه **درع البر وترس الإيمان وخوذة الخلاص وسيف الروح** - الذى هو **كلمة الله** - أف٦ :١٣-١٧) ينتهى الصراع بغلبة المؤمن وتتوقف المعارك الكبيرة ولا يبقى إلا المناوشات الصغيرة، التى حتى ولو بالضعف أو السهو تراجعت فيها الإرادة، فإن الخروج منها وعدم الخضوع للشر هو الذى يسود. فمن ذاق حلاوة الانتصار - حتى ولو غفل أحياناً (وهو ما يسمح به الله لرذل الثقة بالذات ودوام الاتضاع وحصر الاتكال فى الله) - قادرٌ بمؤازرة النعمة على المقاومة حتى الغلبة.

وكما أن صحيح الجسم تنتابه الأمراض أحياناً فيتحملها ثم تمضى دون أن تترك أثراً، ويظل مختلفاً عن الأشلّ أو فاقد الحواس، كذلك فإن خطية المؤمن هى الاستثناء وقداسته هى القاعدة التى تأبى أن تبقى النفس فى الخطية الطارئة، ويتم التغيير والتصحيح بالتوبة، ويمتد نموه الروحى إلى آفاق أرحب (وخطيته إذاً **ليست للموت** - ١يو٥: ١٦،١٧)، أما غير المؤمن فخطيئته هى الأمر الطبيعى (وهذه الخطية **هى للموت** - ١يو٥: ١٦).

وعندما نستمع إلى قول المسيح عن عثرة اليد أو الرجل أو العين منبهاً إلى قطعها أو قلعها - إن اعثرتنا - لإنقاذ الحياة (مت ٥: ٢٩،٣٠، ١٨: ٨-٩، مر٩: ٤٣-٤٨) ندرك أن الأمر جدّ خطير. فإذا كان الجرّاح يضطر أحياناً إلى بتر الساق التالفةَ لإنقاذ الجسد كله، **فقد يتعين علينا أن نقتلع الخطية المحبوبة المودعة فى أحد كهوف القلب السنين الطوال، وسيحتاج الأمر عندها إلى كل شجاعتنا ووعينا وتسليمنا للإقدام على هذه الخطوة الصعبة التى تساوى قلع العين**[1] **أو قطع**

(١) يقال إن **سمعان الخراز** بطل معجزة نقل جبل المقطم قد نفذَ هذه الوصية حرفياً بأن قلع إحدى عينيه عندما أدرك أنها تجاوزت حاجز العفة.

اليد[٢] **أو الرجل من أجل إنقاذ حياتنا. وسيتولى طبيبنا الشافى، الذى جاء يدعونا إلى التَوبة** (مت٩: ١٣، مر٢: ١٧، لو٥: ٣٢)، **إجراء هذه الجراحة الأليمة لأننا نحن لا نستطيع** . وإن شركة المسيح لتستحق قبول هذه الجراحة الروحية[٣]، كما تبررها الحياة الأبدية التى إليها دعينا، هدف الحياة الثمين الذى نمسك به (١تى ٦ :١٢، ١٩).

(٣) تجديد نواحى العبادة:

عندما يمضى الوقت فتتحول العبادة إلى مجموعة من الفرائض يمكن أداؤها ببعض الجهد، دون مشاركة الإيمان الحى وعمل الروح القدس، لا تصير عندها موجهة فى الحقيقة إلى الله بل إلى إرضاء الذات. وتكون النتيجة تضخماً للذات وبرها، وتحولها إلى إلهٍ بديل. ومن هنا فلابد من مراجعة جوانب عبادتنا وتجريدها من الآلية والذاتية لتكون نابعة من إيمان حى بالمسيح مخلصنا، والتشفع بالروح القدس كى يعمل فينا فتظهر أعمالنا أنها بالله معمولة (يو٣: ٢١) ومن ثم تصير مقبولة أمام العرش الإلهى:

---

(٢) فى هذا المجال لازلنا نذكر منذ سنوات حادثة ذلك الصياد من مالاوى الأفريقية الذى أطبق تمساح ضخم فكيه على ذراعه وبدأ فى سحبه إلى البحيرة. فما كان منه إلا أن أهوى بسكين على ذراعه الأسيرة فقطعها تاركاً إياها فى فم التمساح ونجا هو بحياته.. وقبل سنوات (صيف ٢٠٠٣) عرضت شاشات التليفزيون الأمريكى حواراً مع أحد متسلقى الجبال فى الولايات المتحدة الذى انهارت عليه كتلة صخرية كبيرة انحشرت يده تحتها، وظل أسيراً يتهدده الموت لثلاثة أيام، حتى دفعه حبه للحياة، التى رآها تتسرب أمام عينيه، أن يستجمع كل شجاعته ويعمد إلى كسر عظام رسغه مستخدماً يده الطليقة فى ثنى يده المحاصرة إلى حدها الأقصى، ثم احتمل ألم بترها تماماً بسكين صغيرة. واستطاع بعدها أن يتحرر.. وظهر على الشاشة بيده الصناعية مبتهجاً أنه وأن كان قد فقد إحدى يديه لكنه نجا من موت محقق.

وفى الحالتين كان ما اقدم عليه بطلانا هو الاختيار الدامى والصحيح فى لحظات المصير.

(٣) قطع شاب مصري (٢٠١٢/٨/٢٦) يديه الواحدة بعد الأخرى تحت عجلات القطار لكي يمنع نفسه من ممارسة السرقة. وبالطبع لا يمكن أن يكون هذا هو الحل الصحيح، لأن المشكلة ليست في اليد وإنما في القلب والعقل الشرير الذي يجب أن يغتسل بالتوبة للنجاة من الخطية التي أجرتها الموت.

(أ) نمو المعرفة بكلمة الله:

كلمة الله للمؤمن هى نبع الحياة والنور **"الكلام الذى أكلمكم به هو روح وحياة"** (يو٦: ٦٣)؛ **"سراج لرجلى كلامك ونور لسبيلى"** (مز١١٨: ١٠٥، ٢بط١: ١٩)، والإرشاد، والكشف الداخلى **"خارقة إلى مفرق النفس والروح"** (عب٤: ١٢). وإذا كان **القديس بولس** يوصينا **"لتسكن فيكم كلمة الله بغنًى"** (كو٣: ٦) فهذا يعنى أن **تستقر** الكلمة دوماً فى القلب والعقل **وبغنًى.** وهذا لن يتأتّى إلا بمداومة عادة قراءة ودراسة وفهم الكتاب كل الحياة. ولأن كثيراً ما تطغى المشاغل والاهتمامات على عادة قراءة الكلمة، فيصير محتِما أن نجدّد وننشِط قراءتنا للكلمة لأنها ضمان استمرار معرفتنا لشخص المَسيح رفيق الحياة الآن وإلى الأبد.

ولابد أن نشير هنا إلى ضآلة معرفتنا على مستوى الشعب، وأيضاً العديد من الخدام، بكلمة الله، وهى علاقة لا تسر إلا عدو كل خير وتتطلب جهداً على مستوى الكنيسة واجتماعاتها (وتخصيص اجتماع مستقل فى كل كنيسة لدراسة الكتاب والتعود على قراءته قراءة صحيحة)، لإثارة المعرفة بكلمة الله ودراستها وفهمها وحفظها لأنها الكفيلة بتنمية الإيمان، والحثّ على الصلاة، وإثارة التوبة، وتقديس الفكر وكل الحياة، وهى مصدر الفرح وكل تعزية، وهى سلاح المبشر والخادم وكل عامل فى حقل الكرازة.

(ب) الاتجاه من الحرف والشكل والآلية إلى الروح:

قد تبدأ عبادتنا : صلواتنا وأصوامنا، حارة روحية تقدس الفكر والقلب وترفع الأشواق إلى السماويات، خاصة إذا صاحبتها توبة حقيقية مستمرة؛ ولكن إذ تمضى الأيام يمكن أن تنسحب العبادة من دائرة الروح المحيى إلى

الحرف الذى يقتل (٢كو٣: ٦)، وتتميم الفرائض بصورة شكلية. والآن تأتى الفرصة للتوقف عند هذا الأداء الآلى كهدف فى حد ذاته، ولتكون العبادة واسطة للاتحاد بالله وشركة الروح القدس:**"نعبد بجدة الروح** لا بعتق الحرف" (رو٧: ٦)؛ **"تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم"** (رو١٢: ٢).

الذين لا يصلّون ولا يصومون لا مشكلة عندهم، أما الذين ارتبطت حياتهم بالصلاة والصوم فلابد لهم من امتحان عبادتهم لإنقاذها من سلطان العادة والدوران فى نفس المكان. **فالصلاة** يتهددها أن تتحول إلى تلاوات محفوظة من الشفاه بغير روح (مت١٥: ٨، مر٧: ٦)، **والصوم** يتهدده أن يتحول إلى مجرد تغيير ألوان الطعام، بدل أن يكون بذلاً للجسد من أجل انتعاش الروح، ترافقه الصلوات واللهج فى الكلمة، وممارسة التوبة المتواترة والتناول من الأسرار. وبغير ذلك يكون الصوم جهداً جسدياً بلا طائل.

(ج) سخاء العطاء:

يبدأ الناس عطاءهم ربما بأقل من العشور، ثم عندما يصلون إلى **العشور** يعتبرون أنهم قد تمموا ما عليهم، ولكن عطية الله تتجاوز الحسابات "ليس أحد ترك.. إلا ويأخذ **مائة ضعف"** (مت١٩: ٢٩، مر١٠: ٣٠). وعلينا أن نتعلم من الله ونثق أن **"من يزرع بالشح فبالشح أيضاً يحصد، ومن يزرع بالبركات فالبركات أيضاً يحصد"** (٢كو٩: ٦). فالعطاء الكثير بغير قيد (إلى حد المغامرة) إعلان عن نمو محبتنا لله وتصاغر تعلقنا بالأشياء والمال، مقابل تصاعد قيمة الحياة الأبدية فى عيوننا. هناك وعد صريح من الرب أن **"أعطوا تعطوا"** (لو٦: ٣٨)، وبقدر حبنا ووفرة عطائنا سيكون عطاء الله وبركته أضعافاً.

(د) الخروج من الذات إلى خدمة الآخرين:

قد يعفى البعض نفسه من **الخدمة** ويقصرها على الآباء والخدام. ولكن الخدمة بكل نوع هى عمل كل مؤمن : **"اذهب إلى بيتك وإلى أهلك وأخبرهم كم صنع الرب بك ورحمك"** (مر٥: ١٩)؛ **"تحب قريبك كنفسك"** (مت٢٢: ٣٩). والرب جعل لها دوراً فى اليوم الأخير **"تعالوا إلىَّ يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم.** لأنى جعت فأطعمتمونى .. فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك.. فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم **بما أنكم فعلتموه بأحد إخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم"** (مت ٢٥: ٣٤- ٤٦). فمن يحب المسيح سيخدمه فى شخص هؤلاء حتى ولو كانوا غير مؤمنين، وقد ينسى هو خدمته التى أدّاها ولكن الله العادل الذى لا ينسى تعب المحبة (عب٦: ١٠) سيذكرها ويعلنها فى اليوم الأخير.

✻ ✻ ✻

يوم بدء العام الجديد[٤] هو فرصة تتيحها لنا النعمة لتجديد الحياة وإنعاشها.. وليردد كل منا مع المغبوط بولس "أنا لست أحسب نفسى أنى قد أدركت. ولكنى أفعل شيئاً واحداً إذ أنا أنسى ما هو وراء وأمتد إلى ما هو قدام. أسعى نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع" (فى٣: ١٢-١٤).

(٤) وأيضاً لنجعل يوم عيد الميلاد الشخصي، وعيد الزواج، بدءاً جديداً لترك الماضي والسعي نحو الأفضل.

■ **عيد الميلاد** [١]

التجسد والخلاص[٢]

ما أبأس المصير الذي كان سينتهي إليه الإنسان لو لم يفتقده الله برحمته، وينـــزل إليه متجسِّداً، ويفتح له أبواب الملكوت.

وما أشد تعاسة الإنسان إن بَقيَ أسير الشيطان والخطية والموت، لو لم يتحنَّن عليه جابله ومجيئه مخلِّصاً وفادياً، ويُحرِّره من سجنه، ويُنعم عليـــه بالحياة الأبدية.

وما أفقر حياة الإنسان، وأحلك الظلمة التي كانت ستـــسوده، لـــو لم يأتِ إليه في ملء الزمان ابن الله في الجسد، ويملأ حياته نوراً وبهجة ورجاء.

---

(١) **القراءات: البراموز:** غل٣: ١٥-٤: ١٨، ١يو ٤: ١-١٤، أع ١٣: ١٣-٢٥، لـــو٢: ١-٢٠؛ **العيد: عـــشية:** مـــز ٧٢: ١٠، لـــو٣: ٢٣-٣٨، **بـــاكر:** مـــز ٧٢: ١٥، يـــو١: ١٤-١٧؛ **القداس:** عب١: ١-٢: ٤، ٢بط١: ١٢-١٧، أع ١٣: ٢٦-٣٣، مت٢: ١-١٦.

(٢) اقرأ أيضاً مقال: **"ظلال الصليب على أحداث الميلاد"** في **الكتاب الثاني** من سلـــسلة **"نـــور الحياة"** (ص ١٠).

التجسُّد Incarnation، أي أن يأخذ الله جسد الإنسان، كان الرد الإلهي على سقوط الإنسان وخضوعه للموت. فأمام عجز الإنسان الخاطئ عن أن يُكفِّر عن خطيته وينجو من الموت، كان أن صار الله إنساناً مكافئاً للناس في كل شيء، ما عدا الخطية المُسبِّبة للموت، ويُكفِّر بدم نفسه نائباً عن كل الخطاة. وهو إذ يقوم منتصراً بعد موته من أجلهم، يُعلن غلبته على الموت، ويُحقِّق البراءة للإنسان الخاطئ، ويهب كل مَن يؤمن به الحياة الأبدية.

التجسُّد هو عماد الإيمان المسيحي وقرينه وحده. **المسيحية هي المسيح.** والمسيح هو أقنوم الابن الذي تجسَّد لأجل خلاص جنس البشر. والتجسُّد اقتضى أن يُولَد الله بشراً من امرأة (غل ٤: ٤). ولكي يتحرَّر الجسد، الذي يتَّخذه الله، من الخطية التي سبَّبت الموت، كي يكون مؤهَّلاً للتكفير عن الخطاة؛ اقتضى أن يكون ميلاده بالتالي من عذراء بغير الزواج الطبيعي الذي فيه تُتوارث الخطية. والكتاب يُسجِّل هذا التدبير الإلهي بعد سقوط الإنسان مباشرة، في قول الله للحيَّة (إبليس): **"وهو** (أي نسل المرأة) **يسحق رأسك"** (تك ٣: ١٥). فهو هنا ينسب النسل لا للرجل (حسب التقليد) وإنما للمرأة. وتكشف النبوَّات عن عذراوية هذه **"المرأة": "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"** (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣؛ لو ١: ٣١-٣٤).

بالطبع فإنَّ حدثاً مركزياً في تاريخ العلاقة بين الله والإنسان، مثل **التجسُّد الإلهي**، لابد أن تكون له انعكاساته العديدة على جوانب أخرى من حياة الإنسان والوجود، ولكن يظل **الفداء والخلاص** الهدف المباشر البارز بشهادة الكتاب بعهديه، وكتابات الآباء الأوائل، وقوانين الكنيسة الجامعة، برغم مَن يقبلون منه أموراً ويرفضون غيرها، أو مَن يقولون بحتمية التجسُّد ومجيء الابن إلى العالم حتى لو لم يُخطئ الإنسان!

* * *

رغم كل شئ، يبقى **التجسد** عصّياً على الفهم، رغم التسليم به باعتبار قدرة الله الذي لا يعسر عليه أمر، **وأن تنازل الله وتخليه لا يقلل من شأنه بل يظل أبداً كاملاً وكلياً ومطلقاً.**

+ فلماذا لم يخلق الله الإنسان منذ البداية كاملاً حراً، بحيث لا ينحرف عن جادة الصواب فيسقط وتتشوه صورته ويسوده الموت ويعود إلى التراب، بما يكلف الله أن ينزل إليه، ويأخذ جسده، ويصير عبداً، وفي نهاية المطاف يصلبه بعض من جاء لخلاصهم كفّارة عن خطاياهم؟!

فإن قيل أن الله خلق الإنسان حراً دون قيد على إرادته، وبالتالي فهو لم يكن مُجبراً على الخير أو الشر، وإنما كان يملك حق الاختيار بينهما[٣]. ولكنه إذ إنحاز إلى العصيان فقد عوقب بالموت وطُرد إلى الأرض التي أُخذ منها (تك٣: ١٩، ٢٤).

+ ولقد يقال.. ألم يكن كافياً أن يتأسف الإنسان ويتوب عن خطيته وينتهي الأمر؟ بالطبع هذا ليس كافياً لتحقيق العدل الإلهي. فالتوبة رجوع عن الخطية والتأسف عنها، ولكنها لا تغير الطبيعة الشريرة للإنسان (تك٦: ٥، ٨: ٢١) ولا تستأصل فساده بغير رجعة.

فغفران الخطية يقتضي سفك الدم (عب٩: ٢٢). والله حكم بالموت على من يخطئ (تك ٢: ١٧)، وعدله يقتضي نفاذ الحكم، ومحبته اقتضت أن تكون هناك كفارة وفدية تنقذ الإنسان من حكم الموت فتعيده إلى الحياة وترده إلى رتبته الأولى.

---

(٣) "انظر. قد جعلت اليوم قدامك الحياة والخير، والموت والشر.. أشهد عليكم اليوم السماء والأرض. قد جعلت قدامك الحياة والموت، البركة واللعنة، فاختر الحياة لكي تحيا أنت ونسلك. إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حياتك" (تث ٣٠: ١٥، ١٩، ٢٠)؛ "هكذا قال الرب. هأنذا أجعل أمامكم طريق الحياة وطريق الموت" (إر ٢١: ٨).

+ إذا كان الأمر كذلك، فلماذا يتكفل الله بكل هذا العبء ولا يكلف به آخرين- وهو سيد الكل- ملائكة أو بشراً، أنبياءً أو أتقياءً؟

• **فالملائكة** ليسوا من طبيعة البشر المراد خلاصهم، كما أنهم ليسوا غير قابلين للسقوط، فإبليس وجنوده كانوا ملائكة لم يحفظوا رياستهم وسقطوا تحت الدينونة (يه ٦).

• وكل **البشر**، بمن فيهم **الأنبياء والأتقياء**، لا تخلو مسيرة حياتهم من الضعف والسقوط، فكيف يبّرر خاطئ خاطئاً مثله؟ وكيف يتصدى المحدود للتكفير عن تعدٍّ غير محدود (لأنه كان ضد الله غير المحدود)؟

■ **إله واحد ووسيط واحد :**

+ في المسيح إذاً توفرت كل المؤهلات اللازمة لفداء الإنسان وخلاصه من الموت. فهو **بلاهوته** كان الإله الحق المؤهل للمصالحة **"كل شئ به كان وبغيره لم يكن شيئ مما كان"** (يو ١: ٣)؛ **"لأنه يوجد إله واحد ووسيط واحد بين الله والناس: الإنسان يسوع المسيح الذي بذل نفسه فدية لأجل الجميع"** (١تي٢: ٥، ٦). كما أنه **بلاهوته غير محدود ولا يعرف خطية** (٢كو٥: ٢١). **وبناسوته "والكلمة صار جسداً"** (يو ١: ١٤) هو إنسان كسائر البشر، شاركهم جسدهم دون خطيتهم (بولادته من عذراء قدسها الروح القدس)، قابلاً للموت وقد حمل خطاياهم في جسده (١بط ٢: ٢٤)، ومات لأجل الجميع بالجسد (٢كو ٥: ١٥). فداس الموت بموته وقام ناقضاً أوجاعه (أع ٢: ٢٤) بعد ثلاثة أيام، وصنع خلاصاً هذا مقداره، ثم صعد بجسده إلى مجده الذي كان له قبل كون العالم، وكل من يؤمن به نال الحياة الأبدية.

المسيح هو **الشفيع الكامل** الذي ليس مثله شفيع، والذي **"ليس بأحد غيره الخلاص"** (أع ٤: ١٢)، والذي هو **"حي إلى أبد الآبدين"** (رؤ ١: ١٨) ليشفع فينا ويخلص إلى التمام (رو٨: ٣٤، عب ٧: ٢٥).

+ المسيح هو **المخلص والوسيط** الفريد الذي اجتمع فيه **المقدِّم "رئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق"** (عب ٦: ٢٠، ٧: ٢٦، ٩: ١١)، **والمقدَّم عنهم** (باعتباره ابن البشر الذي يموت عنهم)، **والتقدمة "ليس بدم تيوس وعجول بل بدم نفسه دخل مرة واحدة إلى الأقداس فوجد فداءً أبدياً"** (عب٩: ١٢)؛ **"لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا"** (١كو ٥: ٧).

■ **شابهنا في كل شئ :**

وهنا يمكن أن يقال.. حسناً.. لماذا لا يظهر الله مباشرة إنساناً كاملاً في السن التي بدأ فيه الرب خدمته، ولماذا يبدأ جنيناً لتسعة أشهر في بطن عذراء، ثم يُولد طفلاً فصبياً، إلى أن يصير شاباً في الثلاثين لكي يبدأ خدمته العامة، وكرازته بالعهد الجديد، وتقديم نفسه نموذجاً للإنسان الجديد، ومخلصاً للعالم، وغالباً للموت بالصليب والموت والقيامة، ومؤسساً للكنيسة، ملكوته على الأرض وفي السماء، التي تضم جميع المؤمنين بغير تمييز؟

والإجابة أن المسيح، وقد كان نائباً عن البشر في حمل آثامهم، وبذل نفسه كفارة لأجل خطاياهم، فلكمال التدبير كان لابد أن يشبه إخوته في كل شئ (عب٢: ١٧): أن يُحمل به مثلهم في أم من البشر، ويولد منها ولكن بلا خطية، وينمو مثلهم عابراً مراحل سنهم حتى يتهيأ لرسالته. وفي هذا يقول الكتاب: **"فإذ قد تشارك الأولاد في اللحم والدم، أشترك هو أيضاً كذلك فيهما، لكي يبيد بالموت** (موته على الصليب) **ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس، ويعتق أولئك الذين خوفاً من الموت كانوا جميعاً كل حياتهم تحت العبودية"** (عب٢: ١٤، ١٥).

كما كان عليه لكمال أداء مهمته أن يكون إنساناً طبيعياً حقيقياً لا شبه إنسان، أي يمارس إنسانيته ويجوز فيما يجوز فيه الإنسان من الضعف والآلام. فهو مثله: جُرِّب (مت ٤: ١، لو٤: ٢)، وتعب (يو ٤: ٦)، وعمل نجاراً

(مر ٦: ٣)، وجاع (مت ٤:٢)، وعطش (يو١٩:٢٨)، واحتاج (مت٢١:٣)، وشارك أفراح الناس (يو٢:٢) وأحزانهم (لو٧:١٣)، وهو حزن (مت٢٦:٣٧)، وبكى (يو١١: ٣٥)، وتألم (لو٢٤: ٦)، وظُلم (إش ٥٣: ٧)، وأُهين (مت٢٧: ٣١)، وفي النهاية مات موت الصليب (مت٢٧: ٥٠).

ولكن شكراً لله أنه كان القدوس البار الذي بلا عيب ولا خطية. كان الإنسان الإله والحياة ذاتها (يو ١: ٤). ومن هنا لم يُمسَك من الموت جسدياً إلا لأيام ثلاثة، قام بعدها بلاهوته واهباً الحياة لكل من يؤمن به، وعاد إلى مجده عن يمين أبيه، ليظل شفيعاً وكفارة لخطايا كل العالم (١يو ٢: ٢) إلى أخر الدهور. وبقي موت الجسد وسيلة لأن يعود الإنسان إلى التراب الذي أُخذ منه، ليقوم المؤمن في جسد لا يعتريه فساد ولا يخضع للموت الأبدي:

"لأنه في ما هو قد تألم مجرباً يقدر أن يعين المُجربين" (عب ٢: ١٨)؛

"لأن ليس لنا رئيس كهنة غير قادر أن يرثى لضعفاتنا بل مجرب في كل شئ مثلنا بلا خطية" (عب ٤: ١٥)؛

"فمن ثم يقدر أن يخلص أيضاً إلى التمام الذي يتقدمون به إلى الله إذ هو حي في كل حين ليشفع فيهم" (عب ٧: ٢٥)؛

"وإن أخطأ أحد فلنا شفيع عند الله الآب يسوع المسيح البار وهو كفارة لخطايانا. ليس لخطايانا فقط بل لخطايا كل العالم أيضاً" (١يو ٢: ١، ٢).

وسيكون **مجيئه الثاني** لاكتمال التدبير الإلهي إعلاناً **للخلاص الأخير** أو **تمام الخلاص**، واحتفالاً بدخول الإنسان من جديد، كل من آمن بشخص المخلص، إلى الملكوت المُعد لنا منذ تأسيس العالم:

"هكذا المسيح أيضاً بعد ما قُدم مرة لكي يحمل خطايا كثيرين سيظهر ثانية بلا خطية للخلاص للذين ينتظرونه" (عب ٩:٢٨)؛

"فإن سيرتنا نحن هي في السماوات التي منها أيضاً ننتظر مخلصاً هو الرب يسوع المسيح الذي سيغير شكل جسد تواضعنا ليكون على

صورة جسد مجده" (في ٣: ٢٠، ٢١)؛

"أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعد أن يُعلن الزمان الأخير" (١بط ١: ٥)؛

"وإذ كُمِّل صار لجميع الذين يطيعونه سبب خلاص أبدي" (عب٥: ٩).

■ محبة الله واتضاعه في تجسده :

محبة الله الفائقة واتضاعه البالغ هما من جوانب إعجاز تجسد الرب. فعندما يتنازل الله كلي المجد والقدرة والعظمة، ملك الملوك ورب الأرباب، خالق الكل وضابط الكل، بأي مقدار مهما تضاءل عن أيٍّ مما له، فهو الإتضاع الحقيقى الفائق الذي لا يمكن مجاراته، والذي لا يُقارَن به اتضاع الإنسان. لأن اتضاع الإنسان هو مجرد إقرار بنقصه وضعفه ومحدوديته في القدرة والمعرفة والقوة والإمكانات. فعندما يبلغ إخلاء الله وتنازله أن يصير إنساناً يشارك البشر ضعفهم ومحدوديتهم فهو ما لا يُسبر غوره وما نعجز نحن عن استيعابه.

✚ ولكن الله لم يكتف بذلك. فكان ممكناً في إتضاعه أن يظهر إنساناً ملكاً أو رئيساً أو قائداً أو عظيماً، ولكنه ارتأى أن يشارك بتجسده أدنى الناس وأضعف الطبقات وأفقرها. وبهذا يعيد لكل الطبقات الضعيفة كرامتها الإنسانية المُفتقَدة والتى هي حق لكل البشر ويتساوى فيها الجميع، حتى ولو حجبها الظلم والتمييز عن بعض البشر بسبب اللون أو الجنس أو العرق أو العقيدة أو المستوى الاجتماعي أو غيره.

✚ هكذا وُلد يسوع طفلاً رضيعاً، لا من ملكة وإنما من قروية فقيرة من **الناصرة**، البلدة التى من فرط بساطتها لم يتوقع أحد أن يخرج منها شئ صالح (يو١: ٤٦)، ولا في أورشليم المدينة الكبرى، وإنما في **بيت لحم** الصغرى بين مدن يهوذا (مت ٢: ٦)، ولا في بيت مهما كانت بساطته وإنما في مذود البهائم، ويكون أول من يأتي إليه رعاة ساهرين على خرافهم وليس أكابر القوم ورؤساؤهم. هكذا سجل الكتاب عن المسيح يسوع:

"الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلسة أن يكون معادلاً لله، لكنه أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً في شبه الناس، وإذ وُجد في الهيئة كإنسان، وضع نفسه، وأطاع حتى الموت (وليس أي موت بل)، **موت الصليب"** (في ٢: ٥-٨).

+ كما أظهر الله في تجسده مدى محبته القصوى للإنسان، حتى أنه لم ينزل إليه فقط، وإنما مات من أجله صانعاً فداءً لم يكن ممكناً أن يصنعه غيره **"ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه"** (يو١٥: ١٣)، وهو لم يهب نفسه لأبرار بل لخطاة أحبوا الظلمة أكثر من النور، وفي هذا يقول الكتاب: **"فإنه بالجهد يموت أحد لأجل بار. ربما لأجل الصالح يجسر أحد أيضاً أن يموت. ولكن الله بيَّن محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا"** (رو٥: ٧، ٨).

+ وفي تنازله البالغ ومحبته الكاملة، أستطاع أن يؤدي مهمته، ويحقق خلاصاً هذا مقداره، ثم يعود إلى مجده الذي كان له قبل كون العالم: **"لذلك رفَّعه الله أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب"** (في ٢: ٩-١١).

■ نعَم التجسد المقترنة بالخلاص :

كان **للتجسُّد الإلهي**، باعتباره حدثاً كونياً، آثاره في مجالات كثيرة في حياة البشر، إلى جانب **الخلاص**. فباتحاد الله بجسد البشر صاروا **"شركاء الطبيعة الإلهية"** (٢بط ١: ٤)، وبهذه الشركة يكتمل خلاص الإنسان. وتأمُّلات الآباء في هذا الصدد أكثر من أن تُحصَر:

فيقول **القديس إيرينيئوس: "**إن الله في محبته غير المحدودة صار على ما نحن عليه لكي يجعلنا نحن على ما هو عليه". وكتب **القديس كليمندس**

الإسكندري: (١٥٠-٢١٥) كلمة الله صار إنساناً حتى يصير الإنسان مؤلَّهاً فيه "(خطاب إلى الوثنيين). وكما تقول التسبحة: **"أخذ الذي لنا وأعطانا الذي له".**

+ وإذا كان المسيح قد صار شبيهاً بنا، فنحن بخلاصه وتعييننا للتبنِّي فيه (أف ١: ٥) صرنا **"مشابهين صورة ابنه** (ابن الله) **ليكون هو بكراً بين إخوة كثيرين"** (رو ٨: ٢٩):

"أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله أي المؤمنون باسمه" (يو ١: ١٢)؛

"انظروا أية محبة أعطانا الآب حتى نُدعَى أولاد الله" (١يو ٣: ١)؛

"لقد صار ابن الله إنساناً كي يصير الإنسان ابن الله" **(القديس إيرينيئوس)**؛

"ابن الله صار ابن البشر ليصير بنو البشر أبناء الله بالنعمة" **(القديس أثناسيوس).**

+ بالتجسُّد صار الله في وسطنا: **"وحلَّ بيننا ورأينا مجده"** (يو ١: ١٤)؛ **"ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم"** (أف ٣: ١٧)، وكل مَن يعتمد بالمسيح وله، يلبس المسيح ويحمل سماته (غل ٣: ٢٧)؛ وغاية الجهاد أن يتصوَّر المسيح فينا (غل ٤: ١٩). والرب قبْل أن يأتي دُعيَ اسمه **"عمانوئيل الذي تفسيره: الله معنا"** (إش ٧: ١٤؛ مت ١: ٢٣). وهو قد أعطانا أن نتحد به في شركة الجسد والدم: **"مَن يأكل جسدي ويشرب دمي، يثبت فيَّ وأنا فيه"** (يو ٦: ٥٦).

+ وهو، وقد أخذ جسدنا ليكون جسده مُشاركاً إيَّانا في اللحم والدم (عب٢: ١٤)، قدَّس جسد الإنسان وأشركه معه في تجلِّي اليوم الأخير بقيامته في مجد وقوة (١كو ١٥: ٤٣)**:** **"أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم؟"** (١كو ٣: ١٦)؛ **"ولكن الجسد للرب.. والرب للجسد.. ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح... أم**

لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس... فمجِّدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي لله" (١كو ٦: ١٣، ١٥، ١٩، ٢٠).

+ وهو، إذ وُجد على أرضنا وسار عليها، وأبحر في مياهها، وأكل من ثمارها، وشرب من مائها، قدَّسها وكل ما فيها، فهى خليقته التى يرعاها منذ كانت، وجرَّدها من كل نجاسة كانت تُنسَب إليها: **"ليس ما يدخل الفم يُنجِّس الإنسان، بل ما يخرج من الفم هذا يُنجِّس الإنسان"** (مت ١٥: ١١؛ مر ٧: ١٥)؛

"كل الأشياء طاهرة... كل شيء طاهر للطاهرين" (رو ١٤: ٢٠؛ تي ١: ١٥).

+ وهو وقد شاركنا كل شيء (ما عدا الخطية) (عب ٤: ١٥)، وتألَّم مجرَّباً، واختبر أوجاع البشر بما فيها الخيانة والظلم والإهانة والعار والعذاب حتى موت الصليب، قادر **"أن يُعين المجرَّبين"** (عب ٢: ٨)، صديقاً حنوناً لكل مَن يُعاني وليس له أحد (يو ٥: ٧).

+ وهو، إذ غسَّلنا من خطايانا بدمه (رؤ ١: ٥)، يبقى لنا شفيعاً عند الله الآب وكفَّارة لخطايانا وخطايا كل العالم إلى آخر الأيام (عب ٧: ٢٥؛ ١يو ٢: ٢)؛ **"إذاً لا شئ من الدينونة الآن على الذين هم في المسيح يسوع السالكين ليس حسب الجسد بل حسب الروح"** (رو ٨: ١).

■ الخلاص وناموس المسيح :

يبقى أنَّ مهمة المسيح الخلاصية قد صبغت كل تعاليمه، وأضْفَت نفسها على كل مبادئ إنجيله. فوصاياه بالحب لله والقريب والغريب والعدو، والتسامح للمُسيئين، والتوبة الدائمة تصحيحاً لمسيرة الإيمان، والتمثُّل به في الاتضاع ووداعة القلب، وتوجيه العبادة لله دون الناس، والسلوك بالحرية الحقيقية؛ هذه كلها لا يستطيعها ولا يتمتع بها إلاَّ مَن آمن ونال الخلاص، وتحوَّلت حياته نحو الله، ويَنعَم بسُكنى الروح القدس، ومعونة المخلِّص والشفيع.

كما صار الصليب والموت والقيامة عناصر أساسية فاعلة في حياة المؤمن. فأصبح **حمل الصليب** علامة تبعية كل مؤمن للرب (مت ١٠: ٣٨؛ ١٦: ٢٤؛ مر ٨: ٣٤؛ ١٠: ٢١؛ لو ١٤: ٢٧)، وأعظم الحب أن يضع الإنسان نفسه لأجل أحبائه (يو ١٥: ١٣)، **"والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف"** (يو ١٠: ١١). كما صارت غاية المؤمن أن يصلب ذاته ويموت عن الشهوات، ويقوم مع المسيح ليحيا الرب فيه ويتمجَّد عند ظهوره:

"مع المسيح صُلبتُ، فأحيا لا أنا، بل المسيح يحيا فيَّ" (غل ٢: ٢٠)؛

"فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق، حيث المسيح جالس عن يمين الله. لأنكم قد مُتُّم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله (الآب). **متى أُظهرَ المسيحُ حياتُنا، فحينئذ تُظهَرون أنتم أيضاً معه في المجد. فأميتوا أعضاءكم التي على الأرض: الزنا، النجاسة، الهوى، الشهوة الرديئة، الطَّمع..."** (كو ٣: ١-٥).

فالصليب والموت والقيامة هم في صميم عمل المسيح، ابن الله المتجسد، كما هم في صميم حياة المُخلَّصين، وبغير الصليب والموت والقيامة لم يكن للإنسان غير الموت الأبدي.

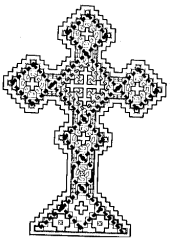

"أنه وُلد لكم اليوم في مدينة داود مخلص هو المسيح الرب"
(لو٢: ١١)

أعياد شهر طوبة

- **عيد الختان (٦ طوبة) (*)**
- **عيد الظهور الإلهي - الغطاس (١١ طوبة)**
- **عيد عرس قانا الجليل (١٣ طوبة)**
- **عيد استشهاد القديسة دميانة (١٣ طوبة)**
- **عيد القديس الأنبا أنطونيوس (٢٢ طوبة)**

(*) **القراءات: عشية:** مز١١٦: ١٦-١٨، لو٢: ١٥-٢٠؛ **باكر:** مز٦٦: ١٥، ١٣، لو٢: ٤٠-٥٢؛ **القداس:** في ٣: ١-١٢، ٢بط ١: ١٢-٢١، أع ١٥: ١٣-٢١، مز٥٠: ١٤، ٢٣، لو٢: ٢١-٣٩. .

عيد الختان

■ **الختان في العهد القديم :**

يعود أمر الختان إلى أيام **إبراهيم** أبي الآباء. وهو كان علامة في الجسد لعهد الله بالبركة لإبراهيم ونسله. ويذكر الكتاب أن الله ظهر **لأبرام** (الاسم القديم **لإبراهيم**، ومعناه الأب الرفيع)، الذي آمن به، وقال له **"اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك، فأجعلك أمة عظيمة، وأباركك وأعظّم اسمك، وتكون بركة وأبارك مباركيك ولاعنك ألعنه، وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض"** (تك ١٢:١-٣).

فخرج أبرام، ذو الخمسة وسبعين عاماً، ومعه **ساراي** امرأته و**لوط** ابن أخيه **هاران**، من حاران إلى أرض كنعان، حيث اجتاز إلى شكيم، وظهر له الرب وجدّد له وعده. فبنى أبرام هناك مذبحاً للرب. ثم نقل خيامه شرقي بيت إيل وأقام مذبحاً للرب ودعا باسمه (تك١٢:٧، ٨). ثم حدث جوع في الأرض، فانحدر أبرام إلى مصر، وبعدها عاد إلى بيت إيل، ومن جديد أكّد له الرب وعده **"... وأجعل نسلك كتراب الأرض"** (تك١٣: ١٦). ونقل

أبرام خيامه وأقام عند بلوطات ممرا في حبرون حيث بنى للرب مذبحاً (تك ١٣:١٤-١٨).

ودخل أبرام في حرب مع الملوك الذين هزموا سدوم وعمورة، و أسروا لوطاً واستولوا على أملاكه. فاستعاد لوط وأملاكه منهم. وفي عودته التقى **ملكي صادق** ملك ساليم، كاهن الله العلي، الذي باركه وأعطاه أبرام عُشر الغنائم كلها (تك ١٤:١٤-٢٠).

بعدها صار كلام الرب إلى أبرام في رؤيا: **"لا تخف يا أبرام. أنا ترس لك. أجْرُك كثير جداً"**. ثم أخرجه إلى خارج وقال: **"انظر إلى السماء وعدّ النجوم إن استطعت أن تعدّها... هكذا يكون نسلك. فآمن بالرب فحسبه له براً"** (تك ١٥:١-٦).

ولما كان أبرام ابن تسعة وتسعين سنة ظهر له الرب من جديد قائلاً: **"أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً، فأجعل عهدي بيني وبينك، وأكثّرك كثيراً جداً... وتكون أباً لجمهور من الأمم. فلا يُدعَى اسمك بعد أبرام بل يكون اسمك إبراهيم** (أي أباً لجمهور) **.. هذا هو عهدي الذي تحفظونه بيني وبينكم، وبين نسلك من بعدك، ويُختن كل ذكر منكم.. فيكون علامة عهد بيني وبينكم ابن ثمانية أيام يختن منكم كل ذكر في أجيالكم... أما الذكر الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها إنه قد نكث عهدي "** (تك ١٧:١-١٤، لا ٣:١٢، أع ٨:٧). وبارك الرب ساراي وغيّر اسمها إلى **سارة**، ووعد إبراهيم بابن منها يدعوه **اسحق "وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده"** (تك ١٧:١٥، ١٦).

في ذلك اليوم عينه، قام إبراهيم بختان نفسه وابنه الصبي **اسماعيل** وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته" (تك ١٧:٢٣-٢٧). بعدها ظهر الرب لإبراهيم في هيئة **ثلاثة رجال** (وهو ظهور لابن الله ومعه ملاكان)، وأكد على وعده السابق بميلاد **إسحق** بعد سنة. ولما وُلد إسحق ختنه إبراهيم في

اليوم الثامن (تك ٢١:١-٥).

كان **الختان** إذاً علامة العهد الإلهي، وعلامة طاعة الله. كما أنه كان علامة ظاهرة ودائمة في اللحم تعلن الإيمان بالله والانتماء بغير رجعة لشعب الله، فلا يمكن، بعد الختان، الانسلاخ من التبعية والعودة إلى الماضي. ولارتباط الختان بترف الدم فهو يشير بصورة ما إلى ارتباط الخلاص المنتظر بسفك الدم. كما أن قطع الغرلة - روحياً - يشير إلى قطع الحياة القديمة وتطهير القلب وتكريس النفس لله ومواعيده.

وبالفعل كان الختان عاملاً حاسماً في الفصل بين شعب الله المؤمن وجيرانهم الوثنيين[١]، وكان هذا أمراً جوهرياً لتقديس الشعب أي تكريسه واعتزاله عن غيره، ولضمان استقامة العبادة ونقائها والتزامها بالإله الواحد الحقيقي وحده[٢]. وقد ظلت عبادة الله وطقوس الختان سائدة في الشعب خلال فترة التغرب الطويلة في مصر، فكانت عاصماً من التخلي عن وعد الله القديم.

ويشير الكتاب أنه بعد زواج **موسى** من **صفورة** بنت **يثرون** كاهن مديان، أنجبت له ابناً، سماه **جرشوم** (ومعناه غريب، إشارة إلى إقامة موسى في أرض غريبة)، الذي لم يختن في اليوم الثامن، لأنها لم تكن عادة المديانيين بالطبع. وحدث عندما طلب الرب من موسى أن يرجع بعد موت ملك مصر لإنقاذ إخوته العبرانيين، ففي الطريق، وبرفقته زوجته وابنه، ظهر له **"ملاك الرب"** (حسب الترجمة من اليونانية - السبعينية - أو **"الرب"**

---

(١) يذكر الكتاب أن **داود** أشار إلى **جليات** بأنه **"الفلسطيني الأغلف"**، حطًّا من شأنه، باعتباره ليس من شعب الله (١صم١٧:٢٦، ٣٦). كما أن والدي **شمشون** اعترضا على اختياره امرأة من **الفلسطينيين الغُلف"** (قض١٤:٣).

(٢) صارت كلمة **"الختان"** كناية عن اليهود و**"الغرلة"** عن الأمم. فيكتب القديس بولس **"أني أُؤتمنت على "إنجيل الغرلة" كما بطرس** (ويعقوب ويوحنا) **على "إنجيل الختان". فإن الذي عمل في بطرس لرسالة الختان عمل فيّ أيضاً للأمم"** (غل٢:٧، ٨).

حسب الترجمة من العبرانية) وهمّ أن يقتله لعدم ختان ابنه. وأحسّت صفورة بالذنب فختنت ابنها ومسّت بغرلته الدامية قدمي موسى (كأنها تفديه من الموت بالدم) قائلة: **"قد وقف دم ختان ولدي** (حائلاً أمام موت موسى- حسب الترجمة من اليونانية)؛ أو حسب الترجمة من العبرانية: **"إنك عريس دمٍ لي. فانفك عنه، حينئذ قالت: عريس دمٍ من أجل الختان"** (أي دشّنت زواجها بدم الختان) (خر٤:٢٤-٢٦).

كما حدث، بعد عبور العبرانيين الخارجين من مصر لنهر الأردن، أن قال الرب ليشوع: **"اصنع لنفسك سكاكين من صوان واختن بني إسرائيل"**. ذلك أن جميع من خرجوا من مصر كانوا مختونين، أما الذين وُلدوا في البرية بعد الخروج فلم يُختنوا لصعوبة الظروف والتيه الطويل. وخلال أربعين سنة كان قد فَنِي جميع الرجال الذين حلف الرب لهم أنه لا يُريهم الأرض بسبب عصيانهم. ولذلك كان لزاماً ختان من لم يُختنوا صغاراً وكباراً عند دخولهم أرض الموعد (يش ٥:٢-٧).

■ عن ختان المسيح :

إن المسيح، ابن الله المتجسد، وقد جاء إلى خاصته (الذين كان معهم عهد الخلاص- يو١:١١) جاز عليه ما جاز فيه البشر (ماعدا الخطية - عب٢:١٤-١٨، ٤:١٥). فهو ولد من امرأة تحت الناموس (غل٤:٤) بعد تسعة شهور من الحمل به بالروح القدس (لو١:٣٥). وككل شعب الله خضع للناموس **واختتن** في اليوم الثامن[٣]. ورغم ميلاده البتولي بغير خطية، إلا أن أمه الفقيرة صعدت به إلى الهيكل بعد أربعين يوماً من ميلاده ليقدموه قدوساً للرب، ولترفع العذراء ذبيحة عن تطهيرها بحسب الشريعة (لا ١٢:٦-٨، لو ٢:٢٢-٢٤).

---

(٣) حيث أخذ اسم **"يسوع"** كما تسمى من ملاك البشارة (لو١: ٣١، ٢: ٢١) لإعلان مهمته (مت١: ٢١، ١٨: ١١، ١٩: ١٠، لو٢: ١١، ٩: ٥٦، يو١٢: ٤٧، ١تي١: ١٥، ١يو٤: ١٤.

■ العهد الجديد والختان :

كان الختان في القصد الإلهي وسيلة مرحلية لفرز شعب الله وتمييزه عن الأمم (**الغُلف القلوب الغُلف اللحم** - حز٤٤:٧، ٩)، إلى أن يأتي رجاء الأجيال ومشتهى كل الأمم. وهو وإن كان **"الخلاص من اليهود"** ويبدأ بهم (يو٤:٢٢)، فقد كان في خطة الله أن يمتد الخلاص لكل من يؤمن. فالله محب البشر لم يكن يوماً لليهود فقط (رو ٣:٢٩)، كما أن المسيح **"قد مات لأجل الجميع"** (٢كو ٥:١٥). وفي وعد الله لإبراهيم منذ البداية أنه **"تتبارك فيك جميع قبائل الأرض.. وتكون أباً لجمهور من الأمم. وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض"** (تك١٢:٣، ١٧:٤، ٢٢:١٨، رو٤:١٧، غل ٣:٨)[٤]. والرب قبل صعوده، أوصى تلاميذه أنه متى حل الروح القدس عليهم أن يشهدوا له لا في أورشليم واليهودية فقط بل **والسامرة وإلى أقصى الأرض** (أع ١:٨)، وأن يذهبوا ويتلمذوا **"جميع الأمم"** (مت٢٨:١٩).

وبالفعل، فالمسيح وإن بدأ خدمته بين خراف بيت إسرائيل الضالة (مت ١٠:٦، ١٥:٢٤) **"كخادم للختان.. حتى يثبّت مواعيد الآباء"** (رو١٥:٨) إلا أن قلبه وخدمته وسعت الجميع. فهو شفى غلام قائد المئة الذي قال عنه بغير تحفظ: **"لم أجد ولا في إسرائيل إيماناً بمقدار هذا"** (مت٨:١٠، لو٧:٩)؛ وشفى ابنة الكنعانية وامتدح إيمانها (مت١٥:٢٨)؛ ورتّب لقاءه مع السامرية وكرازة كل أهلها (يو ٤)؛ وامتدح السامري الذي عاد ليشكر الله بعد شفائه (لو١٧:١٨)؛ وفي إيضاح من هو القريب، استخدم الرب مثلاً جعل فيه سامرياً نموذج القريب الذي أخفق كاهن

---

(٤) بيّن **الرسول بولس** أن المقصود بنسل إبراهيم هو **الرب يسوع** على التحديد **"وأما المواعيد فقيلت في إبراهيم وفي نسله. لا يقول وفي الأنسال، كأنه عن كثيرين، بل كأنه عن واحد: وفي نسلك، الذي هو المسيح"** (غل ٣:١٦).

ولاوي أن يكوناه (لو١٠:٢٩-٣٧).

وبالمثل فإن تلاميذ الرب بدأوا الخدمة في أورشليم واليهودية، وبسبب الاضطهاد تشتت المؤمنون إلى السامرة وجالوا مبشرين بالكلمة (أع ٨:٤). والرب دعا الرسول بطرس لكرازة **كرنيليوس** قائد المئة وعائلته الذين آمنوا، وحل الروح القدس عليهم واعتمدوا بغير أن يختتن أحد (أع ١٠، ١١).

ثم أن الرب اختار **شاول (بولس)**، في لقاء غير مسبوق، حوّله من مضطهد للمسيح إلى الكرازة باسمه ليكون له **"إناءً مختار ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل"** (أع٩:١٥).

وفي خدمته للأمم وجد الرسول بولس أن فرض الختان عليهم هو عودة إلى الوراء، بينما أصر الفريسيون الذين آمنوا على أن الختان وحفظ الناموس شرط للخلاص. من هنا صعد الرسولان بولس وبرنابا إلى أورشليم حيث انعقد مجمع الكنيسة الأول (٥١ م) برئاسة القديس يعقوب (الصغير). وبدأ الرسول بطرس بالقول **"لماذا تجرّبون الله بوضع نير على عنق التلاميذ** (المؤمنين الجدد) **لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله، لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضاً"**. وانتهى المجمع إلى **"أن لا يُثقّل على الراجعين إلى الله من الأمم.. بل يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم"** (أع١٥:١٠، ١١، ١٩، ٢٠ - من الإبركسيس).

واقع الأمر أنه ينسحب على **الختان** ما ينسحب على كثير من ممارسات العهد القديم التي كانت **"ظل الخيرات العتيدة"** (عب١٠: ١)، أي رموزاً مبكرة لما استقر من هبات العهد الجديد. هكذا توارت ألوان **الذبائح** التي ختمت عليها **ذبيحة المسيح** الواحدة الفريدة التي صنعت لنا فداءً أبدياً (عب٩:١٢، ٢٦، ١٠:١٠، ١٤)، و**الهيكل** الحجري بعد أن أدى دوره يلحقه الخراب ليحل محله **"المسكن الأعظم والأكمل غير المصنوع بيد أي**

الذي ليس من هذه الخليقة" (عب ٩:١١، ٢).

وقد كرّس القديس بولس جانباً يُعتّد به من رسائله عن رمزية الختان وأن المسيح هو للجميع. وبيّن أن **علامة العهد الجديد**، التي ينتمي بها المؤمن إلى مملكة المسيح، هي **الميلاد الثاني من الماء والروح بالمعمودية**(٥) أي بالموت مع المسيح وصلب الإنسان العتيق مع الأهواء والشهوات والقيامة في جدة الحياة (رو٦:٢-٦، غل ٥:٢٤، ١بط ٣:٢١)، حيث يحمل المؤمن صورة المسيح (رو١٣:١٤، غل ٣:٢٧).

وهكذا كتب أيضاً إلى أهل كولوسي: **"وبه** (أي بالمسيح) **أيضاً ختنتم ختاناً غير مصنوع بيد بخلع جسم خطايا البشرية** (أو جسد الخطية البشري) **بختان المسيح. مدفونين معه في المعمودية التي فيها أُقمتم أيضاً معه بإيمان عمل الله الذي أقامه من الأموات. وإذ كنتم أمواتاً في الخطايا وغلف جسدكم أحياكم معه مسامحاً لكم بجميع الخطايا"** (كو٢:١١-١٣).

وكان القديس بولس مقاوماً صريحاً للتخاذل في التعامل مع الأمميين وكرازتهم بالمسيح تحرّجا من أهل الختان، حتى أنه لام بطرس الرسول نفسه (غل ٢:١١-١٤)، وأيضاً لاشتراط ختان من يدخلون في الإيمان من الأمم لتفادي غضب الذين آمنوا من اليهود (غل٦:١٢)(٦)، وبيّن أنه كان يمكنه تفادي الاضطهاد والتعيير من اليهود لو بشّر هو أيضاً بالختان، ولكن ذلك سيكون تهرّباً من عار الصليب وحمل نيره.

وقد جعل القديس بولس عقيدة **"أننا نتبرر بالإيمان** (بالمسيح) **وليس بأعمال الناموس"** قضيته الأثيرة. وفي رسالتيه إلى كنيستي رومية وغلاطية

---

(٥) ولهذا السبب فإن ختان الذكور (الرمز، الذي لم يعد إلا ممارسة صحية) يجب أن يسبق العماد وليس العكس.

(٦) مع هذا فقد اضطر القديس بولس أن يختن تلميذه **تيموثاوس** ذا الأب اليوناني في بدايات الكنيسة كي لا يكون هناك عائق أمام كرازته في الأوساط اليهودية (أع ١٦:١-٣)، الأمر الذي لم يلجأ إليه مع تلميذه **تيطس** (اليوناني أيضاً) والذي صار فيما بعد أسقفاً على كريت (غل ٢:٣).

أبرز أن أبانا إبراهيم أخذ الوعد بالبركة وهو **في الغرلة** (تك ١٢:١-٣، رو ٤:١٠) وجدّد له الله الوعد بعد ختانه. **فإبراهيم لم يتبرر بالختان وإنما بالإيمان**، بحسب النص القديم **"فآمن** (إبراهيم) **بالرب فحسبه له براً"** (تك١٥:٦، رو ٤:٣، غل ٣:٦). كما أن نواله الوعد قبل ختانه يجعل الإيمان وسيلة التبرير، المجاني على سبيل النعمة، **للكل** يهوداً وأمماً: **"لأنه بأعمال الناموس كل ذي جسد لا يتبرر أمامه.. متبررين مجاناً بنعمته بالفداء الذي بيسوع المسيح الذي قدمه الله كفارة بالإيمان بدمه.. وأخذ** (إبراهيم) **علامة الختان ختماً لبر الإيمان الذي كان في الغرلة، ليكون أباً لجميع الذين يؤمنون وهم في الغرلة، كي يُحسب لهم أيضاً البر، وأباً للختان للذين ليسوا من الختان فقط، بل أيضاً يسلكون في خطوات إيمان أبينا إبراهيم.. لهذا هو من الإيمان كي يكون على سبيل النعمة، ليكون الوعد وطيداً لجميع النسل، ليس لمن هو من الناموس فقط، بل أيضاً لمن هو من إيمان إبراهيم الذي هو أب لجميعنا، كما هو مكتوب أني قد جعلتك أباً لأمم كثيرة... أم الله لليهود فقط. أليس للأمم أيضاً. بلى. للأمم أيضاً. لأن الله واحد الذي سيبرر الختان بالإيمان والغرلة بالإيمان"** (رو٣:٢٠، ٢٤، ٢٩، ٣٠، ٤: ١١، ١٢، ١٦، ١٧)[٧].

■ المعنى الروحي للختان :

كان للختان، منذ **العهد القديم**، معناه الروحي أيضاً. فالرب لام إسرائيل على أنهم اكتفوا بممارسة الختان كعلامة جسدية، بينما هم في سلوكهم بعيدون عن طريق الله. وها هو موسى يقول لهم **"فاختنوا غرلة قلوبكم. ولا تصلّبوا رقابكم بعد"** (تث١٠:١٦).

(٧) راجع أيضاً غل ٣:٢٨، ٢٩، ٦: ١٥ أف ٢:٨، ٩، كو ٣:١١، ٢تي ١:٩، تي ٣:٤-٦.

وصارت **الغلفة** تعبيراً عن النقص والعيّ. فعبّر موسى عن قصوره في الكلام قائلاً: **"أنا أغلف الشفتين"** (خر٦:١٢، ٣٠)، وخاطب **إرميا** النبي الشعب قائلاً **"اختتنوا للرب وانزعوا غُرل قلوبكم يا رجال يهوذا.. ها إن أذنهم غلفاء** (لا تميز الحق)**.. وكل بيت إسرائيل غُلْف القلوب** (مستعبدين للخطية والعالم)**"** (إر٤:٤، ٦:١٠، ٩:٢٦، حز ٤٤:٧). وهو ما يدين به الكتاب العبادة المرائية من الشفاه: **"هذا الشعب قد أقترب إليّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني"** (إش٢٩:١٣، مت١٥:٨، مر٧:٦).

وفي العهد الجديد وبّخ **أستفانوس** الشعب المقاوم قائلاً **"يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان"** (أع ٧:٥١). كما استخدم القديس بولس تعبير **"غلف الجسد"** مرادفاً للموت في الخطية (كو ٢:١٣).

وقد أكد **القديس بولس** (الفريسي المختون في اليوم الثامن - في ٣:٥، من البولس) في رسائله على الوجه الروحي للختان وأنه لابد أن يعكس طاعة الله والالتزام بوصاياه، وأن الاكتفاء به مع انحراف القلب لا يفيد شيئاً، وأفضل منه توجّه الأممي غير المختتن الذي ينفذ ما في الناموس: **"فإن الختان ينفع إن عملت بالناموس. ولكن إن كنت متعدياً الناموس فقد صار ختانك غرلة. إذاً إن كان الأغرل يحفظ أحكام الناموس أفما تحسب غرلته ختاناً.. لأن اليهودي في الظاهر** (صاحب العبادة الشكلية) **ليس هو يهودياً، ولا الختان الذي في اللحم ختاناً، بل اليهودي في الخفاء** (القلب) **هو اليهودي، وختان القلب بالروح**[٨] **لا بالكتاب** (أي بالمعنى المذكور في الأمر الإلهي)، **هو الختان. الذي مدحه ليس من الناس بل من الله"** (رو٢:٢٥-٢٩).

* * *

(٨) **"ويختن الرب إلهك قلبك وقلب نسلك لكي تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك لتحيا"** (تث ٣٠:٦).

احتفال الكنيسة بعيد **ختان المسيح**[٩] لا يتعلق بالطبع بالختان الجسدي القديم، فهذا لم يعد له موقع في كنيسة المسيح[١٠]، وإنما هو دعوة لكل المؤمنين، الذين جازوا **ختان العهد الجديد**: بمعموديتهم وموتهم مع الرب وقيامتهم معه في حياة جديدة، تحثّهم فيها أن يضرموا شعلة إيمانهم، وأن يجدّدوا ختان قلبهم وحواسهم نظراً وكلاماً وسمعاً بعمل الروح القدس، وأن يواصلوا جهاد كل يوم لاستكمال خلع جسد الخطية القديم: إنسانهم العتيق بكبريائه ونجاسته ومحبته للعلم (أف ٤: ٢٢)، وضمان التحافهم بالمسيح، فيصيروا جميعاً واحداً فيه (رو١٣: ١٤، غل ٣: ٢٧). لأنه في المسيح يسوع، لا تفيد الممارسات الجسدية والعبادات الآلية، وإنما ما ينفع - بحسب الإنجيل - هو **"الإيمان العامل بالمحبة"** (غل٥: ٦)، و**"حفظ وصايا الله"** (١كو ٧: ١٩)، و**"الخليقة الجديدة"** (غل ٦: ١٥) **"بحسب الله في البر وقداسة الحق"** (أف ٤: ٢٤).

(٩) تحتفل الكنيسة **بعيد ختان المسيح** منذ القرن الرابع.

(١٠) تخطط النرويج لنمع إجراء الختان لمن هم دون سن الثامنة عشرة (عدا اليهود والمسلمين) وحتى يأخذ القرار بنفسه، كما بدأت عدة دول أوربية منع الختان.

عيد الظهور الإلهي[1] (الغطاس)[2]

عاش المسيح في الظل ثلاثين سنة، استعداداً للظهور إلى العالم ملكاً ونبياً ومعلماً ومخلصاً. هو ظهر أول ما ظهر في المذود وليداً **لأمه العذراء** التي قمطته واحتضنته، وخطيبها **يوسف النجار** راعي العائلة المقدسة، ثم استقبل في البداية، من بسطاء العالم ومساكينه، عدداً من **الرعاة** الساهرين على حراسة رعيتهم، وهم كانوا أول من تلقى البشارة بولادة المسيح الرب المُخلِّص، والذين فازوا برؤية الملائكة يسبحون الله قائلين: **"المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة"** (لو٢: ٨-١٤).

---

(١) **القراءات: البرامون:** ١كو١: ١-١٧، ٢بط ١: ١٢-١٩، أع١٦: ٢٥-٣٤، لو٣: ١-١٨. **العيد: عشية:** مز٤٢: ٦، ١١، مت٣: ١-١٢، **باكر:** مز٢٩: ٣، ٤، مر١:١-١١، **القداس:** تي٢: ١١-٣: ٧، ١يو٥:٥-٢٠، أع١٨: ٢٤- ١٩: ٦، يو١: ١٨-٣٤.

(٢) لعلاقته الوثيقة **"بعيد الظهور الإلهي"** يرجى الرجوع إلى مقال: **"شهادة يوحنا المعمدان عن المسيح"** في الكتاب **الثاني عشر** من سلسلة **"نور الحياة"** (ص ٤٤).

وعن الخلفية التاريخية لهذا العيد يرجى الرجوع إلى موضوع **"عن الأعياد المسيحية"** ضمن الفصل الأول من هذا الكتاب (ص ٤٤، ٤٥).

ثم ظهر في اليوم الثامن في الهيكل ليُختَتن بحسب الناموس، ويأخذ اسمه **"يسوع"** كما تسمّى من الملاك معلناً عن مهمته **"لأنه يخلص شعبه من خطاياهم"** (مت١: ٢١).

وفي اليوم الأربعين قُدّم إلى الهيكل قدوساً للرب، وكان في انتظاره **سمعان الشيخ**، الذي امتد عمره لتكتحل به عيناه، ويرى خلاص الرب، كما تحدثت عنه النبوات، فيحمله على يديه وينطق ربما بآخر كلماته: **"الآن تطلق عبدك يا سيد، حسب قولك، بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك"** (لو٢: ٢٩، ٣٠). كما ظهر في هذا اليوم أيضاً **للنبية حنة بنت فنوئيل**، العابدة في الهيكل ليلاً ونهاراً، وربما لغيرها.

وبالطبع ظهر لكثيرين من عوام الناس في رحلته الطويلة إلى **مصر**، وتنقله بين بلادها، وإقامته سواء في الدلتا أو ضواحي القاهرة أو الصعيد لسنوات. كما ظهر للجيران خلال إقامته في **الناصرة**، وفي صعوده إلى الهيكل كل عام للاحتفال بالفصح وغيره. ويسجل الكتاب هذه المرة، عندما كان في الثانية عشرة، وجلس يعلم الكبار في الهيكل **"يسمعهم ويسألهم"** (لو٢: ٤١-٥٢). وفيما بعد لم يكن معروفاً إلا لمن حوله من أهل الناصرة كنجار يساعد أباه يوسف، الذي ربما انتقل قبل أن يبلغ الرب الثلاثين.

الآن يحين بدء المهمة التي جاء من أجلها، حيث يتواجه بطلان، لكل منهما مهمته الكبرى، ولكن بينما أحدهما - **النبي يوحنا** - يختم إرساليته بتقديم الأعظم إلى العالم، فإن الثاني (وهو الأول دائماً) - **رب المجد**، مُرسِل الأنبياء - يحتفل ببدء مهمته الخلاصية رسمياً، ويظهر للعالم بكل المجد، ويختم على العهد القديم الذي يقدمه آخر أنبيائه، **يوحنا المعمدان**، المُرسَل من الله بوعد، ليهيئ الطريق قدامه.

■ **المعمدان يقدم المُخلِّص للعالم :**

بحسب كلام الملاك المُبشر **للكاهن زكريا** بولادة **يوحنا: "الذي يكون عظيماً أمام الرب، ومن بطن أمه** (أليصابات) **يمتلئ من الروح القدس، ويرد كثيرين من بني إسرائيل إلى الرب إلههم، ويتقدم أمامه بروح إيليا وقوته.. لكي يهيئ للرب شعباً مستعد"** (لو١: ١٣-١٧)، فها هو **يوحنا،** بعد ثلاثين عاماً في البرية وهو **"يلبس وبر الإبل ومنطقة من جلد على حقويه، ويأكل جراداً وعسلاً برياً"** (مت٣: ٤، مر ١: ٦)، تقوده كلمة الله (لو٣: ٢)، لكي يخرج إلى الكورة المحيطة بالأردن، ويبدأ كرازته بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا، مقدماً **المسيح** للآتين إليه للتوبة، نافياً أن يكون هو، يوحنا، **المسيح المنتظر،** كما كان الجميع يفكرون في قلوبهم، وأيضاً لا هو **إيليا،** ولا هو **النبي،** كما وعد الرب موسى وإسرائيل (تث ١٨: ١٥، ١٨، يو١: ١٩-٢١)، فيقول الحقيقة متصاغراً، كما هو مكتوب في سفر إشعياء (إش ٤٠: ٣- ٥)**: "صوت صارخ في البرية أعدوا (قوّموا) طريق الرب، اصنعوا سبله مستقيمة. كل وادٍ يمتلئ، وكل جبل وأكمة ينخفض، وتصير المعوجّات مستقيمة والشعاب طرقاً سهلة، (فيعلن مجد الرب) ويبصر كل بشر خلاص الله"** (مت٣: ٣، لو٣: ٣-٦، يو١: ٢٣). فمعمودية يوحنا، إذاً، لم تكن فقط للتوبة، ولكن كانت أيضاً بشارة للعالم بخلاص الله بيسوع المسيح.

ويواصل: **"أنا أعمدكم بماء، ولكن يأتي (بعدي) من هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحل سيور حذائه (أحمل حذاءه). هو سيعمدكم بالروح القدس ونار"**، وهو صاحب سلطان وديان كل الأرض **"الذي رفشه في يده وسينقي بيدره: ويجمع القمح** (المؤمنين الأبرار) **إلى مخزنه**

(ملكوته)، **وأما التبن** (الرافضين الأشرار) **فيحرقه بنار لا تُطفأ"** (مت٣: ١١، ١٢، مر١: ٧، ٨، لو٣: ١٦، ١٧، يو١: ٢٧).

■ المعمودية والظهور العظيم :

وهو يستعلن نفسه للعالم الذي جاء لخلاصه، مع بدء خدمته يأتي **يسوع** من الجليل إلى عبر الأردن حيث **المعمدان** في انتظاره في بيت عبرة (يو١: ٢٨)، والذي لم يكن قد التقى به منذ اعتزاله في البراري (يو١: ٨٠)، يتقدم ويدخل وسط الجموع الآتية لتعتمد للتوبة، ويمارس اتضاعاً وتنازلاً حقيقياً، وهو البار القدوس الذي بلا عيب، ويبدو لمن لا يعرف كأنه خاطئ مثله: **"لأنه جعل الذي لم يعرف خطية، خطية لأجلنا، لنصير نحن بر الله فيه"** (٢كو ٥: ٢١)، **"الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده على الخشبة، لكي نموت عن الخطايا لنحيا للبر"** (١بط ٢: ٢٤)، وهو في حقيقته جاء ليخلصهم من خطاياهم.

وإذ يقترب الرب إلى يوحنا ليعتمد منه، تنفتح عينا المعمدان فيرى مجده ويعرف أنه أمام من تعيّن هو من أجله، بالوعد الإلهي، الملاك الذي يهييء الطريق قدامه (مل ٣: ١، لو٧: ٢٧)، ويعدّ له شعباً مستعداً (لو١: ١٧). وساعتها يستشعر ثقل المهمة التي أُلقيت على عاتقه، فيتمنّع يوحنا، الذي يعرف قدر نفسه بالنسبة لقدر من أتى إليه ليعتمد منه، ويمنعه مستنكراً قائلاً: **"أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليّ!"** (مت٣: ١٤). فهو يرى الوضع معكوساً، فكيف يأتي الكامل، الذي بلا عيب ولا دنس، لكي يعتمد من الخاطئ الذي ينتظر الخلاص. فيرد الرب، الذي أخلى نفسه من أجل الكل، أن **"اسمح الآن"**. فهذا هو أول طريق الخلاص **"لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر"** (مت٣: ١٥)، فهو كابن الإنسان أخضع نفسه من البداية للناموس واختتن في اليوم الثامن، وقدمت أمه العذراء ذبيحة عن تطهيرها (لو٢: ٢١، ٢٤).

خضع يوحنا، إذاً، ونزل مع الرب إلى عبر الأردن وعمّد الرب. **"وإذ كان يصلي"** (لو٣: ٢١)، وقد صعد من الماء: **"وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً عليه، وصوت** (الآب) **من السموات** (يشهد للابن) **قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت"** (مت٣: ١٦، ١٧).

هذا هو الظهور الإلهي غير المسبوق منذ تأسيس العالم[٣]، وهذا هو ما يعنيه احتفالنا **بعيد الظهور الإلهي**[٤] Theophany، أي ظهور الله متجسداً جلياً للعالم في مشهد هائل انفتحت (انشقت) فيه السماء أمام البشر، والله، الذي لم يره أحد قط، والقائل لموسى **"الإنسان لا يراني ويعيش"** (خر ٣٣: ٢٠)، يخبّر عنه الابن الوحيد الذي في حضن الآب (يو١: ١٨)، ويحل بيننا، فنعرف في العهد الجديد عن طبيعة الله مثلث الأقانيم: **فالآب** يشهد **للابن** ويمجده بصوت مسموع من السموات المفتوحة، يعلن سروره للابن الحبيب، و**الروح القدس** يأتي لينزل عليه بهيئة جسمية مثل حمامة، يكرسه مسيحاً فادياً لخلاص العالم.

■ يوحنا يستعيد المشهد العظيم :

لم يغب مشهد **الأمس** عن يوحنا، فهو ما جاء من أجله، وهو الذي انتظر تحقيقه وبشّر به وهيأ الطريق قدامه. فلما جاء **الغد**، ونظر يسوع مقبلاً إليه قال، وهو يفصح عن عمل المخلِّص، ومشيراً إليه: **"هذا هو حمل الله الذي يرفع خطية العالم"** (يو١: ٢٩)، و**"الشاة التي ستساق إلى**

---

(٣) في كاثوليكون قداس البرامون، يستعيد **القديس بطرس** مشهداً مجيداً مماثلاً للظهور الإلهي الأول في الأردن، هو يوم **تجلي الرب** على جبل طابور: **"لأننا لم نتبع خرافات مصنّعة** (مختَلقة أو زائفة) **إذ عرّفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه، بل قد كنا معاينين عظمته، لأنه** (المسيح) **أخذ من الله الآب كرامة ومجداً، إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الأسنى: هذا هو ابني الحبيب الذي أنا سررت به، ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء، إذ كنا معه في الجبل المقدس"** (٢بط١: ١٦-١٨).

(٤) يسميه السريان **"الدنح"**.

الذبح" (إش ٥٣: ٧)، **الفصح الحقيقي** الذي يُذبح لأجلنا ويطهرنا من كل إثم (١كو٥: ٧، ١يو ١: ٩).

ثم يشير إلى مقام المسيح العالي، وأنه الابن الأزلي المولود قبل الدهور: **"هذا هو الذي قلت عنه: يأتي بعدي، رجل صار قدامي، لأنه كان قبلي"**، ويكشف كيف أنه بسبب اعتزاله في البرية منذ شبابه الباكر، فرَّقت بينهما الأيام رغم أنهما أقرباء بالجسد، وبالتالي لم يكن يعرفه: **"ولكن ليُظهر لإسرائيل، لذلك جئت أعمد بالماء** (إعداداً وتمهيداً)". ولكن مما لا شك فيه أن الروح جعل عينيه تنفتحان لمرأى مخلِّص العالم الآتي ليعتمد منه، فيعرفه وينحني أمامه متراجعاً، ثم يطيع السيد ويعمده. وبينما هو صاعد يرى **"الروح نازلاً مثل حمامة من السماء فاستقر عليه"**، وهذه كانت العلامة التي أخذها من الله الذي أرسله ليعمد بالماء: **"الذي ترى الروح نازلاً ومستقراً عليه، فهذا هو الذي يعمد بالروح القدس"**. يحق للمعمدان إذاً أن يقول بعد هذا المشهد السمائي **"وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله"**، شاهداً لليهود والأمم (يو١: ٢٩-٣٤)(٥).

■ بين معمودية المسيح ومعموديتنا:

لا توجد علاقة مباشرة، بين معمودية المسيح من يوحنا ومعموديتنا، سوى في الظاهر، بارتباطهما بالنزول (أو التغطيس) في الماء (ومن هنا الاسم المقابل عندنا لعيد الظهور الإلهي - عيد الغطاس): **فمعمودية الماء**

---

(٥) المعمدان يستكمل شهادته عن المسيح، كما جاء في الأصحاح الثالث من إنجيل القديس يوحنا (وهو موضوع قداس **الأحد الثالث** من **شهر طوبة**)، فيقول متجرداً: **"من له العروس فهو العريس، وأما صديق العريس** (ويقصد نفسه) **الذي يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذاً فرحي هذا قد كمل. ينبغي أن ذلك يزيد وأني أنا أنقص** (حيث يستعد للتواري في الظل). **الذي يأتي من فوق هو فوق الجميع، والذي من الأرض هو أرضي** (يقصد نفسه) **ومن الأرض يتكلم. الذي يأتي من السماء هو فوق الجميع"** (يو٣: ٢٩-٣١).

التي ليوحنا كانت للتوبة (وإن لم يكن الأمر كذلك بالنسبة للمسيح كما أسلفنا، وإنما كانت لاستعلان الرب للبشر، والظهور الباهر للثالوث الأقدس، وشهادة السماء للابن الآتي لخلاص العالم)، وهي لم تكن للأطفال وإنما للبالغين، كما لم يكن لها دور صريح في الخلاص؛ أما **معموديتنا** فهي ميلاد ثان من فوق، أي من الماء والروح القدس، في حياة جديدة (يو٣: ٥، تي٣: ٥). وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بموت المسيح وقيامته: ففي المعمودية نحن نُدفن ونقوم في المسيح (رو٦: ٢٤، كو٢: ١٢). والمعمودية المسيحية مع الإيمان هي وسيلة الخلاص بحسب وصية المسيح (مت٢٨: ١٩، مر١٦: ١٦)، التي لم يبدأ تلاميذه ممارستها إلا بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين (أع٢: ٤١).

ولكن لم يفُت قراءات قداسي البرامون والعيد، أن تتضمن الإشارات إلى **المعمودية المسيحية**، كالترجمة العملية للدخول إلى الإيمان وسكنى الروح القدس، والانضمام إلى كنيسة المسيح، وتميزها عن **معمودية يوحنا**.

فأكيلا وبريسكلا يأخذان إليهما **أبلّوس**، العارف **بمعمودية يوحنا** فقط، ويشرحان له طريق الرب بأكثر تدقيق (أع ١٨: ٢٥، ٢٦)، و**القديس بولس** يدعو تلاميذاً من أفسس، ممن كانوا قد اعتمدوا **بمعمودية يوحنا**، أن يعتمدوا **"باسم الرب يسوع، ولما وضع بولس يديه عليهم، حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات ويتنبأون"** (أع١٩: ١-٦). كما يسجل **سفر الأعمال** أيضاً كيف استخدم الروح الرسولين **بولس وسيلا**، اللذين انفتحت لهما أبواب السجن في نصف الليل، لخلاص حافظ سجن فيلبي: هذا إذ رأى مجد الله يسألهما مرتعداً **"ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟ فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح**

تخلص أنت وأهل بيتك.. واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون" (أع١٦: ٢٥-٣٤).

وعن **المعمودية** يسجل **القديس بولس**: **"ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وإحسانه - لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته- خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس، الذي سكبه بغنىً علينا بيسوع المسيح مخلصنا، حتى إذا تبررنا بنعمته، نصير ورثة حسب رجاء الحياة الأبدية"** (تي ٣: ٤-٧).

ويكتب **القديس يوحنا**: **"هذا هو الذي أتى بماء ودم، يسوع المسيح. لا بالماء فقط، بل بالماء والدم.... فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب والكلمة والروح القدس، وهؤلاء الثلاثة هم واحد. والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح والماء والدم. والثلاثة هم في الواحد"** (١يو ٥: ٦-٨).

❊ ❊ ❊

بالظهور الإلهي في الأردن عرفنا طبيعة **الله مثلث الأقانيم**، و**المسيح** خلال خدمته على الأرض كشف لنا الكثير عن علاقته **بالآب "الذي بذل ابنه لأجلنا أجمعين"**، وعن **الروح القدس** الذي وعد الرب قبل صليبه أن يرسله لنا، يفيض علينا بهبات الخلاص، وفي اليوم **الخمسين** لقيامته حل كألسنة نار على التلاميذ والمجتمعين معه (أع٢: ١-٣)، وبدأ دخول الأمم وكل الغرباء في عهد الله الجديد بتدشين الكنيسة، ملكوت المسيح على الأرض. والروح كل يوم يضم إلى الكنيسة، جسد المسيح، الذين يخلصون (أع٢: ٤٧)، فيقدسهم له جسداً وروحاً، ويصيروا هياكل للروح القدس (١كو٣: ١٦، ٦: ١٩) إلى أن يُرفعوا مثل سيدهم في المجد، انتظاراً لاستعلان الخلاص الأخير (في٣: ٢٠، عب٩: ٢٣، ١بط ١: ٥).

عيد عرس قانا الجليل[١]

تحتفل الكنيسة في ١٣ طوبة (٢١ يناير) **بعيد عرس قانا الجليل**[٢]. وبدءاً من القرن الرابع عشر جعلته الكنيسة ضمن الأعياد السيدية الصغرى (أو أعياد التجسد) السبعة لأن المسيح أجرى فيه **"بداية آياته"**[٣] **"وأظهر مجده فآمن به تلاميذه"** (يو٢: ١١). وكانت الكنيسة إلى ما قبل القرن الرابع تعيّد للميلاد ودخول الرب الهيكل طفلاً والغطاس وعرس قانا الجليل عيداً واحداً جامعاً هو **"عيد الظهور الإلهي"** أو الـ **"إبيفانيا"** Epiphany**.**

---

(١) **القراءات: عشية:** مز ٤: ٧، ٨، مت١٩: ١- ١٢؛ **باكر:** مز١٠٤: ٢٤، ١٥، يو٤: ٤٣-٥٤؛ **القداس:** رو٦: ٣-١٦، ١يو٢: ٢٠-٢٥، أع٨: ٣-١٣، يو٢: ١-١١.

(٢) **"قانا" الجليل** تبعد عدة أميال شمال الناصرة، وتعرف حالياً باسم **كفر قنّة أو خربة قانا**، وهي غير **"قانا"** الجنوب اللبناني، القريبة من صور، والتي قصفها الإسرائيليون مرتين (أبريل ١٩٩٦، ٣٠ يوليو ٢٠٠٦) وقتلوا العشرات من السكان بينهم أطفال.

(٣) وإن سبقتها معجزات التجسد الإلهي والولادة من عذراء، وتلك التي صاحبت هروب العائلة المقدسة إلى مصر، والظهور الإلهي في الأردن. وهو صنع أولى معجزاته في قرية صغيرة وليس في أورشليم، فالقصد لم يكن الإعلان وإنما إظهار مجده ومحبته للبشر، وهكذا دخلت **"قانا"** التاريخ. وهي أيضاً أولى المعجزات السبعة التي ذكرها إنجيل يوحنا وأكثرها ينفرد بها هذا الإنجيل.

ففي **الميلاد** استعلان الرب في التجسد (شهادة الملائكة)، وفي **دخوله** الهيكل تكريسه مخلصاً للعالم، وفي **الغطاس** استعلانه في الأردن ساعة عماده (شهادة الآب والروح القدس)، وفي **عرس قانا الجليل** استعلانه كالعريس الحقيقي (شهادة المعمدان والعذراء والتلاميذ ورئيس المتكأ). ثم صار الاحتفال بكل عيد على حدة، لينال كلٌّ حقّه من التمجيد، كما ينال المؤمنون حقهم من التعليم.

■ **المسيح في العرس :**

+ كانت الأيام الأولى والمسيح يبدأ كرازته. بعد المعمودية أُصعد يسوع إلى البرية حيث صام أربعين يوماً، وبعد التجربة من إبليس، بدأ يجول يصنع خيراً. ومكتوب أن **المعمدان**، وهو يعمّد في **بيت عبرة** في عبر الأردن، رأى الرب مقبلاً، فقال لمن حوله **"هوذا حمل الله الذي يرفع خطية العالم"**، وشهد بما عاينه يوم الظهور الإلهي العظيم.

ومرة أخرى **في اليوم التالي**، كان واقفاً مع اثنين من تلاميذه **(يوحنا وأندراوس)**، ونظر يسوع ماشياً فقال من جديد: **"هوذا حمل الله"**، مما جعل التلميذين يسعيان وراء الرب ويطلبان الجلوس إليه، فدعاهما إلى البيت حيث مكثا معه طويلاً، وربما قضيا عنده الليل. ودعا **أندراوس** أخاه **سمعان** وأتى به إلى يسوع الذي غير اسمه إلى **صفا** (الذي تفسيره **بطرس**). **وفي الغد** دعا الرب **فيلبس**، وعن طريقه انضم أيضاً **نثنائيل (برثلماوس)** إلى جماعة التلاميذ الصغيرة (يو ١: ٢٦-٥١).

وفي اليوم الثالث[٤] كان عرس في قانا الجليل. ويذكر الكتاب **"وكانت أم يسوع هناك"** (يو٢: ١). ويبدو أنها كانت قريبة لأهل

---

(٤) بعض المفسرين لا تفوته عبارة **"وفي اليوم الثالث"** التي يرون فيها استحضاراً **لقيامة الرب "في اليوم الثالث"** وهي المعجزة الأخيرة التي استكملت عمل الصليب وبها تم الخلاص، وتحقق زواج العريس بعروسه الكنيسة التي أنقذها من الموت. وفي العُرسين كانت هناك من اسمها **"مريم"**، وكان التلاميذ شهوداً.

العرس، وذهبت مبكراً لتُسهِم في الإعداد للحفل. **"ودُعي أيضاً يسوع وتلاميذه"** (يو ٢: ٢)، أي تلاميذه الأوائل الخمسة المذكورين آنفاً(٥)، لحضور العرس.

✚ ها هو الرب، في بداية خدمته، ومعه أمه وتلاميذه، يشارك الناس أفراحهم، وبالطبع كان هناك موسيقى وغناء وبهجة وطعام وشراب. فالحياة المسيحية ليست غماً وحزناً واكتئاباً، بل هي تحررنا من الحزن الرديء: **"لأن الحزن الذي بحسب مشيئة الله ينشئ توبة لخلاص بلا ندامة. أما حزن العالم فينشئ موتاً"** (٢كو٧: ١٠). وهي تجعل للحزن الإنساني سقفاً لا يتعداه برجائنا في المسيح **"لا تحزنوا كالباقين الذين لا رجاء لهم"** (١تس٤: ١٣)، وهي وإن كانت تؤكد على الفرح الباطني الدائم (حتى مع معاناة التجارب)، لا على مجرد السرور السطحي والمتعة الجسدية: **"كحزانى ونحن دائماً فرحون"** (٢كو٦: ١٠)، ولكنها مع هذا تتسع أيضاً للبهجة والمرح الظاهر ومناسبات الفرح الاجتماعي **"فرحاً مع الفرحين"** (رو١٢: ١٥). وفي مثل **الابن الضال**، الذي عاد إلى أبيه منكسراً تائباً، فإن **الآب** قبله فرحاً وصنع وليمة ذُبح فيها العجل المسمن، وسمع الأخ الكبير في البيت **"صوت آلات طرب ورقصاً"** (لو١٥: ٢٣، ٢٥).

والمؤمن المسيحي لا يمكن إلا أن يكون مستبشراً يحيا في سلام، متحرراً من عقد النقص، وحياته في المسيح تنزع عنه أسباب التوتر والقلق والخوف والاهتمام المرضي بالغد. والبغضة والانتقام ونوازع الثأر لا تجد لها طريقاً إلى قلبه. وهو قد ينزعج لكنه سرعان ما يستعيد توازنه مطمئناً أن خلاصه ومصيره في يد خالقه المحب والأمين. وهو لا ينطوي على نفسه،

---

(٥) أما عن **يعقوب** أخي يوحنا فربما كان معهم أو لم يكن. ولعل يوحنا أخوه جذبه للرب كما دعا أندراوس أخاه بطرس. ونعرف أنه بعد معجزة صيد السمك الكثير فقد ترك الصيادون الأربعة حرفتهم للتفرغ لصيد الناس ورفقة الرب الدائمة.

ولكنه منفتح القلب ويحب كل خليقة الله بشراً وحيواناً ونباتاً. أما ذلك الذي لا يُرى إلا مكتئباً حزيناً فهو بعيد عن الإيمان المسيحي، ويعاني انحرافاً روحياً، وربما أيضاً نفسياً، ويحتاج إلى تدخل المرشد الروحي وعلاج الطبيب النفسي، حتى تستقيم حياته.

+ حياة الصلاة والتسبيح هي حياة فرح وبهجة وإنشاد وشكر، رغم وجود المصاعب، فحياتنا تظل تعاني القصور حتى نستوطن عند الرب. والترتيل والتسبيح والغناء الروحي قديم، وكان جزءاً من خدمة هيكل أورشليم، وتُواصَل في حياة الكنيسة المجاهدة والمنتصرة: **"ولهم كل واحد قيثارات وجامات من ذهب مملوءة بخوراً هي صلوات القديسين، وهم يترنمون ترنيمة جديدة قائلين...."** (رؤ ٥: ٨، ٩).

+ كما أن المسيح، بحضوره العرس واقترانه بعمل أولى آياته، بارك الزواج[٦]، والكنيسة جعلته ضمن أسرارها السبعة **"هذا السر عظيم"** (أف ٥: ٣٢)؛ **"ليكن الزواج مكرماً عند كل أحد والمضجع غير نجس"** (عب ١٣: ٤). وهي تستعيد حضور المسيح هذا العرس في صلوات سر الزيجة، فيقول الكاهن **"يا من حضر في عرس قانا الجليل، بارِك هذا الزواج... بركة الرب الحالّة في بيت العرس بقانا الجليل تحل عليكما وفي منزلكما، وتجعل المحبة في قلبيكما.. وتعم منزلكما،.. وتهبكما الحياة الهانئة، وتمنحكما أولاداً مباركين"**. ويرتل الشمامسة **"بركة ربنا في عرس قانا الجليل لـ.. العريس و.. العروس"**[٧].

---

(٦) فصل إنجيل عشية العيد (مت١٩: ١-١٢) يتضمن حديث المسيح عن الزواج **"من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً... فالذي جمعه الله لا يفرقه إنسان"** (مت١٩: ٥، ٦، مر١٠: ٧-٩).

(٧) فهل نحن حقاً نشعر بحضور المسيح صلاة الإكليل التي يغلب عليها الهرج والتحيات وكثرة الكلام، وعدم المشاركة في الصلوات، فضلاً عن الحفلات الصاخبة التالية التي تخلو من الحشمة والوقار.

■ **بين العذراء والمسيح :**

"ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر. قال لها يسوع: مالي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد. قالت أمه للخدام مهما قال لكم فافعلوه" (يو٢: ٣-٥).

تصرفت العذراء مريم كصاحبة بيت وصاحبة دالة[٨] عند ابنها يسوع. فعندما عرفت بنفاد الخمر[٩] بادرت تطلب تدخّل من تثق أنه في حضوره لا يمكن أن نعتاز. وهي فقط حملت إليه أمر نفاد الخمر دون أن تسأله شيئاً، وتيقنت أنه سوف يجبر هذا النقص ويرفع عن أهل العرس حرجهم أمام المدعوين. والعذراء هنا، كيهودية، تقوم بدورها كأم إسرائيل القديم، وكأم المسيح هي أيضاً أم إسرائيل الجديد. فهي مثل كثيرين يتوسطون العهدين: **يوحنا المعمدان** الذي يقدم لإسرائيل **"حمل الله الذي يرفع خطية العالم"**، و**التلاميذ الاثنى عشر** الكارزين بالخلاص لإسرائيل وكل الأمم، والذين سيجلسون يوماً على كراسي في ملكوت المسيح **"يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر"** (لو٢٢: ٢٨-٣٠).

+ فيما يبدو لم يُرح طلبُ العذراء قلبَ المسيح، لأنها تعجّلت ما لم يكن ينوي أن يبدأه الآن، أو لعله رأي، فيما سألته، تخلياً من البشر عن أداء دورهم وبذل جهدهم، قبل أن يتطلعوا إلى حلٍّ من السماء، وربما أيضاً لأن الرب كان يدعو للإيمان به كابن الله الآتي لخلاص العالم، دون حاجة إلى

---

(٨) يقول المصلي في صلاة الساعة السادسة: **"إذ ليس لنا دالة ولا حجة ولا معذرة من أجل كثرة خطايانا، فنحن بك نتوسل إلى الذي وُلد منك يا والدة الإله العذراء، لأن كثيرة هي شفاعتك، قوية ومقبولة عند مخلصنا"**. وفي لحن **"أيها الرب إله القوات": "ليس لنا دالة عند ربنا يسوع المسيح سوى طلباتك وشفاعتك يا سيدتنا كلنا السيدة والدة الإله"**.

(٩) **الخمر** تقابل الدم، وهي في الكتاب رمز الفرح والحياة الجديدة، ونفادها هنا إشارة خفية، من ناحية إلى قصور الناموس والعهد القديم عن أن يهب الحياة حتى للأتقياء، ومن ناحية أخرى إلى أن الزواج لا يكتمل إلا في المسيح رب الحياة.

معجزات أو عطايا مادية، ويرى في طلب المعجزة لكي يتم التصديق والإيمان ضعفاً وقصوراً، وهو طوّب **"الذين آمنوا ولم يروا"** (يو٢٠: ٢٩).

من هنا فقد بادر العذراء بالقول: **"مالي ولك يا امرأة. لم تأت ساعتي بعد"** (يو٢: ٤). ورغم ما يبدو من خشونة في ظاهر الكلام، فإن كلمة **"يا امرأة"**(١٠) هنا لا تبدو صادمة كما نراها نحن في بلادنا (على عكس استخدامها في الدول العربية بصورة عادية). ولقد يقال، لماذا لم يخاطبها بـ "يا أمي"؟ (بالعبرية أما، والأرامية أم). لعل الرب منذ أن بدأ خدمته الكرازية لم يقل لها يا أمي حيث **"ينبغي أن يكون في ما لأبيه"** (لو٢: ٤٩)، وفي ما لكل البشر الذين جاء لخلاصهم. ويوماً فيوماً، بين طفولته وصباه وكرازته **"ببشارة ملكوت الله"** (مر١: ١٤)، حدث الخروج من كنف القرابة الجسدية ليصير قريب الكل. وهو لما أخبروه يوماً، وهو في بيت يعلم ويشفي، أن أمه وإخوته خارجاً يطلبونه، أشار إلى تلاميذه وقال **"ها أمي وإخوتي. لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السموات هو أخي وأختي وأمي"** (مت١٢: ٤٩، ٥٠، مر٣: ٣٤، ٣٥). لقد اتسعت عائلته لتضم كل من يؤمن.

ودليلنا أن كلمة **"يا امرأة"** التي خاطب بها الرب أمه لا يمكن أن تحمل أي شبهة للإهانة أو الخشونة، أن قائلها هو الرب **"الذي لم يعرف (يعمل) خطية (ولا وجد في فمه مكر)"** (٢كو٥: ٢١، ١بط ٢: ٢٢). كما أنه استخدمها أيضاً في ساعة حنان واهتمام بأمر أمه العذراء، وهو في عمق آلامه معلقاً على الصليب، وهو يودعها لرعاية التلميذ الذي كان يحبه،

---

(١٠) الكلمة الأصلية الآرامية (آنا) تعني يا سيدتي My lady, Madame (ويقابلها للمذكر يا سيد أو يا سيدي Sir, Monsieur)، وهو اللفظ الذي خاطب به السامرية (يو٤: ٢١)، والكنعانية (مت١٥: ٢٨)، والتي أمسكت في زنا (يو٨: ١٠)، والمرأة المنحنية (لو١٣: ١٢)، والمجدلية (يو٢٠: ١٣). وفي سفر التكوين (٢: ٢٣) قال آدم عن حواء **"هذه تدعى امرأة لأنها من امرءٍ أُخذت"**.

قائلاً: **"يا امرأة. هوذا ابنك"** (يو١٩: ٢٦، ٢٧)[١١]. فقولها وسط هذه الظروف الأليمة ينفي عنها أي نوع من الإساءة.

+ و"لم تأت ساعتي بعد"[١٢] تشير إلى أن هناك مشيئة إلهية لكل عمل يقوم به الابن المتجسد على الأرض، باعتبار أن بدء خدمته الجهادية يعني بدء الطريق الذي ينتهي بالصليب. فالعذراء كأنما استبقت الوقت المعين الذي حدده.

على أن العذراء تفهمت ما قصده الرب و لم تتزعج. وألهمها الروح أن تقبل الترتيب الإلهي وأن تأخذ مكانها وسط جماعة المؤمنين، وألا يكون ابنها لها وحدها كسائر الأمّهات، وإنما هو لكل المؤمنين. وهو مخلصها (لو١: ٤٧) ومخلص الجميع. وهي أدركت فيما بعد أن اختيار السماء لها أن تكون أم مخلص العالم، وإن كان قد وهبها المقام السامي بين البشر، ولكن كان عليها أيضاً أن تحتمل كأم ما جاز فيه ابنها من آلام الصليب والموت، فيجوز في قلبها سيف وتلتهب أحشاؤها (لو٢: ٣٥). ولكن سيبقى لها أنها أطاعت قائلة للملاك المبشر **"هوذا أنا أمَة الرب، ليكن لي كقولك"** (لو١: ٣٨)،

---

(١١) هذا لا يغير من حقيقة الأمر أنها، بين كل البشر، التي اقتربت منه وعرفته كما لم يعرفه أحد. بل إنها حملته في بطنها تسعة أشهر. ولمدة ثلاثين عاماً لم يفارقها و لم تفارقه. وهي، في الكنيسة، الشفيعة الأولى التي تسبق الملائكة والأنبياء والرسل والشهداء. وهي حواء الثانية المقصودة بكلمة المرأة في الوعد الإلهي بالخلاص والله يخاطب الحية **"وأضع عداوة بين نسلك ونسلها** (أي نسل المرأة) **هو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه"** (تك٣: ١٥).

(١٢) وهو الموقف الذي تكرر في أكثر من مناسبة: فلما طلب إليه إخوته أن يذهب إلى العيد (المظال) فقال لهم: **"أن وقتي لم يحضر بعد... لم يكمل بعد"**، وهو مكث في الجليل ربما يوماً أو بعض يوم ثم صعد إلى العيد في الخفاء (لو٧: ٢-١٠). وعقب مواجهته للفريسيين في الهيكل، بعد قبوله للمرأة التي أمسكت في زنا، يذكر الكتاب أن أحداً لم يمسكه **"لأن ساعته لم تكن قد جاءت بعد"** (يو٨: ٢٠). ثم حين أرسلت إليه مريم ومرثا أن يأتي إلى بيت عنيا ليشفي لعازر أخاهما المريض، بقى حيث كان وذهب بعد يومين (يو١١: ٦). على حين أنه لما اقتربت ساعة الصليب قال **"قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان"** (يو١٢: ٢٣، ١٣: ١، ١٧: ١). فالساعة التي لم تكن قد أتت بعد، والساعة التي أتت، كانت هي ساعة صلبه التي هي أيضاً ساعة مجده.

وفازت، كما ذكرت في تسبحتها أمام أليصابات، بأن **"جميع الأجيال تطوبني"** (لو١: ٤٨)، وأنها أم كل القديسين والمتشفعين من أجل البشر.

✚ مع هذا، كانت العذراء واثقة من تحنن الرب، وأنه سيتدخل في وقته المعين، لذا فقد أشارت على الخدام بغير تردد وبما يشبه الأمر: **"مهما قال لكم فافعلوه"** (يو٢: ٥). وإلى آخر الأيام ستظل هذه خدمة العذراء وسائر القديسين، للمؤمنين الطالبين معونتهم، أن يرفعوا طلباتهم أمام عرش النعمة. ومكتوب أن **"طلبة البار تقتدر كثيراً في فعلها"** (يع ٥: ١٦). فهم شفعاء بالتوسل عند **"الوسيط الواحد بين الله والناس الإنسان يسوع المسيح"** (١تي ٢: ٥) و**"الشفيع عند الله الآب يسوع المسيح البار"** (١يو ٢: ١). ورسالتهم، التي يوجّهونها إلى من يتشفع بهم، أن ينصتوا إلى صوت الرب ويطيعوا وصيته في الكتاب، وينتظروا تدخله في الوقت الذي يعيّنه.

■ المعجزة :

ربما بعد هنيهة، وبدافع محبته لأمه الذي لم يشأ أن يخذلها، ورفعاً للحرج عن أهل العرس الذين أكرموه بدعوته هو وتلاميذه، قال الرب للخدام: **"املأوا الأجران**(١٣) **ماء"** (يو٢: ٧) فهو ينوي أن يجعل الخير فائضاً(١٤) على مثال **"فيض النعمة وعطية البر"** (رو٥: ١٧) و**"غنى المسيح الذي لا يستقصي"** (أف٣: ٨). وبعد أن ملأوا الأجران **"إلى فوق"**، وبغير أن يترك الرب مكانه

---

(١٣) كانت **الأجران** في مدخل الدار للتطهير بحسب عادة الفريسيين (مت١٥: ٢، ٢٠، مر٧: ١-٥، لو١١: ٣٨). وهي من حجر لتتحمل دوام الاستعمال، وتسع بين مطرين وثلاثة، والمطر نحو ٣٥ لتراً، فسعتها إذاً حوالي ١٠٠ لتر، أو ما يساوي خمس صفائح كبيرة.

(١٤) كما فعل فيما بعد في صيد السمك الكثير أمام تلاميذه (لو٥: ٦)، وفي معجزتي تكثير الخبز والسمك فأشبع الآلاف وفضل عنهم من الكسر قففاً مملؤة (مت ١٤: ١٥-٢١، ١٥: ٣٢-٣٨، مر٦: ٣٥-٤٤، ٨: ١-٩، لو٩: ١٠-١٧، يو٦: ١-١٣)، **"ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا ونعمة فوق نعمة"** (يو١: ١٦).

أو يرفع طلبة أو يلمس الماء أو الأجران، أو يتذوق محتواها للتأكد، فهو العارف بكل شيء والقادر على كل شيء[١٥]، قال للخدام **"استقوا الآن، وقدِّموا إلى رئيس المتكأ"**[١٦] **(يو٢: ٨).** الرب أمر وهو على البعد، والماء تحوّل إلى خمر[١٧] في لحظة، وهو حتى لم يستخدم بقايا خمر، فالخمر كانت قد نفدت. وهو دائماً الوقت المناسب لتدخل الرب بعد أن يُستنفد الجهد والموارد، ويقر المرء بفشله، لكي يسطع مجد الرب وتظهر قوته.

■ العريس :

"فلما ذاق رئيس المتكأ الماء المتحول خمراً[١٨]**، ولم يكن يعلم من أين هي** (فكل ما جرى كان بعيداً عن مكان الحفل وأعين المدعوين) **دعا العريس وقال له** (متعجباً)**: كل إنسان إنما يضع الخمر الجيدة أولاً، ومتى سكروا فحينئذ الدون** (لأنهم ساعتها لن يكونوا في وعيهم ليميزوا الجيد من الرديء) **أما أنت فقد أبقيت الخمر الجيدة**[١٩] **إلى الآن"** (يو٢: ١٠)،

---

(١٥) الرب بدأ بمعجزة **الخمر** المعبرة عن بهجة الخلاص **"كأس الخلاص أتناول وباسم الرب أدعو"** (مز١١٦: ١٣)، وتلاها بمعجزة **الخبز** مرتين (التي أعقبها حديث الرب عن الخبز الحي الذي نزل من السماء ويبذله عن حياة العالم – يو٦: ٣٥، ٤٨، ٥١، ٥٤)، فأكمل عناصر **الإفخارستيا** قبل أن يؤسسها ليلة آلامه على وهج الصليب الذي ينتظره.

(١٦) **رئيس المتكأ** قد يكون كبير العائلة، أو كبير المقام من المدعوين، الذي يعبّر عن مجاملته لأهل العرس بقيامه بمهمة الإشراف على الحفل، وضبط أمور الضيافة ومراسم العرس. وأهل العرس من ناحيتهم يكرمونه بجعله على رأس المتكأ وإطاعة توجيهاته.

(١٧) هي معجزة **كيميائية.** فالماء (H_2O)، عديم الطعم واللون والرائحة، صار في لحظة خمراً (CH_3CH_2OH) ذات طعم ولون ورائحة، وداخَله عنصر جديد (C) لم يكن فيه وأنشأه الرب من لا شيء. (عن **"الخمر والمسكر"** في الكتاب المقدس انظر ملحق (٣) في آخر الكتاب ص ٢٠٨)

(١٨) يشير القديسان **أغسطينوس** و**مارأفرآم السرياني** أن الخمر الذي حل محل ماء التطهيرات يذكّر **بالماء الحي** الذي جاء بديلاً عن ماء بئر يعقوب (يو٤: ١٢-١٤)، كما صار **خبز الحياة** بديلاً عن المن القديم (يو ٦: ٤٨-٥١).

(١٩) هي رمز **الخمر الجديدة**، أي حياة الإيمان المسيحي في العهد الجديد المختلف عن عهد الناموس (مت٩: ١٧، مر٢: ٢٢)، أو ما يشير إلى عهد الفرح في الملكوت الأبدي: **"وأقول لكم: إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم، حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي"** (مت٢٦: ٢٩).

فهو يعبر عن دهشته من أن يؤتَى في نهاية الحفل بخمر جيدة على غير المعتاد. والمقصود أيضاً أن الخمر كانت سائغة المذاق ولا تسكر فلا يمكن لصانع الخيرات إلا أن يصنع خيراً وحسناً(٢٠).

ولابد أن الخدام فيما بعد أفصحوا عما جرى. وربما حكت العذراء أيضاً لأقاربها ومعارفها، وهكذا تحول مركز الثقل وموضع الاهتمام من العريس إلى شخص المسيح، الذي كان حتى قبل قليل ضيفاً مدعواً، ولكنه بعد أن سد الأعواز ساعة الاحتياج، صار نجم الحفل **والعريس الحقيقي** (مت٩: ١٥، ٢٥: ١، مر٢: ١٩، ٢٠، يو٣: ٢٩)، والكنيسة هي **العروس** (يو٣: ٢٩، رؤ١٩: ٧، ٢١: ٢، ٩، ٢٢: ١٧) وأعضاؤها هم **بنو العرس**، وفترة وجوده على الأرض كانت **حفلة عرس** تنبيء عن العرس الممتد في الملكوت على الدوام الذي أشار إليه الرب كثيراً: **"إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه"** (مت٢٢: ٢)؛ **"هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه"** (مت٢٥: ٦)؛ **"وأنتم مثل أناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس، حتى إذا جاء وقرع يفتحون له للوقت"** (لو١٢: ٣٦)؛ **"طوبى للمدعوين إلى عشاء عرس الخروف"** (رؤ١٩: ٩).

■ **"أظهر مجده فآمن به تلاميذه" (يو٢: ١١):**

كما رأينا، فالمدعوون أظهروا إعجابهم بطعم الخمر الجيدة ولم يُزيدوا. ولكن تلاميذه بنو الملكوت **"مجدوا الله"** في عمله المعجزي وقدرته الفائقة فازداد إيمانهم به(٢١). وخلال خدمة المسيح أعجبت امرأة بكلامه، فطوّبت البطن التي حملته والثديين اللذين رضعهما، فبادرها الرب بالقول: **"بل طوبى للذين يسمعون كلام الله ويحفظونه"** (لو١١: ٢٨). فالتوقف عند حد

---

(٢٠) للمفارقة: فإن التجار في **قانا الجليل** اليوم، يستغلون المعجزة التي صنعها الرب في بلدتهم قبل ألفي عام، في الترويج لمبيعاتهم من نبيذ قانا الجليل باعتباره أفضل الأنواع في العالم!!

(٢١) ولكن إيمانهم الكامل احتاج أن يعبر الصليب والموت والقيامة، واكتمل بحلول الروح القدس يوم الخمسين.

الإعجاب بكلام الله، أو مجرد الاندهاش عند رؤية الآيات (كما كان يفعل سيمون الساحر بعد أن آمن واعتمد - أع ٨: ١٣ - من الإبركسيس) لن يرضي الله ولن يغيّر الإنسان، وإنما حفظ كلام الله وطاعته وتمجيد اسمه ونمو الإيمان به. وهناك من كانوا يتبعون الرب سعياً وراء شبع بطونهم من الخبز المجاني، فقال لهم: **"اعملوا لا للطعام البائد بل للطعام الباقي للحياة الأبدية"** (يو٦: ٢٧).

الإيمان الحقيقي الثابت هو طريق ذو اتجاه واحد، ولا يمكن الرجوع فيه مهما كانت الأحوال. والمؤمن الحقيقي بعد اختباره لا يحتاج إلى معجزات[٢٢] ولا إلى رؤى. هو يقبل المسيح الذي أحبه أولاً، وتكفيه معجزة تجسده وأنه مات من أجله، وليس له إله آخر، ويقول للرب مع الرسول بطرس **"يارب إلى من نذهب كلام الحياة الأبدية عندك. ونحن آمنا وعرفنا أنك أنت المسيح ابن الله الحي"** (يو ٦: ٦٨، ٦٩). وفي هذا الصدد، فإن الرب قبل أن يشفي ابن خادم الملك في كفرناحوم أبْدى عدم رضاه قائلاً لائماً **"لا تؤمنون إن لم تروا آيات وعجائب"** (يو ٤: ٤٨)، وبعد المعجزة يسجل الكتاب **"فآمن هو وبيته كله"** (يو٤: ٥٣). هل لا نزال في حاجة إلى معجزة لكي نظل على إيماننا بالرب؟!

■ بعد المعجزة :

من الواضح أن العذراء فطنت إلى الموقع الذي أراده لها الرب: أن تخرج من محدودية دورها كأم إلى رحابة جماعة المؤمنين، لتكون أماً روحية لهم وللكنيسة، كما أن المسيح ليس هو فقط ابنها ولكنه مخلص كل البشر، رأس الكنيسة وإله الجميع. ففي نهاية المعجزة يذكر الإنجيل **"وبعد هذا**

---

(٢٢) المعجزة تمجد الله وتجذب غير المؤمنين. ومع هذا فإن البعض، الذين لم يُعط لهم، يرون المعجزة ولا يؤمنون، أو يؤمنون وقتياً ثم يرجعون إلى الوراء (يو ٦:٦٦).

انحدر (الرب) **إلى كفرناحوم هو وأمه وإخوته وتلاميذه وأقاموا هناك أياماً ليست كثيرة"** (يو٢: ١٢). فها هي العذراء تلتئم مع التلاميذ ضمن جماعة واحدة... كنيسة هي جسد المسيح وهو رأسها (أف١: ٢٢، ٢٣، كو١: ١٨)، ويجمعها به الإيمان المشترك. كما نراها بعد صعود الرب في العلية مع الاثنى عشر والنساء وإخوة الرب بالجسد "يواظبون **بنفس واحدة على الصلاة والطلبة"** في انتظار حلول الروح القدس يوم الخمسين (أع ١: ١٤).

✳ ✳ ✳

كما رأينا، فقد كان حضور يسوع العرس مصدراً للفرح والبركة. وإذا كان الرب واقفاً على الباب يقرع مستعداً أن يدخل للعشاء (رؤ ٣: ٢٠)، فلنفتح له أبوابنا للدخول، ليس فقط للعشاء، وإنما نُلزمه أن يمكث معنا (لو٢٤: ٢٩)، ففي حضوره الدائم فينا ينعقد عرس حياتنا الذي يُستكمل في الأبدية.

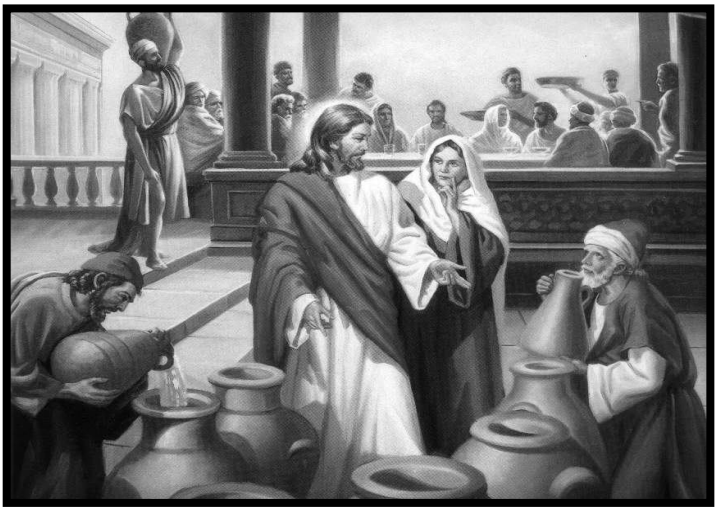

"املأوا الأجران ماء" (يو٢: ٧)

عيد استشهاد القديسة دميانة

بين شهيدات الإيمان المسيحي المصريات، تبرز **القديسة دميانة** ورفيقاتها الشابات العفيفات، نجوماً مضيئة في سماء كنيستنا المخضبة بالدم، وصاحبات المكانة العالية والحب العظيم في قلوب المؤمنين، ولديرها العامر موقعه الفريد بين جمهور العابدين، واللواتي يُتْقْن لتكريس حياتهن مثلهن للعبادة والتقوى.

■ البداية :

وُلدت **"دميانة"** أواخر القرن الثالث الميلادي، من أبوين بارين، وكانا والدها **"مرقس"** والياً على البرلس والزعفران[1]. وقد رباها والداها في خوف الله، ونمت في معرفة الرب ومحبته حتى أنها نذرت نفسها، وهي لم تبلغ الخامسة عشرة، للبتولية وتعففت عن الزواج، رغم جمالها الذي جذب كثيرين.

(١) هي منطقة مترامية تحتوي حالياً بلقاس وبيلا وشربين وبلطيم والمنصورة، وتمتد شمالاً حتى بحيرة البرلس، فيما كان يسمى وادي السيسبان (وهو من النباتات العشبية العطرية).

لم يقف والدها أمام رغبتها المقدسة، فبنى لها قصراً منعزلاً، واجتذبت حياتها عدداً من صديقاتها نمت عندهن محبة الصلاة والتكريس، وتزايد عددهن تدريجياً حتى بلغ الأربعين عذراء من بنات أكابر الولاية.

■ ارتداد والد دميانة ورجوعه واستشهاده :

على أن الأحوال اضطربت، عندما استدعى الإمبراطور **دقلديانوس**[٢] الوالي مرقس - وقد كان راضياً عنه وولاه على الفرما - إلى أنطاكية مع سائر الولاة للسجود للأوثان. ولكن مرقس أبى بالطبع أن يصدع لهذا الأمر، إلا أنه تحت الضغط والتهديد استمال دقلديانوس قلبه وجعله يبخر بالفعل للأوثان.

وكان هذا الموقف بالطبع صادماً لدميانة، التي جمعت أخواتها للصلاة والصوم من أجل إنقاذ أبيها. وهي هرعت إلى والدها في الفرما تعاتبه بدموع كيف هان عليه أن يبيع سيده السماوي مقابل رضى سيده الأرضي، وصارحته أنها كان أهون عليها أن تسمع خبر انتقاله من أن تسمع عن إنكاره للإيمان. وبينت له أن علاقتها به كابنة متوقفة على عودته للإيمان.

انكسر قلب الأب واكتشف عمق ما انحدر إليه، واستفاق من سقطته، وعقد العزم على السفر إلى أنطاكية للاعتراف بالرب أمام الإمبراطور.

---

(٢) كان **ديوقليديانوس** (أو ديوكليتيان) من سلالة أرقّاء (عبيد) من دلماطية (٢تي٤: ١٠) (في شمال غرب مكدونية). وكان في صباه راعياً باسم **أجرابيدا** في بتولمايس، وانخرط في الجيش الروماني في عهد الإمبراطور **نوميريان**، وارتقى بمهارته إلى منصب قائد حرس القصر، وفاق أقرانه في حرب فارس، وتزوج ابنة الإمبراطور، ثم صار حاكماً **لنيقوميديا**، وفيما بعد اتخذ اسم **ديوكليتيان**، واعتلى عرش روما في ٢٨٤م لمدة ٢١ عاماً قُتل خلالها مئات الآلاف من المسيحيين، وكان المصريون يلقبونه بـ "التنين"، وفي أواخر حياته أصابه اضطراب ذهني ونُفي إلى أحد الجزر وتُوفي فيها (٣٠٥م).

عادت دميانة إلى ديرها وقلبها يلهج بالحمد لله الذي استجاب لتضرعها وتنهدات أخواتها وأصوامهن، ورفعن للرب صلاة شكر على تحننه، وسألنه أن يساند الوالي مرقس فيما اعتزمه.

صُدم دقلديانوس لتراجع مرقس عما أعلنه من قبل، وطلب أن يُوفَّر له مكان للراحة حتى يراجع نفسه ويعود إلى الصواب، ولكن مرقس بيَّن له أن الأمر قد انتهى وأنه لن يخون إلهه. فأصدر الإمبراطور أمراً بقتله على الفور، وهكذا قُطعت رأسه ونال إكليل الشهادة في اليوم الخامس من شهر أبيب، الموافق عيد الرسل الأطهار.

انكسر قلب دقلديانوس، إذ فقد واحداً من كبار رجاله وخادماً أميناً للمملكة، ولكن الوشاة، وعلى رأسهم وزيره **رومانيوس**، طيبوا خاطره، وأفهموه أن السر في عودة مرقس إلى إيمانه يعود إلى ابنته التي نذرت نفسها لإلهها، وهي قد جذبت معها أربعين من الشابات كرسن حياتهن لعبادة الناصري المصلوب، وهي التي أثّرت على أبيها واستعادته إلى إلهها.

■ دميانة في مرمى النيران :

بالطبع فقد اشتعلت ثورة دقلديانوس على **دميانة** ومن معها، وأمر بأن يذهب الجنود إلى قصرها للتأكد مما نمى إليه من معلومات.

من النافذة رأت دميانة القوة العسكرية التي تحاصرهن، فحثت رفيقاتها على التماسك وألا تضطرب قلوبهن، وأن يحوّلن الأمر كله على الإله الذي يؤمنّ به. وقالت لهن من تريد أن تبقى للإكليل فلتبقَ، ومن ليست قادرة على احتمال العذاب فلتذهب إلى حال سبيلها. على أن نعمة الله ساندت الجميع فبقين معاً، فقد عشن للرب ومن أجله يمتْن.

بعد قليل، قرع الباب أحد الأمراء يحمل رسالة دقلـديانوس، فتزلـت الأخوات لاستقباله. ثم جاءت دميانة وسمعت دعوته لعبادة آلهته، وبكـل وداعة وشجاعة ردت عليه بأن هذه ليست آلهة، إنها أحجار ميتة لا عقـل لها، وأنها تربأ به ورفاقه أن يسجدوا لمثلها. وأضافت أن إلهها هو المخلِّص الوحيد معطي الحياة وديّان كل الأرض.

■ وبدأ مسلسل العذاب :

أُلقي القبض على القديسة دميانة ورفيقاتها العذارى، وأُدخلن السجن. وبالطبع بدأت سلسلة من مراحل العذاب تعرضت له دميانة التي عـصت أمر الإمبراطور. وهو بدأ هيناً ولكنه سريعاً ما تصاعد جداً حتى تهرّأ لحمها ثم ألقوها في السجن. فظهر لها **رئيس الملائكة ميخائيـل** الـذي شـفى جراحها وتركها تمجد الله، والعذارى يلهجن معها بالتمجيد. ولكن الأمير فسّر هذا الأمر بقدرة دميانة على السحر وتعهد بمضاعفة التعذيب.

على أن تدخل الله وسط العذاب جعل الجموع المحتشدة ترى مجـد الله، حتى أن بعضهم آمن بإله دميانة ذي القدرة والقوة. هؤلاء حُكم عليهم علـى الفور بالموت وقُطعت رؤوسهم ولم يَـدفن أحـد أجـسادهم، ولكنـهم نالوا الإكليل.

أثار إيمان هؤلاء غيظ الأمير ورجاله، فأمعنوا في تعذيب القديسة بكل ما يشعل آلامها أكثر، ولكنها قبلت كل شيء صابرة راضية من أجل مجد المسيح. وأعادوها للسجن وهي في النـزع الأخير. ولكنها لم تكفّ عـن الصلاة والتضرع. ومن جديد يجيئها **الملاك ميخائيل** في الليل ويبرئها ممـا أصابها، فتقوم وتوقظ العذارى وتكشف لهم عن التدخل الإلهي.

استمر مسلسل العذاب والتفنن فيه، ورئيس **الملائكة ميخائيل** يأتي للقديسة للمرة الثالثة ويطفئ لهيب النار. وفي هذه المرة أسرعت دميانة للأمير تشهد أمامه بقوة الإله الذي تعبده. وفي كل مرة يؤمن بعض ممن يشاهدون عمل الله مع دميانة فيؤمنون وتُقطع رؤوسهم وينالون إكليل الشهادة.

■ **الشهيدة :**

بعد هدنة قصيرة في السجن، عادوا إلى عذابات جديدة بما فيها الحرق وشد الأطراف، حتى أُجهد من يعذّبْنها. وفي النهاية حكموا بقطع رأسها ومعها العذارى الأربعين، وكان ذلك في ١٣ طوبة، فنلن جميعاً إكليل الشهادة وإكليل البتولية، وصرن نوراً وهاجاً للكنيسة على مر الأجيال. ومكتوب أن القديس يوليوس الأقفهصي أخذ الأجساد ودفنها بالإكرام، ودوّن سيرة القديسة ورفيقاتها.

■ **الله يمجد قديسيه :**

مرت عقود حتى تولى الحكم **الإمبراطور قسطنطين**، وجاءت أمه **الملكة هيلانة** إلى منطقة الزعفران، حيث كشفت عن أجساد الشهداء، وأمرت بتكفينها ووضعتها في قبر، وشيدت فوقه كنيسة بديعة دشنها **البابا ألكسندروس** البطريرك التاسع عشر في ١٢ بشنس، الموافق عيد رئيس الملائكة ميخائيل، ورسم عليها أسقفاً خلفاً لسلفه الذي كان قد نال إكليل الشهادة.

وفي القرن الثامن، تخربت الكنيسة (سنة ٧٦٠م) بعد الفتح العربي، ثم أُعيد بناؤها بأمر الوالي حسان بن عتاهية، ولكنه تخرب للمرة الثانية بسبب اجتياح مياه البحر المتوسط المنطقة من البرلس إلى سمنود. وقد تم إعادة تعمير الكنيسة في عهد **البابا خائيل الأول** البطريرك ٤٦ الذي دشنها في ١٢ بشنس أيضاً[٣].

❋ ❋ ❋

(٣) ويحتوي الكنيسة **دير القديسة دميانة** ويقع على مسافة ١٢ كم شمالي بلقاس، ويحفل بالعابدين في **عيد القديسة دميانة** في ١٢ بشنس من كل عام.

تبهرنا **القديسة دميانة**، ورفيقاتها العذارى الشهيدات، اللواتي، وهن فتيات في مقتبل العمر، لم تشغلهن آمال أمثالهن في الحياة العائلية، والتمتع بمباهج العالم، بل كرّسن حياتهن حباً في الملك المسيح، ولما واجهن الآلام الساحقة الغاشمة، صمدن بشجاعة تفوق الرجال، حتى تكللن بمجد الشهادة.

وهن بصلاة إيمانهن، يقدمن للشباب والرجال والنساء النموذج والمثال، ضمن سحابة الشهود العظيمة، كي لا يطوينها الزمان الحاضر الغاش، بل **"لنحاضر بالصبر في الجهاد الموضوع أمامنا، ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع"** (عب١٢: ١، ٢).

وبركة صلوات هذه القديسة الظافرة والأربعين عذراء الشهيدات تكون معنا آمين.

عيد القديس الأنبا أنطونيوس
أول الرهبان [1]

تعتز الكنيسة المصرية بابنها **القديس أنطونيوس**، كوكب البرية، مؤسس الرهبنة التي بدأت في مصر، وامتدت إلى كل العالم، وصار اسمه عَلماً بكل اللغات[2]. وديره القريب من ساحل البحر الأحمر هو أقدم الأديرة على مستوى العالم (تالياً للدير المحرق، الذي يحوي أقدم كنائس العالم التي عاش فيها المسيح طفلاً). وهو لم يطمح أن ينشئ نظاماً للعبادة ينخرط فيه الآلاف، وإنما هو مضى وحده نموذجاً لطاعة الإنجيل، وترك كل شيء وتبع الرب. على أن سيرته اجتذبت إليه ربوات في الداخل والخارج، فصاروا مثله كواكب تضيء سماء الكنيسة[3]، يصلون من أجلها ويحفظون إيمانها.

---

(١) القراءات : **القداس:** في ٣: ٢٠- ٤: ٩، يع٥: ٩-٢٠، أع١١: ١٩-٢٦، لو١٢: ٣٢-٤٤.

(٢) بالقبطية Ava Antony، بالإنجليزية St. Anthony، بالفرنسية St. Antoine، بالأسبانية San Antonio .

(٣) **"والفاهمون يضيئون كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور"** (دا١٢: ٣).

■ البدايات :

وُلد **أنطونيوس** سنة ٢٥٠ (أو ٢٥١م) من عائلة غنية تمتلك الأراضي الشاسعة والعبيد، في بلدة كوما (أو **قمن العروس**) بمركز الواسطى في بني سويف، أيام البطريرك الرابع عشر ديونيسيوس، بعد أن انحسر اضطهاد ديسيوس (داكيوس) للكنيسة.

وكان أجداده مؤمنين، ومثل **تيموثاوس** تلميذ **القديس بولس**، كان محباً للصلاة والعبادة منذ الطفولية (٢تي ٣: ١٥). وانتقل والداه وهو في الثامنة عشرة من عمره (٢٦٨م)، وتركاه هو وأخته الأصغر.

وقد تأثر **أنطونيوس** بحياة تلاميذ الرب الأوائل، الذين تركوا كل شيء وتبعوه وهم لا يعرفون إلى أين المسير، وكيف كان المؤمنون الأوائل يبيعون ممتلكاتهم ويضعون أثمانها عند أرجل الرسل (أع٣: ٣٤، ٣٥) للإنفاق على الفقراء.

وهو في الكنيسة يوماً، سمع الإنجيل يقول: **"إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء، فيكون لك كنزاً في السماء، وتعال اتبعني"** (مت١٦: ٢١). ولكنه، على غير ما فعل الشاب الذي سمع الكلمة من فم الرب إذ مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة، فإن **أنطونيوس** اعتبر أن الكلمة موجهة إليه هو قصداً و لم تكن مصادفة، وأنها واجبة الطاعة، ففي الحال خرج من الكنيسة وذهب إلى بيته، وسلم أملاكه التي ورثها عن والديه (٣٠٠ فدان من أجود الأراضي) إلى أهل بلدته من القرويين، وباع المنقولات فجمع مالاً وزعه على الفقراء، واحتفظ بالقليل لأخته.

وهو لم يكتفِ بذلك، بل لما سمع في مرة ثانية في الكنيسة كلمة الإنجيل تقول: **"لا تهتموا لحياتكم.. لا تهتموا للغد"** (مت٦: ٢٥، ٣٤، مر١٣: ١١)، لم يستطع البقاء أكثر من ذلك، فبادر بتوزيع كل ما أبقاه لأخته على الفقراء، واستمالها لفكره، وأودعها أحد بيوت العذارى.

■ أنطونيوس يبدأ حياته النسكية :

بدأ أنطونيوس حياته النسكية متوحداً تماماً بمنزل بجوار القرية، فلم يكن النساك حتى وقته يعرفون البرية الداخلية. ولسد أعوازه كان يشتغل بيديه متتبعاً الوصية **"إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً"** (٢تس٣: ١٠). وكان يقتات باليسير، وينفق الباقي على الفقراء، ويوالي الصلاة. ولمحبته لمن حوله اكتسب محبتهم حتى أنهم أسموه **محب الله (ثيئوفيلُس)**.

بعد فترة بدأ أنطونيوس في التحرك في اتجاه الخلاء بعيداً عن القرية، بعد أن تبين له أن التواجد وسط الناس، مهما قل عددهم، يعطل صلاته وتفرغه للاتحاد بالله، وسكن في قبر بالجبانة القريبة، وأوصى أحد أقاربه أن يأتيه ببعض الطعام من حين إلى أخر. فتعرض هناك لضربات الشياطين، ولكنه واجههم بقوة إلهه حتى تبدد العدو من حوله.

كانت الخطوة التالية أن تَشجَّع أنطونيوس، وهو في الرابعة والثلاثين، للدخول أكثر في البرية، مؤسساً الرهبنة التي نعرفها اليوم. فهو إذاً لم يكن أول النساك، فقد سبقه غيره في الحياة النسكية[٤]، وهو استرشد في صباه

---

(٤) كان التبتل والتوحد للعبادة معروفين عند قدماء المصريين واليهود. وفي ضواحي الإسكندرية كان يعيش قوم عُرفوا **بمتأملي الإلهيات**، تركوا كل ما يملكون وانطلقوا رجالاً ونساءً إلى التلال يقيمون الصلوات ويسبحون الله.

بمن تقدَّمَه من المتعبدين الساكنين في البيوت القريبة من القرى، ولكنه كان أول من انطلق إلى البرية الداخلية غير مبالٍ بالأخطار، وندرة الاحتياجات الجسدية من طعام وكساء.

وهو وجد برجاً قديماً اتخذه مأوى له مدة عشرين سنة، فسمع الناس بأمره وذاعت بينهم أخبار تقواه وفضيلته، فقصدوه بأعداد كبيرة. وفي البداية لم يكن يخرج إليهم، إلى أن اقتحموا عزلته، فبدأ في تعليمهم والصلاة من أجل مرضاهم. واجتذبت حياته الكثيرين إليه واتباع نهجه.

ولاشك أن أنطونيوس، شاباً ورجلاً وشيخاً، تعرض لحروب العدو من جهة عفته، وماضيه وأمواله التي كانت له وحياة الفقر والوحدة التي صارت له بإرادته، إلا أن إيمانه الواثق وجهاده ومحبته لإلهه، ومساندة النعمة له، كانت وراء نجاحه في نهج حياته ونصرته في كل تجاربه، وهو يردد مع القديس بولس: **"ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته المعطاة لي لم تكن باطلة"** (١كو ١٥: ١٠).

■ القديس أنطونيوس يؤسس أديرة للرهبان :

في سنة ٣٠٥م خرج القديس أنطونيوس من اعتكافه إلى مناطق جديدة يؤسس فيها مراكز للرهبنة، فأنشأ أديرة في الفيوم (النقلون) وبسبير (التي تبعد ٥٠ ميلاً جنوب القاهرة) بنظام الصوامع الانفرادية(٥)، عاد بعدها إلى اعتكافه (٣١٠م).

---

(٥) بعد ذلك بأقل من عشرين سنة (٣٢٢م)، أسس **القديس آمون** (صديق الأنبا أنطونيوس) ديره في جبل نتريا جنوب بحيرة مريوط، وبعده بفترة قصيرة (٣٢٥م) أنشأ **القديس باخوميوس** أول دير لرهبنة الشركة في تابنسين (بالقرب من دندرة).

■ القديس أنطونيوس يخرج دفاعاً عن الإيمان:

ما أن بلغ القديس أنطونيوس عن تعرض الكنيسة للاضطهاد الروماني، حتى خرج من ديره من جديد بعد عام، ونزل إلى الإسكندرية يشجع المؤمنين على الصمود والتمسك بالإيمان أمام سطوة الاضطهاد(٦). كما أنه لما بدأت هجمة الأريوسيين، الذين أنكروا لاهوت المسيح، خرج القديس أنطونيوس من عزلته (وسنّه ١٠٤ سنة) ليناضل من أجل الحق. ومن جانب أخر فإن البطريرك **أثناسيوس الكبير**، وقد كان من أخص أصدقاء القديس أنطونيوس، كان كلما احتاج للاختفاء عن أنظار الخصوم الأريوسيين الذين يتهددون حياته، كان يمضي إلى جماعة القديس أنطونيوس يستتر وسطهم ويشاركهم بساطة حياتهم.

■ انتشار دعوة الرهبنة :

كان القديس أنطونيوس كوكباً للبرية، أنارها بسيرته وتعاليمه وتلمذته للآلاف، وقيل أنه ساس خلال حياته الطويلة (١٠٥ سنة) نحو ١٠٠ ألف راهب، وأن عدد الرهبان في براري مصر بعد نصف قرن من نياحته كان مساوياً لعدد باقي سكان البلاد!

■ كتابات القديس أنطونيوس :

لم يسجل التاريخ كتابات كثيرة للقديس أنطونيوس، على أنه أثّر في الكنيسة ككل كمؤسس للرهبنة بمعنى التكريس التام للعبادة، وإن لم يكن

---

(٦) فيما بعد عرف بأمره **الإمبراطور قسطنطين**، الذي سمح بحرية الاعتقاد، فأرسل إليه يدعوه لزيارة القسطنطينية لكي يراه، وقد ملأ الزهو تلاميذه بهذه الدعوة وألحوا عليه أن يجيبها. أما هو فاكتفى بأن رد عليها برسالة، مبيناً له أننا نلتقي كل الحياة بملك الملوك، ونقرأ رسالته كل يوم في الإنجيل.

أسقفاً أو قساً أو حتى شماساً[٧]. كما أثر بحياته وسلوكه المسيحي وسيرته غير المسبوقة، وتعليمه المباشر، فتلمذ الكثيرين. وتُنسب إليه بصورة مؤكدة ثماني رسائل كتبها لتلاميذه، واثنتا عشرة أخرى قد تكون له أو لتلميذه **القديس أموناس**، وإن كان لها نفس الطابع الروحي النسكي الإنجيلي، إضافة إلى أقوال كثيرة عنه.

■ لقاؤه بالقديس الأنبا بولا - أول السواح:

وهو في سن التسعين، تصاعد من قلب **القديس أنطونيوس** هاتف يتساءل إن كان هناك في البرية الممتدة بغير نهاية من يسبح الله مثله ولا يعرفه أحد. ولعله صلى كثيراً من أجل هذا الأمر، واستجابت السماء له قبل نياحته بقليل إذ حمله الروح ليلتقي بالناسك المعتزل الذي سبقه إلى البرية الداخلية، ولما يقرب من القرن لم يرَ وجه إنسان، ذلك هو **القديس الأنبا بولا**، الذي خفّ جسده جداً حتى أنه كان ينتقل بالروح من مكان إلى آخر سائحاً في الأرض. وعنه عرفنا رتبة **السواح** الذين تروحنت أجسادهم وشفّت حتى ليتحركوا بكل خفة، يدخلون إلى الكنائس، يصلون ويخرجون، دون أن يشعر بهم أحد، وفقط تدل عليهم أثارهم. وربما تمنّع **القديس بولا** في البداية لكي يفتح بابه، ولكن الروح ألهمه أن يقبل هذا القديس الذي يشاركه محبة الله.

---

(٧) بالفعل، فإن **الرهبنة** في نشأتها لم تكن رتبة من رتب الكنيسة، فهي فقط كانت تكريساً للعبادة، وشروطها البتولية (لكمال التكريس) والطاعة والفقر الاختياري. وكانت الأديرة مستقلة عن الكنيسة الرسمية. وفي البداية كان **الرهبان** يأتيهم الكاهن القريب للتناول بصورة دورية. فيما بعد كان يُرسم من بينهم كاهن لخدمة القداس. وبعد أن أنتشرت الرهبنة، صار مقبولاً أن يُختار البطريرك والأساقفة من بين الرهبان. وبدءاً من منتصف القرن الماضي فقط صار رؤساء الأديرة أساقفة وأعضاء في المجمع المقدس، وبهذا صارت الأديرة جزءاً من النظام الكنسي الرسمي.

ولاشك أن لقاء القديسين كان حدثاً ابتهجت له السماء، ولعل كل منهما سجد للآخر، ثم جلسا معاً طول الليل يمجدان الله ويتحدثان بعظائمه. وربما تحدث **القديس بولا** عن رعاية الله له في وحدته على مدى عشرات السنين، وكيف صارت النخلة هي مصدر طعامه وملبسه، كما أن غراباً كان يأتيه بكسرة خبز من حين إلى حين. وقد ضاعف الغراب الخبز هذه المرة من أجل الضيف الذي حمله الروح إليه.

كان اللقاء، الذي رتبته النعمة، الوسيلة التي بها عرفنا عن أبي السواح، وهو الذي تم مع الساعات الأخيرة في حياة الأنبا بولا. ثم طلب الأنبا بولا من الأنبا أنطونيوس أن يذهب إلى ديره ويأتيه بالرداء الذي أهداه له **القديس أثناسيوس البطريرك** (والذي كان قد أهداه له **الملك قسطنطين**) ليكفنه به ثم يدفنه. وهو في الحقيقة لم يكن محتاجاً إلى ثياب ولكنه أراد أن تفارق روحه جسده في غياب القديس أنطونيوس. فتعانقا القديسان وقبل الأنبا أنطونيوس يده ومضى سريعاً إلى ديره لكي يأتيه بالرداء.

جدّ القديس أنطونيوس في السير عائداً بالرداء لكي يرى القديس بولا قبل انتقاله، وبلغ الدير بعد يوم، فأبصر جمهوراً من الملائكة يصعدون إلى السماء يحملون روح القديس بولا وهي تضيء كالشمس، فاستمر في السير حتى بلغ المغارة، ولكنه للدهشة وجد جسد الشيخ راكعاً ويديه مرفوعتين ورأسه متجهاً نحو السماء حتى أنه ظنه حياً. فجثا خلفه يصلي، ولما لم يسمع له صوتاً أو تنهداً تحقق أنه قد انتقل حقاً، فقبّل يديه، ولفه بالرداء وحمله على كتفيه. وفيما هو متحير في كيفية إعداد القبر، إذا بأسدين جاء راكضين، وأظهرا إكراماً للجسد، وبدآ يحفران في الأرض قبراً. ثم أطلق القديس أنطونيوس الأسدين بإشارة من يديه، وصلى على جثة القديس

بولا ودفنها، وعاد إلى ديره حاملاً ثوب القديس المجدول من الخوص والليف واعتبره كنزاً ثميناً. وكان يلبس هذا الثوب مرتين في كل سنة في عيدي الفصح والعنصرة. وكانت نياحة القديس بولا في ٢ أمشير سنة ٥٩ للشهداء.

■ نياحة القديس أنطونيوس :

رافق القديس أنطونيوس في سنواته الخمس عشرة الأخيرة تلميذان: **أماثاس ومكاريوس**[٨]، وهما اللذان كانا حوله ساعة انتقاله. وبعد أن ودعهما، طلب أن يعطوا رداءه للأنبا أثناسيوس، ورداء آخر للقديس سيرابيون، وملاءة الفراش لأولاده الرهبان. وبعد نياحته قاما بدفن جسده في الأرض حسب وصيته وذلك في ٢٢ طوبة (٣٠ يناير ٣٥٥ أو ٣٥٦م) وصار ١٧ يناير عند الغرب بعد التعديل الجريجوري.

وقد ظل مكان جسد القديس أنطونيوس مجهولاً حتى عام ٥٦١م، وبعد اكتشافه، حُملت رفاته في اتجاه البحر المتوسط في محاولة لم تنجح لتهريبها إلى الخارج، ووُضعت في تابوت في كنيسة أبي قير.

على أنه لما غزا العرب مصر في القرن السابع، نُقل جسد القديس إلى القسطنطينية حيث بقى حتى أوائل القرن الحادي عشر، ونُقل بعدها إلى مدينة فرنسية شمال مارسيليا على نهر الرون (مكانها الآن مدينة ليون)، وكانت تسمى فيينا (وهي غير عاصمة النمسا) وقد تسمت بعد ذلك باسم القديس أنطونيوس Saint Antoine de Viennois، واستُودع الجسد في كنيسة القديس ديدييه Didier، ونُقل فيما بعد إلى دير كبير في Mont Major

(٨) من تلاميذ الأنبا أنطونيوس أيضاً **القديس بينوده** (بافنوتيوس).

بالقرب من آرل Arles (غرب مارسيليا) مدينة المجامع المشهورة. واستقر نهائياً في كنيسة القديس يولياني في نفس المدينة حيث شُيد للتابوت مقصورة فاخرة. وتسمّت الرهبنة هناك باسم **رهبنة القديس أنطونيوس**، وظلت مزدهرة حتى القرن ١٨، ثم انتشرت في كل فرنسا.

وقد نال اسم **القديس أنطونيوس** شهرة واسعة في أوروبا في القرون الوسطى بسبب المعجزات التي كانت تظهر من التابوت الذي يحمل رفاته، بينما كان بالفعل شفيعاً للمؤمنين -كما يقول **القديس ايسيذوروس**- في أفريقيا وآسيا منذ القرن الخامس.

■ القديس أثناسيوس يكتب سيرة الأنبا أنطونيوس :

لم تنحصر سيرة **القديس أنطونيوس** داخل مصر، ولكن الرب أتاح لهذا النور الوهاج، الذي يمجد اسمه أن ينشر ضياءه خارج الحدود، فكلف **القديس أثناسيوس** البطريرك العشرين أن يكتب **"سيرة القديس أنطونيوس"** (أبي النساك المتوحدين) ويرسلها إلى بعض النساك في أوربا استجابة لطلبهم وللاقتداء بحياته، وذلك بعد عام من انتقال **القديس أنطونيوس**. وقد كتبه باللغة اليونانية، وترجمه **القديس جيروم**[٩] إلى اللاتينية (٣٧٥م) فامتد أثره إلى أوروبا كلها، كما تُرجم إلى السريانية فالإنجليزية ومنها تُرجم إلى العربية[١٠].

وعلى المستوى الفردي، فقد غير هذا الكتاب حياة الشاب **أغسطينوس** Augustinos، وجعله ينحاز إلى حياة الفضيلة بعد تغرب طويل، فكسبت

---

(٩) الذي ترجم أيضاً **رسائل القديس أنطونيوس.**

(١٠) كانت الطبعة الثالثة سنة ١٩٢٩ - مطبعة النيل المسيحية.

الكنيسة والإيمان المسيحي أسقفاً وقديساً ومفسراً للكلمة، ومدافعاً صلباً عن الإيمان(١١).

ويُذكر أيضاً أن فتاة تدعى **مارسيلا**، كانت تستمع إلى **القديس أثناسيوس** أثناء اقامته في روما، وهو يتحدث عن صديقه **القديس أنطونيوس**، فتأثرت كثيراً وكرست نفسها للحياة النسكية والتعمق في الكتب المقدسة، بل وبشرت غيرها فاقتدن بها.

■ عن تأثير حياة القديس أنطونيوس :

حياة **القديس الأنبا أنطونيوس** نموذج باهر لطاعة الإنجيل من أجل الطاعة دون انتظار المكافأة أو المجازاة (**".. فيكون لك كنز في السماء"**- مت١٩: ٢١)، مع الإيمان الواثق الذي لا يطلب شيئاً، والانفتاح لعمل الروح، القوة الفاعلة في الكنيسة، مانح كل فضيلة والمحارب ضد كل فعل الشيطان. وهو أسس، دون أن يخطط، نمطاً للحياة صار التطور الثاني للحياة المسيحية بعد ميلاد الكنيسة يوم الخمسين.

و**الرهبنة** كانت بركة للكنيسة، وبرهاناً على طاعة كلمة الإنجيل، وقدوة للمؤمنين لحياة القداسة ومحبة الله وحفظ الوصية، وممارسة الخدمة ومحبة القريب. وهي ليست إيماناً مسيحياً خاصة، ولا درجة من درجات الكمال في الإيمان، وإنما هي انفعال حي للشهادة للإيمان المسيحي وحمل الصليب وقبول الموت بالنية.

الرهبان طغمة من طغمات الكنيسة، والبتولية دعوة وموهبة، ويشترك سائر المؤمنين مع الرهبان في تخصيص الحياة لله، وطاعة وصيته، وخدمته،

---

(١١) كتب **القديس أغسطينوس** شهادته في هذا الصدد في اعترافاته التي ترجمها **القديس جيروم** (وصديقه **أوغريس**- إيفاجريوس البنطي) إلى اللاتينية حوالي سنة ٣٧٥م، فذاع خبرها في كل روما.

والالتزام بحياة القداسة والعبادة والنسك صلاة وصوماً وتوبة وضبطاً للنفس وتعففاً، وربما فاقت حياة بعض من في العالم (سواء كانوا غير متزوجين أو متزوجين من ذوي الالتزامات العائلية الكبيرة، وبسطاء الحال المجاهدين للحصول على قوتهم)، حياة بعض الرهبان فيما يتعلق بوثوق العلاقة بشخص المسيح وحفظ كلمة الله، وجوانب القداسة.

وقد اختبر **القديس أنطونيوس**، عند نزوله إلى الإسكندرية، حياة بعض من هؤلاء **"العلمانيين"**، رجالاً ونساءً، الذين كانوا يعيشون في بيوتهم وعائلاتهم كأنهم يقيمون في دير، وبالمحبة كانوا يخدمون بعضهم بعضاً بغير تمييز (غل٥: ١٣)، ويبذلون أنفسهم من أجل الأخرين.

ولا ننسى أن **إبراهيم واسحق ويعقوب** لم يكونوا بتوليين وإنما كانوا متزوجين ويعملون في العالم، ولهم أولاد وبنات، ولكن الرب ذكر أن خاتمة المطاف للمؤمنين في الدهر الآتي أن يكونوا مع هؤلاء (مت٨: ١١) الذين ينسب الله نفسه إليهم (مت٢٢: ٣٢، مر١٣: ٢٦، لو٢٠: ٣٧)، كما أن **تلاميذ المسيح** (عدا يوحنا) كانوا متزوجين، وهم سيجلسون على مائدة الرب في ملكوته يدينون أسباط إسرائيل الاثنى عشر (لو٢٢: ٣٠).

فالمعوّل إذاً ليس على البتولية أو الزواج، ولكن على الحياة بحسب المسيح، كما كان الأمر بالنسبة للختان والغرلة **"لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة بل الإيمان العامل بالمحبة، .... بل الخليقة الجديدة"** (غل٥: ١٦، ٦: ١٥).

مع هذا، فإن الرهبنة تظل هي الطريق الأضيق الذي لا يجده إلا القليلون، بجهادهم في العبادة، وقبولهم الإرادي بالفقر، وتعبهم في العمل بأيديهم، ومواجهاتهم مع العدو العنيد.

كلنا مدعوون إلى حياة القداسة، رهباناً كنا أو متزوجين. والمسيح وملكوته غاية الجميع، والكل **"بالنعمة مخلَّصون بالإيمان"** (في٢: ٨).

■ ملاحظات أخيرة :

+ ظلت **الرهبنة الشرقية** على التزامها بمبادئها التي تأسست عليها: النسك والعبادة، دراسة الكلمة، حماية الإيمان، الاعتكاف داخل أسوار الدير إلا من أجل خدمة الكنيسة. على أن **الرهبنة الغربية** أضافت إلى ما سبق الخدمة المتنوعة: كرعاية الكنائس، الكرازة، التعليم المدرسي والجامعي، خدمة المرضى، العمل الاجتماعي وخدمة الفقراء[١٢]. وترتفع أصوات في **الكنيسة الغربية** تطالب بأن يخدم الكنائس كهنة متزوجون، وليس رهباناً متبتلين، خاصة والكنيسة الكاثوليكية تشكو من قلة المقبلين على الكهنوت (أو الرهبنة).

+ نلاحظ مع هذا تطوراً في **الرهبنة القبطية:** فكثير من الرهبان يسهمون في خدمة الكنائس في الداخل والخارج، كما نشأت خدمة **المكرسات** التي بدأت في نطاق ضيق ثم اتسعت كثيراً، وقيام بعض الأديرة بخدمة الفقراء.

+ أصوات من داخل الكنيسة اقترحت تخصيص أديرة لرهبان يخدمون في العالم مثل المكرسين المتبتلين، ويقولون أن ما يقترحونه ليس بدعاً، بل هو حادث فعلاً: فالأساقفة في حقيقة الأمر هم رهبان يخدمون الكنيسة ويكرزون في العالم.

---

(١٢) ترتفع أصوات في الكنيسة الغربية تطالب بأن يخدم الكنائس كهنة متزوجون وليس رهباناً متبتلين، خاصة والكنيسة الكاثوليكية تشكو من قلة المقبلين على الكهنوت (أو الرهبنة).

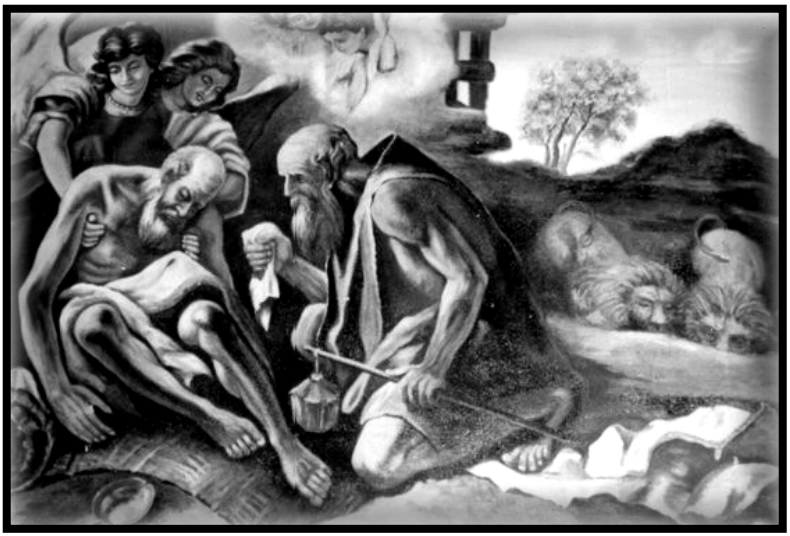

لقاء القديسين أنبا أنطونيوس وأنبا بولا

٦

أعياد شهر أمشير

- **فصح يونان (طوبة أو أمشير)**
- **عيد القديس الأنبا بولا – أول السواح (٢ أمشير)**
- **عيد دخول المسيح الهيكل طفلاً (٨ أمشير)**

+ المسيح يُقدَّم كذبيحة خلاص

فصح يونان

التفتت الكنيسة مبكراً إلى هذا الحدث فى تاريخ العلاقة بين الله والإنسان، وكيف أن الله أظهر حدبه وحبه لكل الشعوب التى جبلها، وضمْنها تلك التى لا تعرفه أو تؤمن به كشعب **نينوى**(١) العراقى (آشور)، وأرسل لهم نبيّه **يونان** الذى حاول فى البداية أن يتفادى هذه المهمة لعدم اقتناعه بأن هذا الشعب الأممى غير المؤمن يستحق هذا الاهتمام الإلهى.. وكيف مضت الأحداث حسب خطة الله بأن توشك السفينة المتجهة من

(١) **نينوى** كانت قديماً مدينة عظيمة، وعاصمة مملكة **آشور** (العراق) الأممية، وهى تقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة شمال العراق. وهى اليوم ضمن مدينة **الموصل**، التى تبعد ٤٠٠ كيلو متراً عن بغداد. وقد ازدهرت ما بين القرنين الثالث عشر والسابع قبل الميلاد. ولكن بدءاً من أواسط القرن السابع أخذت فى التقهقر والانحلال حيث حاصرها ملوك مادى وفارس (٧٢٢ق.م.) ودمّرها البابليون سنة ٦١٢ق.م.، أى بعد حوالى قرن أو أكثر من صوم نينوى (وقد تنبأ بخرابها **ناحوم النبى**، وهو موضوع السفر كله). وفى السبعينات من القرن الماضى أحيت **العراق** اسم **نينوى** من جديد فأطلقته على محافظة **الموصل**. ومؤخراً فإن مدينة الموصل تعرضت لتهجير أهلها المسيحيين على يد إرهابيي داعش الذي دمروا كل كنائسها (فضلاً عن تدمير متحفها الكبير وآثار الأشوريين).

يافا إلى ترشيش[٢]، التى استقلها يونان للهروب من وجه الرب، على الغرق، ثم كيف صرخ ركاب السفينة كلٌ إلى إلهه للنجاة من العاصفة، ولما اقترعوا وقعت القرعة على يونان الذى طلب إلقاءه فى البحر. ولكن الله أعدّ حوتاً[٣] لكى يلتقط يونان، **وبقى يونان فى جوف الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال** قذفه بعدها إلى البر.

وسار يونان إلى نينوى معلناً إنذار الله لها إن لم تتب **"فآمن أهل نينوى بالله ونادوا بصوم ولبسوا مسوحاً من كبيرهم إلى صغيرهم"..** بل أن **الملك "قام عن كرسيه وخلع رداءه عنه وتغطى بمسح وجلس على الرماد"** وأمر قائلاً : **"لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً. لا ترع ولا تشرب ماء وليتغطّ بمسوح الناس والبهائم، ويصرخوا إلى الله بشدة، ويرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة وعن الظلم الذى فى أيديهم، لعل الله يعود ويندم ويرجع عن حمو غضبه فلا نهلك. فلما رأى الله أعمالهم**

---

(٢) يقال إنها اليوم مدينة **قرطاجنة**، وتسمى الآن بالإسبانية (كرتمنة) بمقاطعة مرسية جنوب **أسبانيا**، وربما تكون مدينة **قرطاج** في تونس، أو **طرسوس** في أسيا الصغرى، وهي الأكثر احتمالاً.

(٣) **الحيتان** من الحيوانات الثديية (أى التى تلد وترضع صغارها وتتنفس الهواء الجوى)، وهى أكبر الفقاريات حجماً، وقد يبلغ طول الواحد منها ٢٥ متراً للذكر و٣٥ متراً للأنثى ويزن ٢٠٠ طن. والنوع الذى يحتمل أن يكون قد ابتلع يونان ينتمى إلى مجموعة الحيتان عديمة الأسنان، والتى تحتوى على جانبى التجويف الفمى صفائح رقيقة Baleen تتدلى من الفك العلوى، وتكوّن شبكة عند انطباق الفم لترشيح الكائنات البحرية الصغيرة من الماء الذى يطرد إلى الخارج. والتجويف الفمى واسع بمقدار يسمح بابتلاع الإنسان. ولكنه أمر معجزى أن يبقى يونان حياً تحت هذه الظروف غير المواتية التى وصفها يونان فى صلاته من جوف الحوت **"صرخت من جوف الهاوية فسمعت صوتى. لأنك طرحتنى فى العمق فى قلب البحار. فأحاط بى نهر. جازت فوقى جميع تياراتك ولججك.. قد اكتنفتنى مياه إلى النفس. أحاط بى غمر. التفّ عشب البحر برأسى.. مغاليق الأرض على إلى الأبد"** فالله الذى أعد الحوت العظيم ليبتلع يونان، وبعد أيام ثلاثة وليال ثلاث يأمر الحوت فيقذف يونان إلى البر (إشارة إلى موت الرب وقيامته التى ستتم بعد أكثر من سبعة قرون) هو الذى رعى يونان وحفظ له حياته فى جوف الحوت **"دعوت من ضيقى الرب فاستجابنى.. أصعدت من الوهدة حياتى أيها الرب إلهى.. أما أنا فبصوت الحمد أذبح لك أوفى بما نذرته. للرب الخلاص"** (يون ٢ : ٢ - ٩).

أنهم رجعوا عن طريقهم الرديئة، ندم الله عن الشر الذى تكلم أن يصنعه بهم فلم يصنعه" (يون٣ : ٥ - ١٠).

وجدت الكنيسة فى صوم أهل نينوى حديثى الإيمان : فى سرعة استجابتهم لنداء التوبة وجديتهم ونسكهم وتذللهم، بداية من الملك مروراً بالشعب وحتى البهائم والبقر والغنم، **نموذجاً يحتذى للصوم الجماعى والتوبة الجماعية** التى شملت الآلاف، خاصة أن الرب قد مدحهم فى معرض توبيخه لليهود الذين رفضوا دعوته قائلاً: **"رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لأنهم تابوا بمناداة يونان"** (مت ١٢ : ٤١). فهؤلاء قبلوا دعوة يونان كالأرض الجيدة العطشى، و لم يبرروا أنفسهم بل آمنوا وتابوا، بينما لم ينصت أكثر اليهود لمن هو أعظم من يونان بما لا يقاس.

من هنا فقد استحيت الكنيسة السريانية (٤) هذا الصوم فى أوقات الشدة، كما فعل أهل نينوى، وصار ضمن أصوام الكنيسة القبطية منذ أواخر القرن العاشر فى عهد البطريرك السكندري **الأنبا ابرآم بن زرعه** (السرياني) (٩٧٥م). وبإلهام الروح جعلت موقعه (كما هو فى الكنيسة

---

(٤) هذا الصوم قديم جداً، وفى بعض ميامر مارأفرام السريانى (٣٧٣م) أنه كان معروفاً فى الكنيسة السريانية منذ القرن الرابع، وكان يصام فقط فى وقت الشدائد ولستة أيام. وإن كانت أقدم المعلومات المؤثّقة تشير إلى أن أول من صامه هم مؤمنو نينوى العراقية استمطاراً لمراحم الله عندما اجتاح وباء الطاعون بلاد العراق وفارس. ودعا إليه **مار ماروثا مفريان تكريت** (٦٤٩م) مركز كنيسة المشرق التى تتبع كرسى انطاكية الأرثوذكسى، وانتشر بعد ذلك فى سائر الكنيسة الإنطاكية شرقاً وغرباً. ولما تم تقنينه صار لثلاثة أيام.

وقد أصبح هذا الصوم من أصوام الكنيسة القبطية [وفى المقابل أخذت الكنيسة السريانية الأنطاكية من أصوام الكنيسة القبطية أسبوع الاستعداد السابق على بدء الصوم الأربعينى].. كما انتقل هذا الصوم أيضاً (وإنما لخمسة أيام) إلى الكنيسة الأرمينية وغيرها من الكنائس.

ورغم جذوره السريانية فإن **صوم نينوى** صار فى الكنيسة القبطية من أكثر الأصوام قبولاً وشعبية، حتى أن البعض يصومونه بنسك ربما يتجاوز ما يمارسونه فى الصوم الكبير، وتمتد فيه القداسات إلى قرب الغروب.

السريانية) سابقاً لبداية الصوم الكبير (أسبوع الاستعداد) بأسبوعين. وهكذا صار **صوم نينوى** (أو ما يسمى تجاوزاً **صوم يونان**) تمهيداً مبكراً **للصوم الكبير** أقدس أصوام الكنيسة، الذى صامه عنا رب المجد قبل بدء خدمته وقبل تجربته من إبليس. بل أن الكنيسة القبطية تستخدم فى قداسات صوم نينوى طقس الصوم الكبير من ناحية مدة الصوم ونوع الطعام، وقراءة النبوات والسجدات، والألحان وصلاة القسمة التى تذكر فيها **"الصوم والصلاة هما اللذان عمل بهما أهل نينوى فرحمهم الله وغفر لهم خطاياهم ورفع غضبه عنهم".** كما تسمى فطر صوم يونان : **فصح يونان**، كما يلى **عيد الفصح (القيامة)** الصوم الكبير.

وقد جعلت الكنيسة **صوم نينوى** ثلاثة أيام، رغم أن سِفْر يونان لم يوضح مدة صوم أهل نينوى، ولكن الكنيسة مزجت مع هذا الصوم ما اجتازه **يونان** من بقائه (صائماً) فى جوف الحوت لثلاثة أيام وثلاث ليال كإعلان مبكر عن بقاء المسيح فى القبر بعد موته هذه الفترة، وما اعتبره الرب آية تقدم لمن سألوه آية وقت خدمته (مت ١٢ : ٣٨ - ٤٠، ١٦ : ٤).

هكذا يتحقق أكثر من هدف: التمهيد للصوم الكبير بصوم أشار إليه الرب. **فصوم نينوى** النسكى يهيئ النفس المؤمنة للاستعداد لتاج الأصوام الكنسية، أو كما يسمونه **"ربيع الحياة الروحية"**؛ كما أن **صوم نينوى** مثلث الأيام يحتوى هذه الإشارة عن موت الرب ونزوله إلى قلب الأرض الأيام التى قضاها يونان فى بطن الحوت، والتى تكّللت بالقيامة المنتصرة التى تحتفل بها الكنيسة فى أعقاب الصوم الكبير وأسبوع الآلام.

فإذا شئنا أن ننال بركات هذا الصوم ونحقق هدف الكنيسة من موقع هذا الصوم مرتبطاً بالصوم الكبير وسابقاً له، فلنلتفت إلى ما يلى :

+ هذا ليس صوم أهل نينوى كما كان **ولكنه صار صومنا نحن الآن،** فلنأخذ من هذا الشعب - الذى لم يكن يعرف الله ولكنه قبل الدعوة إلى الإيمان وتاب عن بكرة أبيه - جديته وصرامته ونسكه والتصاقه بالتراب كى ننال رحمة الله وغفرانه.

+ ليكن صومنا مع أهل نينوى تأكيداً لإيماننا بدوام محبة الله لنا: **"محبة أبدية أحببتُك من أجل ذلك أدمتُ لك الرحمة"** (إر ٣١: ٣)، وأننا لا نترجَّى في خلاصنا غير دم ابنه ورحمته التي وسعت كل قصورنا ونقصنا بغير حدود.

+ إن هذه الأيام الثلاثة، التى تستخدم الكنيسة فى صلواتها وقداساتها طقس الصوم الكبير، هى استعداد مبكر وتهيّوء مطلوب للدخول إلى ساحة **الصوم الأربعينى** لنشارك فيه رب المجد الذى صامه لأجلنا. فنحن إذ نصوم **صوم نينوى** نضع عيوننا على العمل الخلاصى لإلهنا، الذى نحتفى به بعد فترة قصيرة تبدأ بالصوم الأربعينى وتنتهى بأسبوع الآلام والصليب والموت والقيامة.

+ إنه بقدر انسكابنا قدام الله وتضرعنا، ومقاومة أهوائنا، ولهجنا فى كلمة الله، وتواتر توبتنا واعترافنا، واشتراكنا فى الجسد والدم الأقدسين، وخدمتنا وعطائنا، وتطلعنا إلى الأبدية، خلال أيام الصوم، سواء أيامه الثلاثة التمهيدية أو أسبوع الاستعداد أو الأربعين المقدسة أو أسبوع الآلام، بقدر السلام والفرح والنصرة والقوة التى ننعم بها والتى تكللها قيامة الرب وهى عربون قيامتنا هنا وهناك.

عيد القديس الأنبا بولا
أبي السُوّاح[1]

وُلد **بولا** (بولس) في طيبة (الأقصر) نحو سنة ٢٢٨م، ومات والده الثري لما كان عمره خمسة عشر سنة. ولما وقع اضطهاد داكيوس ٢٤٩م توارى في بيت له وسط المزارع، ولما نمي إلى علمه أن زوج أخته، وكان وثنياً، يعتزم أن يشي به عند السلطات لكي يستأثر بالميراث وحده، فر إلى البرية آملاً في العودة بعد أن تخف شدة الاضطهاد[2].

إلا أنه أحب عيشة العزلة، ولم يعد إلى المدينة وقال في نفسه **"أن الظروف هيأت لي طريق الفضيلة"**. وكان قد اهتدى إلى مغارة بقربها نبع ماء صافٍ وحولها نخل كثير. وعاش في هذا المكان طويلاً، يغتذي بالتمر

(١) إنجيل القداس: مر ٩: ٣٣-٤١.

(٢) قيل أنه اختلف مع أخيه على الميراث، وفي ذهابهما إلى القاضي وجدا جنازة، فانتبه بولا إلى أن حياته محدودة، وأن التمسك بالممتلكات ليس من الحكمة. فتنازل عن أرضه إلى أخيه، وذهب هو إلى البرية لينير سماء الكنيسة بحياته الفريدة.

ويشرب من ماء النبع، ويكتسي ثوباً من الخوص المجدول. وخلال حياته الطويلة تآلف مع الطبيعة من حوله، وكانت الوحوش تأمن إليه، فكان يحرسه أسدان كما كان غراب يأتيه بخبزة كل يوم في أخر أيامه.

وعاش **القديس بولا** حتى بلغ ١١٣ سنة متعبداً ناسكاً، سائحاً، منعزلاً عن كل البشر، متفرغاً لعبادة الله وتسبيحه. ودبرت العناية أن يلتقي به **القديس أنطونيوس**[٣] قبل نياحته مباشرة (٢ أمشير ٥٩ش، وحالياً ٩ فبراير)، وهو الذي أخبر عن سيرة **"القديس الأنبا بولا"** الذي سبقه إلى البرية بعدة سنوات وإلا ما كنا قد عرفنا عنه شيئاً.

وقد كتب **القديس جيروم** عن **الأنبا بولا**:

"لقد اعتبر **بولا** مكانه هذا (حيث أُنشيء ديره في البرية الشرقية) هبة من الله وصار يحبه. وهناك في صلاة ووحدة قضى بقية حياته، وزودته النخلة بطعامه وملبسه. عاش الأنبا بولا على الأرض حياة سمائية لمدة ١١٣ سنة. ماذا أعوز هذا الشيخ في تجرده؟.. رغم أنه كان فقيراً فالفردوس كان مفتوحاً له. رغم عريه احتفظ برداء المسيح. جسد **القديس بولا** يرقد الآن مغطى بتراب عديم القيمة ولكنه سيقوم ثانية في مجد".

ويقع **دير الأنبا بولا** قريباً من **دير الأنبا أنطونيوس** في الصحراء الشرقية قريباً من ساحل البحر الأحمر، في المنطقة الممتدة من بني سويف في وادي النيل. وكما اقترنت حياة القديسيْن، تقارب ديراهما، اللذان هما أقدم الأديرة القبطية في العالم بعد الدير المحرق، ونمت فيهما الحياة الرهبانية في العقود الأخيرة.

---

(٣) عن هذا اللقاء والمزيد من التفاصيل عن حياة الأنبا بولا، يُرجى الرجوع إلى الفصل الخامس عن القديس الأنبا أنطونيوس في هذا الكتاب ص١٧٠.

■ عيد دخول المسيح إلى الهيكل طفلاً[١]

المسيح يُقدَّم كذبيحة خلاص

بعد تقديم ذبيحة التطهير[٢] (حسب شريعة موسى: لو٢: ٢٢)[٣]، كان **تقديم الطفل يسوع** ذي الأربعين يوماً إلى الهيكل ليُدعَى قدوساً للرب ومُكرَّساً له[٤]. **والعذراء** التي كانت قد تكرَّست قبلاً في الهيكل منذ طفولتها، تتنازل هنا عن أولوية أمومتها لتُقدِّم طفلها مُقدَّساً للرب[٥] باعتباره المسيَّا الموعود به: **"لأنه يُخلِّص شعبه من خطاياهم" (**مت ١: ٢١).

---

(١) قراءات **عيد دخول المسيح إلى الهيكل طفلاً** هي ذاتها قراءات عيد الختان (انظر ص١٣٣).
من المقالات ذات العلاقة: **"عيد التكريس للرب"**، مجلة **مرقس**، فبراير ٢٠٠٥، ص ٢٧.

(٢) كان أحد الطائرين يُذبح ويُحرق بكامله رمزاً للتكريس الكامل للرب؛ أما الآخر فيُذبح وينضح الكاهن من دمه على الأم فتطهر.
"عن الطهارة والنجاسة بين العهدين": انظر ملحق (٤) في آخر الكتاب ص ٢١٨.

(٣) خر١٣: ٢، ٢٢: ٢٩، ٣٤: ١٩، عد ٣: ١٣، ٨: ١٧، ١٨: ١٥.

(٤) باعتباره البِكْر، أي الابن الأول فاتح الرحم (وهو يكون البكر ولو لم يُولَد له إخوة من بعده)، وهو يخدم الله عِوَض أن يُقدِّم ذبيحة، إذ أنَّ الله افتدى كل أبكار إسرائيل في ضربة قَتْل أبكار المصريين: **«يوم ضربت كل بكْر في أرض مصر، قدَّستهم لي»** (خر ١٣: ٢،١٥؛ عد ٣: ١٣؛ ٨: ١٧). وفي دخول المسيح الهيكلَ تحقيق لنبوَّة ملاخي: **«يأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه»** (مل ٣: ١).

(٥) وهو ما صرَّح به الرب للعذراء ويوسف عندما وجداه يُعلِّم في الهيكل: **«ألم تعلما أنه ينبغي أن أكون في ما لأبي»** (لو ٢: ٤٩)، وما قاله لمَن أخبروه أن أُمه وإخوته خارجاً يطلبونه، ناظراً إلى الجالسين حوله: **«ها أُمي وإخوتي... لأن مَن يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأُمي.»** (مت ١٢: ٤٩و٥٠، مر ٣: ٣٤و٣٥، لو ٨: ٢١).

وإذا كان الله قد خصَّص فيما بعد سبط لاوي لخدمة الهيكل بدل كل بكْر في إسرائيل (عد ٣: ٩-١٢؛ ٨: ١٨)، فإنَّ المسيح (الذي هو من سبط يهوذا حسب الجسد) لم يأت ليكون خادماً أو مجرد كاهن، وإنما **كرئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق**[٦] وليس على رتبة **هارون** (الذي من سبط لاوي)، والذي **"ليس بدم تيوس وعجول، بل بدم نفسه، دخل مرةً واحدة إلى الأقداس، فوَجَدَ فداءً أبديّاً"** (عب ٩: ١٢).

كان **المسيح** هو البكْر الفريد الذي به تمَّ الخلاص الأبدي، فتباركت فيه كل أُمم الأرض. وإذا كان خروف الفصح القديم قد أنقذ أبكار إسرائيل من ضربة الملاك المُهلك، فإنَّ ذبيحة هذا البكْر، ابن الله الوحيد، قد أنقذت كل مَن يؤمن به من الموت الأبدي ووهبته الحياة الأبدية (يو ٣: ١٦).

و**العذراء**، وهي هنا تحمل ابنها لتقديمه إلى الهيكل مُكرَّساً للرب، ستراه بعد سنوات مرفوعاً على الصليب لخلاص كل البشر. وعلى مثالها، فإنَّ الكنيسة تحمل جسد الرب ودمه في سرِّ الإفخارستيا كل قداس، استحضاراً مُتجدِّداً لعشاء الرب ليلة آلامه، وتبشيراً بموت الرب وقيامته وصعوده إلى السماء إلى أن يجيء لإعلان الخلاص الأخير (في ٣: ٢٠،٢١؛ عب ٩: ٢٨؛ ١بط ١: ٥).

■ شهادة سمعان الشيخ :

ولكي تكتمل أبعاد المشهد، ويتكلَّل بروح النبوَّة، يأتي إلى الهيكل في وقته تماماً **سمعان الشيخ** الذي كان على موعد حدَّده الروح له قبل سنين كثيرة.

كان **سمعان** (أو شمعون) واحداً من معلِّمي الكتاب، و**"كان باراً تقيّاً... والروح القدس كان عليه"** (لو ٢: ٢٥)، وبحسب التقليد فقد اختير ضمن

---

(٦) **ملك شاليم** الذي عشَّر له إبراهيم - **ولاوي** في صُلبه - ونال بركته (تك ١٤: ١٨-٢٠؛ عب ٧: ٦،١٠).

اثنين وسبعين شيخاً - ستة من كل سبط - اختارهم **أليعازر** رئيس كهنة أورشليم ليقوموا بترجمة أسفار العهد القديم من العبرية إلى اليونانية[٧].

وكان على سمعان ترجمة **سفر إشعياء**. ولما جاء إلى الآية السابعة من الأصحاح الرابع عشر: **"ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه عمانوئيل"**، توقَّف أمامها وتردَّد متحيِّراً. فالكلمة العبرية **"عالماه"** alma تقابلها الكلمة اليونانية **"بارثينوس"** parthenos أي **"العذراء"** غير المرتبطة بزوج. وخَطَرَ له أنَّ الكلمة غير ملائمة أو ليست مقصودة لذاتها، وقد تتعرَّض ترجمته في هذه الحالة للانتقاد. وفكَّر أنه قد يكون الأوفق أن يستخدم الكلمة اليونانية **"نيانيس"** nianis أي "شابة"، وهي كلمة عامة يمكن أن تعني امرأة صغيرة السن، متزوجة أو غير متزوجة. ولكن الروح تدخَّل، وبحسب التقليد، فإنَّ ملاكاً ظهر له في رؤيا وأكَّد له صحة الكلمة المكتوبة، **"وأُوحي إليه بالروح القدس أنه لا يرى الموت قبل أن يرى مسيح الرب" (**لو ٢: ٢٦)، أي ليس فقط يُعاين الأُم العذراء، بل والطفل الإلهي، وقد أتت به لتقديمه للرب.

هكذا ساق الروح القدس **سمعان الشيخ** إلى الهيكل كي يشهد تحقيق الوعد القديم الذي عقده الله مع إبراهيم: **"أنَّ في نسله تتبارك جميع أُمم الأرض"** (تك ١٢: ٣).

---

(٧) وهي أول ترجمة للعهد القديم والمعروفة بالسبعينيةLXX Septuagint ، وذلك بتكليف من بطليموس فيلادلفوس ملك مصر المقدوني (٣٠٩-٢٤٦ق.م) حوالى سنة ٢٨٠ق.م، لاستكمال مكتبة الإسكندرية العظيمة ولخدمة يهود الشتات في مصر الذين صاروا يتكلَّمون اليونانية السائدة بعد أن فقدوا لغة آبائهم العبرية. وفي الإسكندرية تمَّت أولاً ترجمة أسفار موسى الخمسة في ٧٢ يوماً، واستُكْمِلَت ترجمة باقي الأسفار خلال المائتي سنة التالية، وقد سُمِّيت هذه الترجمة فيما بعد بالنسخة الإسكندرية Alexandrian Version.

بهدوء تمَّ التطهير والذبح والحرق ورش الدم، ولم يفطن الكاهن الخديم أنه كان أمام ملك الملوك، كما أن مريم ويوسف أيضاً كانا يحسبان أن الأمر لن يتعدَّى التقدمة ثم العودة. ولكن كان هناك ثمة فصول باقية لن تُنسَى آثارها.

وها هو الشيخ الوقور يقترب من العائلة المقدسة وهو يئنُّ تحت وطأة السنين التي طالت[٨] في انتظار **"تعزية إسرائيل"** بمخلص العالم. وإذ تجتاحه البهجة بمرأى **"مسيح الرب"** يتوق متجاسراً أن يحمله، فتُقدِّمه له أُمه ويمدُّ ذراعيه ليحمله[٩]. وتقفز إلى ذهنه الوعود الإلهية بتعزية إسرائيل وكل الأُمم:

+ "لتُشد الجبال بالترنُّم، لأن الرب قد عزَّى شعبه، وعلى بائسيه يترحَّم... أشيدي ترنَّمي معاً يا خرَب (برية) أورشليم، لأن الربَّ قد عزَّى شعبه، فَدَى أورشليم، قد شمَّر الربُّ عن ذراع قُدْسه أمام عيون كل الأُمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا" (إش ٤٩: ١٣؛ ٥٢: ٩، ١٠**).**

وإذ يتم الوعد القديم لسمعان بعد الانتظار الطويل، يشعر أنه أخيراً قد حانت ساعة الانطلاق من العالم. وبفرحة الأسير، وهو يتحرَّر من قيود سجنه، يرفع عينيه نحو السماء هاتفاً: **"الآن تُطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عينيَّ قد أبصرتا خلاصك" (**لو ٢: ٢٩، ٣٠**).**

ولكن قبل أن يمضي من الهيكل، يُحرِّك الروح سمعان كي ينطق بشهادته مُنبئاً عن المهمة العُظمى للطفل الإلهي، فيُواصل قوله عن **"خلاص**

---

(٨) وقد سكت الكتاب عن الإشارة إلى سنوات عمره (على غير ما جرى مع حنَّة النبيَّة) وإن كان التقليد يُقْرن اسمه بالشيخ. ولابد أنه كان معروفاً تماماً في أورشليم، فقد عاصر أجيالاً كثيرة.

(٩) لذا يُسمَّى سمعان: مضيف الله Host of God ، ومتلقِّي اللهGod-Receiver ، وحامل الله Theophoros.

الرب": "خلاصك، الذي أعددته قدَّام وجه جميع الشعوب. نورَ إعلان للأُمم، ومجداً لشعبك إسرائيل" (لو ٢: ٣١،٣٢) صدًى لكلمات الكتاب: **"فقد جعلْتُكَ نوراً للأُمم لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض"** (إش ٤٩: ٦). فالأُمم الذين كانوا في الظلمة وظلال الموت يُشرق عليهم نور، وإسرائيل الذي ائتمنه الله على وعد الخلاص (يو ٤: ٢٢) يتمجَّد بأن يأتي منه المخلِّص ابن داود.

ثم بَقيَت رسالة خاصة مزدوجة يستودعها للأُم القديسة، وجزؤها الأول عن ابنها الذي يُشير إليه ويقول: **"ها إنَّ هذا قد وُضعَ لسقوط وقيام كثيرين في إسرائيل، ولعلامة تُقاوم"**(١٠). فأمام خلاص المسيح ينقسم الناس فريقين :فالرافضون والمقاومون سيُقطعون في نهاية الأمر، أما المؤمنون فينجون من الموت ويستوطنون في ملكوته الأبدي.

والرب خلال خدمته واجه رؤساء الكهنة بنبوَّة إشعياء (٢٨: ١٦) عن نفسه أنَّ: **"الحَجَر الذي رفضه البنَّاؤون هو قد صار رأس الزاوية. كلُّ مَن يسقط على ذلك الحجر يترضَّض، ومَن سقط هو عليه يسحقه"** (لو ٢٠: ١٧، ١٨). وقد أشار القديس بولس كيف أن اليهود اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب (إش ٨: ١٤): **"ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة، وكلُّ مَن يؤمن به لا يُخْزَى"** (رو ٩: ٣٢،٣٣).

---

(١٠) "وهو علامة من الله يُقاومونها"، حسب الترجمة العربية المشتركة، أي أنَّ المسيح نفسه هو العلامة (أي صورة الله وخلاصه) التي تُقاوَم. ولكن يمكن أن ينسحب الأمر على **"علامة ابن الإنسان"** (مت ٢٤: ٣٠)، وهي صليبه. ومكتوب أنَّ **"كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أما عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوة الله"** (١كو ١: ١٨). كما أنَّ المسيح المصلوب هو للرافضين **"لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة"**، وأما للمدعوين منهم فهو **"قوة الله وحكمة الله"** (١كو ١: ٢٣،٢٤).

ثم يلتفت سمعان إلى العذراء ليقول لها الجزء الخاص بها: **"وأنت أيضاً يجوز في نفسك سيفٌ، لتُعلَن أفكارٌ من قلوب كثيرة"**[١١] **(لو ٢: ٣٥).** وسمعان هنا يمدُّ بصره إلى بعيد مستبقاً الأحداث القادمة الحافلة بالعذاب والدم والدموع حين تتراجع الأفراح الحالية لتحل محلها الآلام الساحقة **"كسيف"** حاد يخترق قلبها بكل شدَّته، والابن المحبوب، وهو في الثالثة والثلاثين، يتعرَّض لحصار الظلم والكراهية قبل أن يرتفع نازفاً على صليب العار حتى الموت، **"لتُعلَن أفكار من قلوب كثيرة":** بعضها يؤمن ويتبع ويُبشِّر بخلاصه، وبعضها يرفض ويضطهد ويُعادي إلى النهاية[١٢].

ولعل العذراء جفلت وانقبض قلبها عند سماع كلمات سمعان الشيخ، وظلَّت تحفظها مُتفكِّرة بها في قلبها، حتى اختبرتها بكل حقيقتها القاسية وحجمها الهائل يوم الصليب.

■ شهادة حَنَّة النبيَّة :

ثم تجيء النبيَّة **"حَنَّة بنت فَنُوئيل"** من سبط أشير[١٣]، التي تجاوز عمرها القرن، ومنذ أن ترمَّلت بعد زواج سبع سنين لم تُفارق الهيكل أربعاً وثمانين سنة، وهي مثل سمعان كانت ممتلئة من الروح: **"عابدة بأصوام وطلبات**

---

(١١) ومن نبوَّة **سمعان** هذه استوحت الكنيسة هذه الفقرة من **قطَع صلاة الساعة التاسعة** مستعيدة مشاعر الأُم المكلومة تحت الصليب المختلطة بفرح كل المُخلَّصين: **"عندما نظرت الوالدة الحَمَل مخلِّص العالم على الصليب مُعلَّقاً، قالت وهي باكية: أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابني وإلهي".**

(١٢) كان **عيد دخول المسيح الهيكل** يُسمى **"عيد سمعان الكاهن"** في القرن الثالث عشر. ويحتفل به الغرب عموماً كعيد للسيدة العذراء، ويسمونه في التقليد اليوناني **"عيد التلاقي أو اللقاء- أبانتيسيس"** أي لقاء العذراء تحمل السيد بسمعان الشيخ وحنة النبية. ويسميه اللاتين **"عيد التطهير"**، كما يُسمى أيضاً **عيد التقديم للهيكل** "Feast of Presentation"**.**

(١٣) **"حَنَّة"** يعني: "نعمة" أو "حنان" أو "حنون"؛ و**"فنوئيل"** (تك ٣: ٣١) يعني: "وجه الله"؛ و**"أشير"** (تك ٣: ١٢) يعني: "سعيد" أو "مغبوط"، وهو واحد من الأسباط العشرة التي كوَّنت الجزء الشمالي من مملكة إسرائيل التي انقسمت بعد سليمان.

ليلاً ونهاراً". وهي قد أقبلت بالروح في تلك الساعة نحو الجماعة الصغيرة المُباركة ووقفت معهم تُسبِّح الرب وتُقاسمهم فرحهم (لو ٢: ٣٦-٣٨).

كم هي مغبوطة هذه الشيخة التقية، كما هو أيضاً سمعان الشيخ، اللذان يُقدِّمان نموذجاً مُضيئاً عندما تصير الشيخوخة بركة وصُحبة سعيدة مع الله، وليست مجرد أيام طويلة متشابهة تُقضَى بصعوبة مع الضعف والعجز والسأم، وهما اللذان عاشا على الرجاء **"مع جميع المنتظرين فداءً في أورشليم".** وكانت الجائزة السعيدة، لقاء المخلِّص مع بداية قدومه إلى العالم. وهما بإيمانهما وحيويتهما الروحية يخزيان **الشباب** الذين يُبدِّدون أيامهم خضوعاً لرغبات الجسد، أو انحصاراً في هموم العيش، ومنهم مَن يسحقهم الاكتئاب بلا رحمة؛ كما يخزيان **الشيوخ** الذين يفقدون حكمتهم، ويغفلون عن مصيرهم، وينشغلون بغرور الغنَى ورفاهية الحياة، أو يتعلَّقون بالشهوات، أو يُمضون ما بَقيَ من أيامهم يندبون حظهم ويجترُّون الأحزان.

وإذ تنفعل بالروح، بدأت حنَّة تتكلَّم عن الرب. ولعلها أخذت تستعيد النبوَّات عن المسيَّا مع مَن كانوا في الهيكل من الأتقياء، وتتذكَّر الآباء الذين طوتهم الأيام، وهم **"من بعيد نظروا المواعيد وصدَّقوها وحَيُّوها" (**عب ١١: ١٣).

وها هو الرب يُكافئ المنتظرين فداءه على الرجاء. وكما اشترك **الرجال** في خدمة الخلاص كقادة وقضاة وأنبياء وملوك وكارزين، ها هُنَّ **النساء** ينلن كرامة **بمريم العذراء وحنَّة النبية** وكل مَن كُنَّ حول الرب كي تتعزَّى بهن **حواء** أُم كل البشر (تك ٣: ٢)، بإسهامهن في الخطة الإلهية لتدبير الخلاص.

■ **شهادتنا :**

على أنَّ احتفال الكنيسة بتقديم المسيح إلى الهيكل لا يصح أن يَعْبُر علينا كأنه تذكار خاص بالمسيح ورسالته الخلاصية، ولكنه يمكن أن يُحقِّق غاية ذاتية مُجدِّدة للحياة إنْ انتبهنا إليه كعيد لكلٍّ منَّا، كباراً وصغاراً، رجالاً ونساءً، نحتفل فيه مع الرب بتكريسنا له تلاميذ وخدَّاماً.

بل إنَّ التزامنا الإيماني يقتضي أن يكون دخولنا إلى الكنيسة في كل مرة لا "**كما لقوم عادة**" (عب ١٠: ٢٥)، وإنما تجديداً دورياً لعهدنا "**كمُقدَّسين للرب**" (خر ٢٢: ٣١؛ لا ١١: ٤٢،٤٥؛ يو ١٧: ١٩)، ورجوعاً بالتوبة إلى الله وتأكيداً على السير على خُطَى المخلِّص وطاعة إنجيله، حاملين عاره (عب ١٣: ١٣)، وقابلين بالفرح شركة آلامه (في ٣: ١٠)، وصائرين نوراً للعالم وملحاً للأرض، مُقدِّمين محبة للقريب والغريب والعدو، وغالبين الشر بالخير، وكارزين للكل بخلاص الرب، ومستعدِّين كل يوم كسمعان للخروج من هذا العالم إلى العُرس السماوي، وفي كل صلاة نهتف معه مبتهجين: "**الآن تُطلق عبدك** (عبدتك) **يا سيد حسب قولك بسلام**"(١٤).

وهو نداء كل المؤمنين الحقيقيين رفاق المسيح الذين اختبروا خلاص الرب "**وذاقوا الموهبة السماوية وكلمة الله الصالحة**" (عب ٦: ٤،٥)، الذين "**ليس لهم هنا مدينة باقية لكن يطلبون العتيدة**" (عب ١٣: ١٤). أما المتردِّدون الذين لم يحسموا أمرهم بعد في تبعية الرب، فالخوف يُحاصرهم من الساعة الأخيرة، ولا يستطيعون أن ينطقوا ما قاله سمعان وكل المستعدِّين. ولكن الرب طالبٌ مثل هؤلاء أيضاً، لأنه قد مات لأجلهم. وهو قادر على خلاصهم، ويقول لهم: "**إن حرَّركم الابن، فبالحقيقة تكونون أحراراً**" (يو ٨: ٣٦).

---

(١٤) من إنجيل صلاة النوم والإنجيل الختامي لصلاة نصف الليل.

ملاحـــق

- ملحق (١): عن التقويم القبطي - خلفية تاريخية
- ملحق (٢): عن شهور السنة القبطية (المصرية)
- ملحق (٣): عن الخمر والمسكر في الكتاب المقدس.
- ملحق (٤): عن الطهارة والنجاسة بين العهدين.

ملحق (١)

عن التقويم القبطي – خلفية تاريخية

+ التقويم القبطي قديم وابتدعه المصريون سنة ٤٢٤١ ق.م أي قبل أكثر من ٦٠٠٠ سنة، فهو أقدم التقاويم قاطبة في تاريخ الإنسانية ويعتمد على ظهور **نجم الشعرى اليمانية (سيروس** أو **سوتيس**، باليونانية) وذلك قبل شروق الشمس كل ٣٦٥ يوماً وربع، وهي ظاهرة كانت تتفق مع بداية الفيضان. والعالم الفلكي **سوسيجينس** أضاف للسنة يوماً كل أربعة سنوات، وهكذا صارت السنة القبطية **البسيطة** ٣٦٥ يوماً، لثلاث سنوات، و٣٦٦ يوماً في السنة الرابعة (وتُسمى **الكبيسة**). وتتكون السنة من اثنى عشر شهراً كل منها ٣٠ يوماً، ويليها شهر صغير (نسيء) من خمس أو ست أيام. وقد قسم المصريون السنة إلى ثلاثة فصول كبيرة، كل منها أربعة شهور هي: **الفيضان، والزراعة، والحصاد.** فعماد التقويم كان النيل والزراعة، ولا يزال الفلاح المصري حتى اليوم يتبع الشهور القبطية في زراعته وحصاده.

+ ولم يكن للشهور في البداية أسماء، وكانت تُنسب إلى فصولها. وفيما بعد أُطلق عليها أسماء آلهة وآلهات مصر القديمة، واعتبروا أيام الشهر الصغير أنها التي وُلدت فيها مجموعة **أوزوريس** وهي: **أوزوريس، إيزيس، ست، نفتيس، وحورس.** وصار لكل شهر مثَل سارٍ يعبر عن حالة الزراعة أو الجو في هذا الشهر (انظر ملحق رقم ٢).

+ وسميت أيام الأسبوع بحسب ترتيبها. **فالأحد** هو اليوم الأول، **والاثنين** اليوم الثاني، **والثلاثاء** اليوم الثالث، **والأربعاء** اليوم الرابع، **والخميس** اليوم الخامس، **والجمعة** اليوم السادس، **والسبت** اليوم السابع (ويعني بالعبرية Sabbath أي الراحة) لأن الرب استراح فيه من جميع عمله (تك٢: ٢، ٣).

✚ ظلت مصر بعد إيمانها بالمسيح على يد **القديس مرقس** (حوالي ٦٠م) تتبع تقويمها القديم حتى بداية القرن الرابع الميلادي، عندما قررت أن تبدأ تقويمها الجديد مرتبطاً بعصر تصاعد الاستشهاد من أجل الإيمان المسيحي.

✚ بدأ الاضطهاد الروماني للمسيحيين الأوائل بحكم **نيرون** Nero (٥٤-٦٨م) غريب الأطوار، الذي استُشهد في عهده **القديس بطرس** صلباً منكس الرأس، و**القديس بولس** الذي قُطعت رأسه بالسيف (٦٤م)(١) [وكان قد سبقهما إلى إكليل الشهادة في أورشليم **استفانوس** الذي رجمه اليهود (أع٧: ٥٩، ٦٠) وهو أول من نال اللقب في العهد الجديد (أع ٢٢: ٢٠)(٢) و**يعقوب ابن زبدي** الذي قطع هيرودس رأسه بالسيف (أع١٢: ٢)]، ثم **القديس أنتيباس** (رؤ٢: ١٣).

✚ وفي مصر بدأ الاضطهاد الروماني باستشهاد مبشرها **القديس مرقس** الذي بعد استشهاده، أخذت الجياد تجره وراءها راكضة على أرض شوارع الإسكندرية (٦٨م) ونُقل جسده إلى روما فيما بعد، وعاد سنة ١٩٦٩ في عهد البابا كيرلس السادس الذي ذهب إلى مطار القاهرة لاستقباله وحمله على كتفه في مشهد مهيب مسجل.

✚ عانى المسيحيون على يد اليهود وعدد من الأباطرة الرومان بعد نيرون: **دوميتيان** (٨١-٩٥م)، **تراجان** (٩٧-١١٧م)، **هادريان** (١١٨-١٣٤م)، **ماركوس أوريليوس** (١٦١-١٨٠م)، **سيتميوس ساويروس** (١٩٣-٢١١م)، **مكسيميانوس** (٢٣٥-٢٣٨م)، **ديسيوس (داكيوس)** Decius

---

(١) كل تلاميذ الرب استُشهدوا (عدا **القديس يوحنا** الذي عُذب ونُفي إلى جزيرة بطمس): **فالقديس متى** قُتل في اثيوبيا رَمياً برمح، و**القديس يعقوب** أسقف أورشليم أُلقي من فوق الهيكل وضُرب فيما بعد حتى الموت، و**القديس أندراوس** صُلب على صليب على شكل حرف X في بترا باليونان، وظل يومين على الصليب يُبشر بالمسيح، و**القديس توما** طُعن برمح قرب مدراس بالهند، و**القديس يهوذا** (ليس الإسخريوطي) صُلب في آرات (أرمينيا) وقُتل بالسهام، و**القديس متياس** رُجم بالحجارة ثم قُطعت رأسه، و**القديس لوقا** قُتل بالسيف في اليونان.

(٢) ثم **القديس أنتيباس** المذكور في سفر الرؤيا (رؤ٢: ١٣).

(٢٤٩-٢٥١م)، **فاليريان** (٢٥٣-٢٦٠م)، **أوريليان** (٢٧٠-٢٧٥م) ثم **ديوقلديانوس (ديوكليتيان** Diocletian**)** (٢٨٤- ٣٠٥م) وهو أخر هؤلاء الطغاة وأعتاهم في اضطهاده.

وخلال هذه الفترة التي تتجاوز حوالي القرنين ونصف القرن بلغت سنوات الاضطهاد حوالي ١٢٥ سنة، فالاضطهاد كان يهدأ سنيناً ثم ينفجر وهكذا.

+ وقد ظل **ديوكليتيان (ديوكليشيان)** نفسه ٢٠ عاماً يستخدم المسيحيين ضمن حاشيته وإدارة إمبراطوريته، ولكن أثاره موقف من **بطريرك أنطاكية** الذي أطلق - كبادرة حسن نية - سراح **ابن ملك الفرس**، كان ديوكليتيان قد أسره في الحرب وسلمه للبطريرك للاحتفاظ به لحين انتهاء حربه مع الفرس. فلما فوجئ بالأمير الفارسي يحاربه في الميدان من جديد لم يحتمل ما فعله به البطريرك، وأعلنها حرباً شعواء على المسيحيين في سائر الأنحاء (بعد أن كان المظنون أن **البابا بطرس** هو خاتم الشهداء سنة ٢٩٥م)، بل جاء بنفسه إلى مصر (سنة ٣٠٣م) ليتولى أمر عقاب مسيحيي مصر وتعذيبهم وقتلهم امتداداً لما فعله من سبقوه وبدرجة أشد وأنكى.

+ كانت نهاية **ديوكليتيان** ومن جاء بعده أليمة. واضطرت الإمبراطورية، إزاء صلابة المسيحيين ومقاومتهم حتى الدم للاضطهاد العاتي، إلى إصدار مرسوم سنة ٣١١م[٣] بمنح المواطنين حرية العقيدة، وجاء **قسطنطين** ليكون

---

(٣) بعد اعتزال **ديوكليتيان** الحكم في ١/٥/٣٠٥م، أصدر **جاليريوس** خليفته (وزوج ابنته)، تحت وطأة آلام مرضه، مرسوماً للتسامح وفيه يطلب من المسيحيين التضرع لأجل سلامته (ورفض **مكسيميانوس دازا** أن يوقع هذا المرسوم). وبعد أن صار **قسطنطين** إمبراطوراً على فرنسا وبريطانيا وأسبانيا (٣٠٦م)، وفي سنة ٣١٣م، التقى مع **ليكينيوس** إمبراطور الشرق في ميلان، وأصدرا معاً **"مرسوم ميلان"** للتسامح. بعدها اضطر **مكسيميانوس دازا** - قبل انتحاره بعد هزيمته أمام **ليكينيوس** - أن يصدر من نيقوميديا مرسوماً شبيهاً بمرسوم ميلان، وهُزم أمام **قسطنطين** في ٣٢٣م.

إمبراطوراً مساعداً للدولة الرومانية الغربية من سنة ٣١٢ حتى صار الإمبراطور سنة ٣٢٤م. وفيما بعد قبلت أمه **الملكة هيلانة**[٤] الإيمان، وهو أيضاً آمن سنة ٣٣٧م (قيل وهو على فراش الموت). والمعروف أن **الملكة هيلانة** أسهمت في اكتشاف خشبة الصليب.

+ ولأن موجة الاضطهاد الأخيرة التي واجهتها مصر المسيحية كانت قاسية جداً بصورة غير مسبوقة (٨٠٠,٠٠٠ شهيد، كأكبر عدد من الشهداء قدمته كنيسة مسيحية على مذبح الإيمان بالمسيح)، فقد قرر الآباء أن يجعلوا يوم وسنة اعتلاء **ديوقلديانوس** الحكم (٢٩ أغسطس ٢٨٤م)[٥] بدءاً لتقويمهم، وسموها **سنة الشهداء** أو **تقويم الشهداء** Anno Martyri، تمجيداً وافتخاراً بآلاف الشهداء الذين أكدوا حبهم للملك المسيح، وتمسكاً بإيمانهم حتى الدم، وليقدموا قدوة لمن يأتي بعدهم. وصار يوم الأول من توت، **إكليل السنة القبطية، "عيداً للشهداء"** (ويعرف أيضاً **بالنيروز**[٦]). والفترة بين النيروز والصليب جعلتها الكنيسة أيام فرح تتهلل بالشهداء. وبهذا ينقص التقويم المصري الجديد عن التقويم الميلادي ٢٨٤ سنة.

---

(٤) ومنها الأسماء هيلينا، هيلين، إيلين، إيلينا، إيلانا.

(٥) بسبب فارق الـ ١٣ يوماً بين التقويمين القبطي والجريجوري، صارت بداية السنة القبطية ١١ أو ١٢ سبتمبر.

(٦) على الأرجح من الكلمة الفارسية **نوروز (نې روز)** وتعني **اليوم الجديد** أو **يوم الاحتفال**، وهو في إيران بداية العام الجديد. وقد حملت **رأس السنة القبطية** هذا الاسم منذ احتلال الفرس لمصر (٥٢٥- ٤٠٥ق.م) بقيادة قمبيز، وحتى اليوم. وإن كان البعض ينسب الكلمة إلى اللغة المصرية القديمة. وكان عيد النيروز واحد من أهم أربعة أعياد مسيحية في زمن الدولة الفاطمية (٩٦٩- ١١٧١ م) (باعتباره عيد الفيضان) في مصر مع ليلة الغطاس وخميس العهد وعيد الميلاد. وقد احتُفل بعيد النيروز مؤخراً في مصر لأول مرة (٢٠٠٧/٩/١٢) في القرية الفرعونية بحضور عدة مئات ممن يحفلون بتاريخهم الفرعوني القديم.

✚ على أن الإضطهاد لم يتوقف. فبدخول العرب مصر تصاعد من جديد ليتوقف ويتواصل، يعلو ويهبط. وحتى عندما كان يتراجع القتل، يأتي هدم الكنائس والأديرة، وحرق الكتب، أو منع العبادة أو منع بناء كنائس جديدة، أو إرهاق الكنيسة مادياً ومعنوياً، أو يسود التمييز الديني في الوظائف والتعليم، وحتى الأمر بوشم الصليب الذي استمرأه الأقباط مارسوه لحفظ هويتهم الإيمانية من الطفولة.

✚ وفي عصرنا الحديث تقتحمنا عصابات **"داعش"** الإرهابية التي احتلت مساحات كبيرة في العراق وسوريا وليبيا، وأعملت في مسيحيي هذه البلاد ذبحاً وحرقاً وتقتيلاً وتهجيراً(٧). ولم ينجُ أقباط مصر المقيمين في ليبيا من أذاها، وكان أخر ضحاياها الـ ٢١ شهيداً الذين تم ذبحهم أمام عدسات التصوير **!!** وظهرت صورهم في وسائل الإعلام في ٢٠١٥/٢/١٥، هم في صف يرتدون ملابس الاستشهاد البرتقالية، وجلادوهم الـ ٢١ يلبسون السواد وقد استتروا وراء الأقنعة كأنهم يخافونهم**(!)**، وهم يسيرون على حافة البحر المتوسط، الذي صبغت دماؤهم مياهه بعد استشهادهم. وكانت أسماؤهم أحدث ما ضمتهم الكنيسة إلى قائمة شهدائها في السنكسار، ثم أضيف إليهم في ٢٠١٥/٤/٢٠ ثلاثون مسيحياً أثيوبياً ذبحاً وقتلاً بالرصاص. ولا نظن أن الاضطهاد سيتوقف يوماً، وسيظل التاريخ يسجل أسماء الشهداء.

---

(٧) أواخر ٢٠١٤، تم تفريغ مدينة **الموصل** العراقية من مسيحييها بالكامل (٢٠٠٠ عائلة) الذين أخرجهم إرهابيو داعش منها بعد الاستيلاء على كل ممتلكاتهم. ثم حرقوا كل الكنائس أو هدموها، وذبحوا عدداً من كهنتها. وقد بدأ خروج المسيحيين العراقيين منذ بداية القرن الحالي، خاصة بعد تفجير **كنيسة سيدة النجاة** في حي الكرادة - بغداد. ولم يبقَ منهم في العراق كلها إلا نحو ٨٧ ألفاً من أصل مليون وربع المليون، ولا يزال نزوح المسيحيين العراقيين خارجها مستمراً، وأضيف إليهم مؤخراً مسيحيو سوريا وأقباط سيناء وليبيا، تحت ضغط الاضطهاد الداعشي الوحشي، وويلات الحرب والإرهاب.

ملحق (٢)

عن شهور السنة القبطية (المصرية)

(١) شهر توت (من ١١ سبتمبر إلى ١٠ أكتوبر):

"توت" من اسم الفلكي العبقري **تحوت** [ابن قرية منتوت (أي مكان توت)، في أبوقرقاص، المنيا]، الذي وضع التقويم المصري القديم، وابتكر حروف الكتابة الهيروغليفية، فرفعوه إلى مستوى الآلهة ليصير إليه المعرفة والحكمة والكتابة، ويرمز له بالطائر المقدس "أبو منجل (أبيس)".

ويقترن به المثل: **"توت** ريّة ولا تفوت" (إشارة إلى بدء موسم الزرع والريّ بعد الفيضان)، وأيضاً **"توت** هات الانتوت (المحراث)"، و"**توت** يقول للحر موت".

(٢) شهر بابه (من ١١ أكتوبر إلى ٩ نوفمبر):

"بابه" من: **إبيتّ**، اسم الأقصر الأصلي، ويُنسب إلى عيد الاحتفال بانتقال الإله آمون من معبده بالكرنك إلى معبده بطيبة (الأقصر) (أو من: **بي تبوت** إله الزراعة).

ويقترن به المثل: **"في بابه** خُش واقفل البوابة"، "زرع **بابه** يغلب النهّابة" (لوفرة المحصول مهما أخذ منه اللصوص)، و"إن خاب زرع **بابه** ميجبش ولا لبابة (خبز)".

(٣) شهر هاتور (من ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر):

"هاتور" من **حتحور**، آلهة الجمال والخصب الأمومة والحب والموسيقى، وحارسة جبل الموتى في طيبة ومنف. ويقولون: **"هاتور** أبو الدهب منتور" (لأنه شهر زراعة القمح الذي تبدو سنابله الناضجة كالذهب).

ويقترن به المثل: **"إن** فاتك قمح **هاتور** (لرمي البذور) استنى لما السنة تدور".

(٤) شهر كيهك (من ١٠ ديسمبر إلى ٨ يناير):

"كيهك" من: **كا-حِر-كا**، أي اجتماع القرين بالقرين، عن تآلف الأرواح عند الفراعنة وبعث **أوزيريس**، (أو من **كاهاكا**، أبيس إله الخير).

ويقترن به المثل: **"كياك** صباحك مساك" (لقصر النهار)، **" كياك** تقوم من النوم تحضّر عشاك"، **" كياك** شيل ايدك من غداك وحطّها في عشاك".

(٥) شهر طوبة (من ٩ يناير إلى ٧ فبراير):

"طوبة" من: **تاعبْت**، اسم أحد الأعياد، أو من: **طوبيا** إله الطبيعة والمطر.

ويقترن به المثل: "الاسم **لطوبة** والفعل لأمشير" (برد+ زوابع)، **"طوبة** بيخلّي الصبية كركوبة"، "فوتي يا **طوبة** ما بلّيتي عرقوبة"، **"طوبة** أبو البرد والعقوبة".

(٦) شهر أمشير (من ٨ فبراير إلى ٩ مارس):

"أمشير من **مسير أو مشير**، إله الزوابع والرياح.

ويقترن به المثل **"أمشير** أبو الزعابير ياخد العجوزة ويطير"، "طوبة يقول **لأمشير** ادّيني عشرة منك أخلّي العجوزة جلدة والصبية قردة".

(٧) شهر برمهات (من ١٠ مارس إلى ٨ أبريل):

"برمهات" من: **بامونت**، إله الحرارة، حيث يمضي الشتاء ويقبل الربيع، أو من: اسم عيد للملك امنْحُتب، أو اسم الملك أمنمحات.

ويقترن به المثل: **"برمهات** روح الغيط وهات" (لامتلاء الحقول بالخير).

(٨) شهر برمودة (من ٩ أبريل إلى ٨ مايو):

"برمودة" من: **رنوده**، أو **رئونه** إلهة الحصاد (ففيه حصاد القمح والشعير والفول والبرسيم)، أو من: **رنوت**، الأفعى المقدسة.

ويقترن به المثل: **"برمودة** دُق العمودة (ويقصد به العمود الذي يدور حوله النورج الذي يفصل سنابل القمح الناضج عن التبن) ولا يبقى في الغيط ولا عودة" أو "ما يخلّيش في الأرض عودة" (أي سنبلة).

(٩) شهر بشنس (من ٩ مايو إلى ٧ يونيو):

"بشنس" من: **باخنس**، إله الظلام أو **بن خونسو**، إله القمر.

ويقترن به المثل: **"بشنس** يكنس الغيط كنس" (لأنه شهر الحصاد).

(١٠) شهر بؤونة (من ٨ يونيو إلى ٧ يوليو):

"بؤونة" من: **بالوني** أو **باؤني** (بمعنى حجر) إله المعادن، أو من: عيد الوادي الذي ينتقل فيه آمون من شرق النيل إلى غربه.

ويقترن به المثل: **"في بؤونه** لا ينضرب طوب ولا تنعمل مونة"، **"بؤونة** فلاّق الحجر ينشّف الميه في الشجر" (لشدة الحر).

(١١) شهر أبيب(+) (من ٨ يوليو إلى ٦ أغسطس):

"أبيب" من: **هدبا**، الثعبان الذي قتله **حورس** (أي فرح السماء لانتقام حورس لأبيه **أوزيريس** من عمه **ست**)، أو من: الإله أبيب.

ويقترن به المثل: **"أبيب** فيه العنب يطيب"، **"أبيب** مية النيل فيه تريب" (بسبب الطمي).

(١٢) شهر مسرى (من ٧ أغسطس إلى ٥ سبتمبر):

"مسرى" من: **مس-رع** (أي ميلاد رع إله الشمس)، وفيه تشتد الحرارة.

ويقترن به المثل: **"مسرى** تجري الميه في الترع العِسرة (لأنه شهر الفيضان الكبير).

النسي (نسيء) (من ٦ سبتمبر إلى ١٠ سبتمبر) أي الأيام المنسية من السنة: الشهر الصغير.

+ وقد استُبقيت هذه الأسماء للشهور القبطية كتراث قومي رغم ارتباطها بالعبادة الفرعونية القديمة التي طواها التاريخ، بعد أن أضفت عليها الكنيسة طابعاً مسيحياً بارتباطها بالقراءات اليومية والأعياد والمناسبات المختلفة. كما أن الفلاح المصري حتى اليوم لا يستغنى عن الشهور القبطية القديمة في شئون الزراعة والحصاد وحساب المناخ والفصول.

(+) أفيف (نيسان)، ومعناه سنبلة قمح غير ناضجة، هو أول شهور السنة العبرية.

ملحق (٣)

عن الخمر والمسكر في الكتاب المقدس

الخمر، التي هي أحد نواتج **الكروم**، من أقدم المواد التي تحدث عنها الكتاب والتي في استخدامها حملت الشئ ونقيضه. فنجدها أحياناً عنواناً للخير والبركة ومثيراً للفرح، وعنصراً يستخدم في طقوس العبادة بل ورمزاً للحياة الجديدة والوليمة السمائية، ولكننا في أحيان أخرى نجدها مصدراً للهوان والعار والشر إذ يمكن أن تُذهب العقل وتقود إلى الجرائم والهلاك لمتعاطيها أو للآخرين.

والخمر في هذا ليست بدعاً. فالمواد التي تنتجها الطبيعة أو ما يصنعها الإنسان (مثل المخدرات) ليست خيراً في ذاتها أو شراً، فهي لا تملك من أمرها شيئاً، وهي محايدة ويتوقف الأمر على كيفية استخدامها من الإنسان صاحب الإرادة والفعل. ومن هنا فهي يمكن أن تكون للخير أو للشر. والأمر ينطبق على الاختراعات وما نكتشفه من طاقات. **فالماء**، على سبيل المثال، هو عماد الحياة للإنسان والحيوان والنبات، ولكن الأمطار الغزيرة والفيضانات قد تهدد الحياة. و**السكين** لا يُستغنى عنه في إعداد الطعام، ولكنه قد يكون وسيلة للترويع والقتل. و**الكهرباء** طاقة جبارة غيّرت حياة الإنسان وساعدته على التقدم ولكن إن لم تُضبط فهي صاعقة مميتة. و**الطاقة النووية** التي استُخدمت في البداية للتدمير تعددت فيما بعد استخداماتها المفيدة في المجالات الطبية وإنتاج الكهرباء وغيرها. وحتى **الأسلحة** قد تكون للهجوم والاعتداء كما قد تكون للدفاع وصد العدوان.

O O O

مع هذا فمنذ بداية الخليقة، و**الكروم** مع **الحنطة** و**الزيت** هي من الخيرات الأولى التي أعطاها الله للأرض. وفي منطقة الشرق الأوسط الدافئة كانت الكروم والقمح والزيتون من المحاصيل الرئيسية لسد حاجات الإنسان.

والرب اختار أن يشبه نفسه **بالكرمة** التي يلتحم فيها المؤمنون **كأغصان الكرمة**، وأن الآب هو **الكرام** الذي ينقي الأغصان الجيدة لتُثمر أكثر وينتزع الأغصان الجافة غير المثمرة (يو١٥: ١-٨).

وفي بركة الرب لمن يتقيه فإنه يشبّه امرأته **بكرمة مخصبة** في جوانب بيته، وبنوه مثل **غروس الزيتون** الجدد حول مائدته (مز١٢٨: ٣). ومن الزيتون استخرج الإنسان **الزيت**، ومن الكرم اعتصر **الخمر**(١).

■ الخمر والمسكر في العهد القديم :

مكتوب أن **نوحاً** ابتدأ أن يكون فلاحاً وغرس كرماً، وفيما بعد صنع منه خمراً. ويبدو أنه راق له وشرب منه كثيراً حتى سكر وتعرى داخل خبائه. فأبصر ابنه **حام** عورته، وباح بما رآه لأخويه **سام** و**يافث** اللذيْن عفّا عن النظر إلى أبيهما، وستراه بغطاء متقدميّن نحوه بظهريهما. ولما أفاق نوح من خمره وعلم بما جرى باركهما، بينما لعن **كنعان** (ابن حام) (تك٩: ٢١-٢٧)(٢).

هكذا كان أول ذكر للخمر في الكتاب مثيراً للأسف "**وحقاً إن الخمر غادرة**" (حب٢: ٥)، ولكنه كشف عن الآثار السلبية للخمر، التي كان نوح - الذي "**وجد نعمة في عيني الرب**" (تك٦: ٨)، حتى أن الله أنقذه

---

(١) "**فتملأ البيادر حنطة وتفيض حياض المعاصر خمراً وزيتاً**" (يؤ٢: ٢٤).

(٢) كما يذكر الكتاب أيضاً أن ابنتي لوط، في سعيهما ليكون لهما نسل، أسكرتا أباهما واضطجعتا معه الواحدة بعد الأخرى وهو لا يعي (تك١٩: ٣١-٣٨).

من الطوفان هو وعائلته - أول ضحاياها، وعذره أنه لم يكن يعـــرف أن الإفراط في الخمر يُسكر ويُفضح.

على أن الخمر بقيت هي المشروب السائد بين الناس، وجاء ذكرها تالياً في لقاء غير عادي في فجر التاريخ ظل صداه يتردد في الكتاب. وهو يتعلق **بملكي صادق** ملك شاليم (أي ملك السلام)،كاهن الله العلي، الذي أخرج خبزاً وخمراً وبارك **إبراهيم** العائد وقتها من كسرة الملوك (تك١٤: ١٨). وأشار **القديس بولس** إلى أن **ملكي صادق** مشبّه بابن الله الكاهن إلى الأبد (مز١١٠: ٤)، الذي قدم جسده ودمه لتلاميذه ليلة آلامه في الخبز والخمر (مت٢٦: ٢٧-٢٩، عب٧: ١-٣، ٢١-٢٥).

كما صار اسم الخمر مقترناً بالخير والبركة حتى إن **يعقوب** عندما دخل إلى أبيه **إسحق**، الذي شاخ وكلّت عيناه، قدم له خمراً فـــشرب، وباركـــه إسحق قائلاً **"ليعطك الله... كثرة حنطة وخمر"** (تك٢٧: ٢٥، ٢٨). كما وعد الله الذين يحفظون أحكامه بمباركة ثمرة الأرض: القمح والخمر والزيت (تث٧: ١٣). بل إن الحرمان من الخمر كان من بين العقوبات التي أعلن الله أنه ينزلها بشعبه العاصي: **"كروماً تغرس وتشتغل وخمراً لا تشرب ولا تجني لأن الدود يأكلها"** (تث ٢٨: ٣٩، عا ٥: ١١، ٦: ١٥، صف١: ١٣).

كما اقترنت الخمر أيضاً في الكتاب **بالفرح والتعزية ونسيان أتعـــاب الحياة: "**المُنبت... خضرة لإخراج **خبز** من الأرض، **وخمر تُفـــرِّح كـــل الإنسان**، لإلماع وجهه أكثر من الزيت وخبز يـــسند قلـــب الإنـــسان" (مز١٠٤: ١٥)، "أعطوا **مُسكراً** لهالك **وخمراً** لمرّي النفس. يشرب وينسى فقره ولا يذكر تعبه بعد" (أم٣١: ٦). بل صارت الخمر، مع المياه واللبن، رمزاً **لبركة الإنجيل الآتية ونعمته الفائضة المجانية "**أيها العطاش جميعاً هلموا إلى **المياه**، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن **خمراً ولبناً"**

(إش٥٥: ١)؛ "الحكمة بَنَت بيتها، نحتت أعمدتها السبعة. ذبحت ذبحها. مزجت **خمرها**. رتبت مائدتها... هلموا كلوا من طعامي واشربوا من **الخمر** التي مزجتها" (أم ٩: ١، ٢، ٥).

وفي **عهد الناموس** دخلت **الخمر**، مع **الحنطة**، ضمن المواد المستخدمة في طقوس العبادة، فكان يُستعمل في عمل القرابين بإضافته إلى الدقيق والزيت (خر٢٩: ٤٠، لا٢٣: ١٣، عد١٥: ٥، ٧). كما كانت **الخمر** تُسكب على المحرقة أو الذبيحة (عد١٥: ٥). ومكتوب أن **حنة** لما فطمت ابنها **صموئيل** "أصعدته معها بثلاثة ثيران وإيفة دقيق **وزق خمر** وأتت به إلى الرب في شيلوه والصبي صغير" (١صم ١: ٢٤). كما أن الخمر كانت تدخل ضمن البواكير التي تؤول إلى الكهنة: "وتعطيه أول حنطتك **وخمرك** وزيتك" (تث ١٨: ٤).

وكان من طقوس الفصح تناول أربعة كؤوس من **الخمر**: كأس المرارة، كأس الفرح، كأس البركة، كأس التهليل، ثم يرتل العابدون مزامير البهجة والخلاص (مت٢٦: ٣، مر١٤: ٢٦).

على أنه بسبب ما يجلبه الوجه الآخر للخمر من تداعيات، فقد أوصى الرب **هارون الكاهن** قائلاً "**خمراً ومسكراً**[٣] **لا تشرب أنت وبنوك معك** (وكل الكهنة من بعدهم) **عند دخولك إلى خيمة الاجتماع لكي لا تموتوا... فرضاً دهرياً في أجيالكم للتمييز بين المقدس والمحلل وبين النجس والطاهر**" (لا١٠: ٨-١٠). "**ولا يشرب كاهن خمراً عند دخوله**

---

(٣) **الخمر** يُنتج بالتخمير (كما يحدث في الخبز) أي بتعريض عصير الكرم أو العنب المبلل للهواء فتؤثر فيه الخميرة yeast فيصير خمراً (النبيذ wine). أما **المُسكر** فينتج بتقطير العصائر النباتية واستخراج روح المادة (spirit - بالإيطالية spirito)، ومن هنا التسمية المعروفة للمشروبات الروحية أو الكحوليات التي تتصاعد فيها نسبة الكحول. مع هذا فإذا كان **الخمر القليل** لا يُسكر، فإن الإفراط فيه يرفع نسبة الكحول فيصير **مُسكراً** يطيح بالعقل.

إلى الدار الداخلية" (حز٤٤: ٢١). والباعث مفهوم على امتناع الكهنة عن تناول الخمر والمُسكر أثناء أدائهم لوظائفهم، لأنها تتطلب ضبطاً كاملاً للنفس، كما أنه نوع من التعفّف والتقشف كمكرسين لخدمة الله.

وقد حرّم الرب **الخمر والمسكر** أيضاً على النذيرين للرب **"فعن الخمر والمسكر يفترز ولا يشرب خلّ الخمر ولا خلّ المسكر ولا يشرب من نقيع العنب ولا يأكل عنباً رطباً ولا يابساً** (زبيباً) (حتى العنب الذي يُصنع منه الخمر)" (عد٦: ٣). وسرىَ هذا النهي على **شمشون** كنذير للرب (قض ١٣: ٥، ٧)، وحتى على أمه وأبيه اللذين حذرهما الملاك المُبشر بولادته من شرب الخمر أو المسكر أو أن يأكلا شيئاً نجساً **"لأن الصبي يكون نذيراً لله من البطن إلى يوم موته"** (قض١٣: ٤، ٧، ١٤)، وأيضاً على **صموئيل** (١صم١: ٢١) وعلى **يوحنا المعمدان** (لو١: ٧،١٥: ٣٣).

ولكن الكتاب يدين إدمان الخمر والمسكر والالتصاق بهما، وينبه إلى مضارهما، خاصة وأنه يقود إلى انحرافات أخرى. وفي أمثال سليمان **"الخمر مستهزئة. المسكر عجاج** (يثير الجلبة والصياح) **ومن يترنح بهما ليس بحكيم"** (أم ٢٠: ١)، **"محب الخمر والدهن لا يستغني** (أي مآله إلى الفقر)" (أم ٢١: ١٧)، **"لا تكن بين شرّيبي الخمر، بين المتلفين أجسادهم.. لمن الويل لمن الشقاوة لمن المخاصمات لمن الكرب لمن الجروح بلا سبب لمن ازمهرار العينين، للذين يدمنون الخمر، الذين يدخلون في طلب الشراب الممزوج. لا تنظر إلى الخمر إذا أحمرت حين تُظهر حبابها في الكأس. وساغت مُرقرقة، في الآخر تلسع كالحية وتلدغ كالأُفعوَان"** (أم٢٣: ٢٠، ٢٩- ٣٢).

وفي سفر **إشعياء: "ويل للمبكرين صباحاً يتبعون المُسكر. للمتأخرين في العتمة تُلهبهم الخمر. وصار العود والرباب والدف والناي والخمر**

ولائمهم، وإلى فعل الرب لا ينظرون، وعمل يديه لا يـرون... ويـل للأبطال (الجبابرة) على شرب الخمر ولذوي القدرة (البأس) على مزج المسكر" (إش٥: ١١، ١٢، ٢٢)؛ **"ويل لإكليل فخر سُكارى أفـرايم.. المضروبين بالخمر.. ولكن هؤلاء أيضاً ضلوا بالخمر وتاهوا بالمـسكر. الكاهن والنبي ترنّحا بالمُسكر، ابتلعتهما الخمر، تاها من السكر، ضلا في الرؤيا"** (إش٢٨: ١، ٧).

وفي سفر **هوشع: "الزنى والخمر والسلافة تخلب القلـب"** (هـو٤: ١١)، **"يمرض الرؤساء من سورة الخمر"** (هو٧: ٥). بل إن الكتاب يحذر الملوك والرؤساء وكل من هم في منصب من الخمر تقـديراً لمـسئولياتهم: **"ليس للملوك أن يشربوا خمراً ولا للعظماء المسكر"** (أم٣١: ٤)

■ الخمر والمسكر في العهد الجديد :

فإذا جئنا **للعهد الجديد**، نرى أن أول معجزة أجراها الـسيد المـسيح كانت تحويل الماء إلى خمر، واعترف رئيس المتكأ عندما ذاقها أنها كانـت خمراً جيدة غير مُسكرة (يو٢: ١٠).

والرب أكد على عدم نجاسة الأشياء، وأن ما ينجس الإنسان هو مـا يخرج من الفم وليس ما يدخله[٤] (مت١٥: ١٨، ١٩، مر٧: ٢٠- ٢٣). والرب نفسه لم يمتنع عن شرب الخمر، من ناحية المبدأ، علـى أسـاس أن الخمر، كمادة، ليست شراً في ذاتها، وإنما **السكْر**، الذي هو فقـد نعمـة العقل الموهوبة لنا من الله، ومعه افتقاد الوعي والقدرة علـى الـتحكم في الانفعالات والتصرفات، فهو ارتداد إلى حياة الجسد. والرب قال عن نفسه

---

(٤) في **رؤيا** بطرس وهو في يافا سمع الصوت **"ما طهره الله لا تدنسه أنـت"** (أع١٠: ١٥)، وفي رسالته إلى رومية كتب **القديس بولس "إني عالم ومتيقن في الرب يسوع أن ليس شئ نجساً بذاته إلا من يحسب شيئاً نجساً فله هو نجس"** (رو١٤:١٤). وكتب لتلميذه تيطس **"كل شيء طـاهر للطاهرين. وأما للنجسين وغير المؤمنين فليس شئ طاهراً بل تنجس ذهنهم أيضاً وضـميرهم"** (تي١: ١٥).

"جاء ابن الإنسان يأكل **ويشرب**، فيقولون هوذا إنسان أكول **وشريب خمر**، محب للعشارين والخطاة" (مت١١: ١٩، لو٧: ٣٤)؛ "وأما الكتبة والفريسيون فلما رأوه يأكل مع العشارين والخطاة قالوا لتلاميذه ما باله يأكل **ويشرب** مع العشارين والخطاة" (مر٢: ١٦).

والرب أوضح أنه **أكل معهم وشرب** (بغير إفراط بالطبع)، كما يأكلون ويشربون، لأنه جاء لأجلهم و"**لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى. لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة**" (مت٩: ١١، ١٢، مر٢: ١٦، ١٧، لو٥: ٣١، ٣٢).

وقد استخدم الرب في تعليمه تعبير "**الخمر الجديدة**"، كناية عن العهد الماسياني والحياة الجديدة، التي لا يصلح لها إلا المولود ثانية فيقول: "**ولا يجعلون خمراً جديدةً في زِقاق عتيقة لئلا تنشق الزقاق فالخمر تنصبّ والزقاق تتلف، بل يجعلون خمراً جديدة في زِقاق جديدة فتُحفظ جميعاً**" (مت٩: ١٧، مر٢: ٢٢). وفي عرس قانا الجليل فإن خمر العرس كانت الخمر الجيدة، وهي هبة محبة المسيح وعلامة الفرح الذي يحققه مجئ المسيح.

وعلى مائدة الفصح الذي أكله الرب مع تلاميذه كانت هناك **خمر**، الذي أخذ منها عندما رسم **سر الإفخارستيا** (مت ٢٦: ٢٨). وهناك إشارة رمزية **للخمر** في وليمة الأزمنة الأخيرة السماوية، فيما قاله الرب لتلاميذه بعد الإفخارستيا: "**وأقول لكم إني من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا إلى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً في ملكوت أبي**" (مت٢٦: ٢٩)، هذا مع الأخذ في الاعتبار "**أن ملكوت السموات ليس أكلاً وشرباً بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس**" (رو١٤: ٧). وعلى الجانب المضاد فقد استخدم الكتاب أيضاً تعبير: "**معصرة وكأس خمر سخط وغضب الله**" في اليوم الأخير بالنسبة للأشرار الرافضين (إش٥١: ١٧، رؤ١٤: ١٩، ١٦: ١٩، ١٩: ١٥). مع هذا فإن الرب نهى

مؤمنيه عن السكر والانحلال **"احترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم في خُمار** (خلاعة) **وسكر وهموم الحياة"** (لو ٢١: ٣٤).

وخلال خدمة **الرسول بولس** في الأمم، واجهته مع من آمنوا مشكلة **ذبائح الأمم.** فبعض المؤمنين الواثقين لم يكن يرى غضاضة في تناولها، فهي عندهم كسائر الذبائح، بينما تحرّج أخرون من ذلك وتشككوا لئلا يكونوا مشاركين الوثنيين عبادتهم. من هنا فقد وضع، خلال رسائله، مبادئ عامة للمؤمنين في كيفية التعامل مع أشياء الحياة اليومية، كذبائح الأوثان وغيرها، نعرضها فيما يلي:

"كل خليقة الله جيدة، ولا يرفض شئ إذا أُخذ مع الشكر، لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة" (١تي٤: ٤، ٥)؛

"الذي يأكل فللرب يأكل لأنه يشكر الله والذي لا يأكل فللرب لا يأكل ويشكر الله" (رو١٤: ٦)؛

"كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق" (١كو٦: ١٢)؛

"كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء تبني" (١كو١٠: ٢٣)؛

"كل الأشياء تحل لي، لكن لا يتسلط عليّ شئ" (١كو٦: ١٢).

فالأساس أن كل الأشياء محللة، ولكن قد يمتنع على المؤمن تناولها أو ممارستها إن لم تكن توافق مبادئ الإيمان، أو مناسبة للظروف، أو إذا كان يمكن أن تُعثر أحداً ممن لم يبلغ يقينه الدرجة التي بلغناها، أو إذا كانت سلبية بغير فائدة، أو هادمة لا تضيف ولا تبني، أو إذا كانت مما يمكن أن يسيطر على الإرادة فتغلبها وتتسلط عليها، أي تفقد الإنسان حريته فيدمن عليه ولا يستطيع منها فكاكاً.

وهو يشجع المؤمن أن يكون واثقاً حراً دون أن يكون مرتاباً متشككاً في أفعاله طالما أنه لا يشعر أنه لا يخطئ **"ألك إيمان. فليكن لك بنفسك أمام الله. طوبى لمن لا يدين نفسه فيما يستحسنه".** أما لو شعر أن ضميره غير مستريح

لفعل شئ فلا يقدم عليه **"وأما الذي يرتاب فإن أكل يُدان لأن ذلك ليس من الإيمان. وكل ما ليس من الإيمان فهو خطية"** (رو١٤: ٢٢، ٢٣).

وفي موضوع تفادي عثرة البعض (حتى وإن لم يكن الفعل شراً في ذاته) كتب القديس بولس: **"انظروا لئلا يصير سلطانكم هذا معثرة للضعفاء"** (١كو٨: ٩)؛

"كل الأشياء طاهرة، لكنه شر للإنسان الذي يأكل بعثرة (أي يُعثر غيره)**.. حسن أن لا تأكل لحماً ولا تشرب خمراً ولا شيئاً يصطدم به أخوك أو يعثر أو يضعف.. فإن كان أخوك** (الضعيف) **بسبب طعامك يُحزَن، فلست تسلك بعد حسب المحبة. لا تُهلك بطعامك ذلك الذي مات المسيح لأجله"** (رو١٤: ٢٠، ٢١، ١٥). ووصل به الأمر إلى القول: **"إن كان طعام يُعثر أخي فلن آكل لحماً** (أو غيره) **إلى الأبد لئلا أعثر أخي"** (١كو٨: ١٣)؛

"فإذا كنتم تأكلون أو تشربون أو تفعلون شيئاً، فافعلوا كل شئ لمجد الله. كونوا بلا عثرة لليهود ولليونانيين ولكنيسة الله. كما أنا أيضاً أرضي الجميع في كل شئ، غير طالب ما يوافق نفسي، بل الكثيرين، لكي يخلصوا" (١كو١٠: ٣١-٣٣).

وبهذا المفهوم فإن أنواع الأطعمة، التي لا نأكلها في أيام الصوم (مثل اللحوم وغيرها)، هي ليست شراً في ذاتها أو نجسة، وإلا ما كان مسموحاً بها في غير أيام الصوم. كما أن الصوم يقوم بضبط الجسد وميوله، خاصة شهوة الطعام والانشغال به، لرفع المستوى الروحي والاهتمام بالروحيات.

وفيما يتعلق **بالخمر**، بحسب ما سبق، فهي ككل خليقة الله جيدة، ولكن يمتنع التعود عليها فتتسلط علينا. كما أن **السكْر** وفقدان العقل والوعي هو خطية ينبغي الهروب منها. ونفس الأمر ينطبق على **إدمان سائر المُكيفات كالسجائر والمخدرات**، وأيضاً **الشراهة والنهم** في الأكل

والشرب، فهذا كله لا يليق بالمؤمنين.

والقديس بولس نهى بوضوح عن هذه الضعفات فكتب:

"لا تسكروا بالخمر الذي فيه الخلاعة بل امتلئوا بالروح" (أف٥: ١٨)؛

"لا سكيرون يرثون ملكوت السموات" (١كو ٦: ١٠).

واشترط على **الأسقف** أن يكون **"غير مدمن الخمر"**، و**الشمامسة "غير مولعين بالخمر الكثير"** (١تي ٣: ٣، ٨)، و**العجائز "غير مستعبدات للخمر الكثير"** (تي٢: ٣).

فالاعتدال مطلوب، وإن كان الأفضل هو التعفف عن الخمر تماماً، لتفادي التعود عليها وإدمانها، الذي يصيب الجسد بالأمراض، ويُذهب العقل، ويودي بالسمعة، ويُعثر المؤمن وغير المؤمن(٥). أما استخدامها في صناعة الدواء، أو كعلاج مؤقت، فهذا لا غبار عليه بالطبع. ونعرف أن القديس بولس الذي كتب ما سبق عن **الخمر**، كتب لتلميذه **تيموثاوس** المريض **"لا تكن فيما بعد شرّاب ماء بل استعمل خمراً قليلاً من أجل معدتك وأسقامك الكثيرة"** (١تي٥: ٣)، وهو حدد المقدار: **"خمراً قليلاً"** حتى لا يكون رخصة لأحد لشرب الخمر بحجة الفائدة الصحية.

والكنيسة تستخدم في سر الإفخارستيا **خمر البركة**، وتسميها **الأباركة**(٦)، وتصنعها بتخمير العنب المبلل، وهي تضيف إليها الماء تذكاراً لخروج الماء من جنب المسيح المصلوب عند طعنه بالحربة، وأيضاً لتخفيفها وإضعاف تأثيرها الجانبي.

---

(٥) كان القديس **يوحنا فم الذهب** يسمي السكْر **"الجنون الاختياري"** فهو نوع من الانتحار وإيذاء النفس.

(٦) **كأس البركة** التي نباركها أليست هي شركة "دم المسيح" (١كو١٠: ١٦).

ملحق (٤)

عن الطهارة والنجاسة بين العهدين

في مجال **الطهارة والنجاسة**، التي كانت تحتل أمورها قدراً كبيراً من اهتمام اليهودي ووعيه، أوضح الرب أنَّ ما يُنجِّس الإنسان ليس هو ما يدخل الفم **"بل ما يخرج من الفم... لأن من القلب تخرج أفكار شريرة... هذه هي التي تُنجِّس الإنسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا يُنجِّس الإنسان"** (مت١٥: ١١، ١٨-٢٠؛ مر٧: ١٥-٢٣). فطهارة الإنسان الحقيقية هي في عدم فعل الخطية، وهذه لا يغسلها الماء وإنما ما صنعه الرب **تطهيراً لخطايانا** (عب١: ٣)، والذي نناله بعمل الروح القدس في المعمودية والتناول من جسد الرب ودمه للتائب. هذا هو **الاغتسال** الذي يجب أن يكون[١]. فالطهارة، حسب الإنجيل، لا تتعلَّق بالجسد وإنما بالقلب والنفس والضمير (١تي ١: ٥؛ ٣: ٩؛ ٥: ٢٢؛ ٢تي ١: ٣؛ ١بط١: ٢٢).

+ والمُعمَّدون الذين ماتوا مع المسيح وقاموا بعمل الروح في حياة جديدة (رو٦: ٣-٦؛ كو٢: ١١، ١٢) هم طاهرون، ولا يُعطِّلهم عن الاقتراب من الأقداس عدم نظافة جسدهم أو مرضهم، وإنما انحراف قلبهم وخطيتهم **"ودم يسوع المسيح (ابنه) يُطهِّرنا من كل خطية"** (١يو١: ٧).

+ والابن الضال، الراجع إلى بيت أبيه، لم يحتج أن يغسل ثيابه أو أقدامه التي عفَّرها التراب، والأب قَبِله كما هو؛ بل إنه **"ركض ووقع على عنقه وقبَّله"** (لو١٥: ٢٠)[٢].

---

(١) **"قُمْ واعتمد واغسل خطاياك داعياً باسم الرب"** (حنانيا لشاول الطرسوسي- أع٢٢: ١٦)، "لكن **اغتسلتم**، بل تقدَّستم، بل تبرَّرتم باسم الرب يسوع وبروح إلهنا" (١كو٦: ١١)، "بمقتضى رحمته خلَّصنا **بغسل الميلاد الثاني** وتجديد الروح القدس" (تي٣: ٥)، "كما أحبَّ المسيح أيضاً الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها، لكي يُقدِّسها، مُطهِّراً إياها **بغسل الماء بالكلمة**" (أف٥: ٢٥، ٢٦).

(٢) والكاهن، وهو يغسل يديه قبل الخدمة والاقتراب من الأقداس، يُردِّد المزمور ٢٦: ٦: **"أغسل يديَّ في النقاوة فأطوف بمذبحك يارب"**. فليس المقصود هنا النظافة الخارجية (وهي ضرورية)، وإنما نقاوة القلب وطهارة الحياة.

+ **ونازفة الدم** التي جفَّ ينبوع دمها لما مسَّت هُدب ثوب الرب، وقد جاءت إليه خائفة مرتعبة بعد كشف أمرها، لم ينهرها أنها تجاسرت على لمسه وهي نجسة، وإنما تحنَّن عليها، وامتدح إيمانها، وصرفها بسلام (مت٩: ٢٠-٢٢؛ مر٥: ٢٥-٣٤؛ لو٨: ٤٣-٤٨) (٣).

+ والرب لم يترفَّع عن أن تقترب منه **المرأة، التي كانت خاطئة** معروفة في المدينة، وأن تُقبِّل قدميه وتمسحهما بشعر رأسها، بل إنه غفر خطاياها من أجل محبتها الكثيرة (لو٧: ٣٦-٥٠)(٣).

+ والمسيح تعامَل مع النساء كمؤمنات تقيَّات دون تحفُّظ، مثل الأُختَيْن **مريم ومرثا** اللتين كان يدخل بيتهما في بيت عنيا، وأقام أخاهما **لعازر** من الموت؛ **ومريم زوجة كلوبا** (حلفى) أم يعقوب ويوسي؛ **وسالومة** أم ابني زبدي؛ "وبعض النساء كنَّ قد شُفِين من أرواح شريرة وأمراض: **مريم التي تُدعى المجدلية** التي أخرج منها سبعة شياطين، **ويُونَّا** امرأة خُوزي وكيل هيرودس، **وسوسنَّة**، وأُخر كثيرات كُنَّ يخدمنه من أموالهن" (لو٨: ٢، ٣). بل إن هؤلاء كن ضمن دائرة تلاميذه الضيقة، ويسِرْن مع الرب في المدن والقرى خلال كرازته (لو٨: ١)، وهن كن عند الصليب (مت٢٧: ٥٦، يو١٩: ٢٥)، في غيبة أكثر التلاميذ(!)، وهن من حملن الحنوط إلى القبر

---

(٣) حتى لو كانت الكنيسة لا تسمح للمرأة بالتناول أيام حيضها، ولا للمرأة النفساء بدخول الكنيسة، أربعين يوماً إذا كان المولود ذكراً، وثمانين يوماً إذا كانت ينتاً؛ فالأمر هنا لا يتعلَّق بنجاسة أو عدم طُهر، كما كان الحال في العهد القديم. فكل مَن اعتمد بالمسيح قد لَبسَ المسيح (غل٣: ٢٧)، وجسده هو هيكل للروح القدس، وأعضاؤه هي أعضاء المسيح (١كو٣: ١٦، ١٧؛ ٦: ١٥، ١٩)؛ ولكن الكنيسة تعفي المرأة خلال هذه الظروف من المجيء إلى الكنيسة حتى تستعيد قواها الجسدية والنفسية. وإن كان لائقاً أن يُترَك الأمر للمرأة إن اشتاقت أن تأتي إلى الكنيسة للصلاة. كما يليق أن يُسمح لها بالتناول (ولو في بيتها)، فهذا حق ونعمة، لا يصح حرمان مؤمن منها إلا في أضيق نطاق وفقط من أجل الحث على التوبة والعودة إلى الصواب. والتقليد القديم في الكنيسة – حسب كتاب الدسقولية (تعاليم الرسل) – يسمح للمرأة بذلك.

المقدس، وأول من التقى الرب القائم من الموت، وهن أول من حمل خبر القيامة إلى التلاميذ (مت٢٨: ٢٨، لو٢٤: ١٠، يو٢٠: ١٥)، وكن في العلية مع التلاميذ المنتظرين حلول الروح القدس (أع١: ١٤).

والكنيسة تصف **العذراء** أنها **"كلية الطهر"**، وهي في **"مجمع القديسين"** تتقدم الكل: رجالاً ونساءً: **"وبالأكثر القديسة المملوءة، مجداً العذراء كل حين، والدة الإله القديسة الطاهرة مريم التي ولدت الله الكلمة بالحقيقة".**

والكتاب يُعلن لنا أنه بالإيمان بالمسيح وبالمعمودية: **"ليس يهودي ولا يوناني (ختان وغرلة، وبربري سكيثي)، ليس عبدٌ ولا حُرٌ، ليس ذكر وأنثى، لأنكم جميعاً واحدٌ في المسيح يسوع (بل المسيح الكل وفي الكل)"** (غل٣: ٢٨، كو٣: ١١).

+ والعهد الجديد ينفي نجاسة **الأشياء** وأنها كلها طاهرة (رو١٤: ٢٠): **"لأن كل خليقة الله جيدة، ولا يُرفض شيء إذا أُخذ مع الشكر لأنه يُقدَّس بكلمة الله والصلاة"** (١تي ٤: ٤، ٥)، وأن **"كل شيء طاهر للطاهرين"** (تي١: ١٥)، و**"أن ليس شيء نجساً بذاته، إلا من يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجس... لأن ليس ملكوت الله أكلاً وشرباً، بل هو بر وسلام وفرح في الروح القدس"** (رو١٤: ١٤، ١٧)، وأن **"الطعام لا يقدمنا إلى الله، لأننا إن أكلنا لا نزيد وإن لم نأكل لا ننقص"** (١كو٨: ٨).

والمبدأ السائد هنا، وفي كل قضايا الحلال والحرام، هو أن **"كل الأشياء تحل لي، لكن ليس كل الأشياء توافق.. لكن لا يتسلَّط عليَّ شيء.. ولكن ليس كل الأشياء تبني"** (١كو٦: ١٢، ١٠: ٢٣).

+ وفي هذا المجال، لا يفوتنا أن نشير إلى رؤيا **القديس بطرس** استعداداً لقبول الأمم (الذين كان يعتبرهم اليهود نجسين ولا نصيب لهم في الله)، حيث شهد السماء مفتوحة، وإناءً نازلاً عليه، مثل ملاءة عظيمة، مربوطة بأربعة أطراف، وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت يناديه أن **"اذبح وكُل"**. وكما نتوقع فأن بطرس تمنع قائلاً: أنه لم يأكل قط شيئاً دنساً أو نجساً. فجاءه الصوت **"ما طهره الله لا تدنسه أنت"** وتكرر الأمر ثلاثاً، ثم ارتفع الإناء إلى السماء.

ومع تحير بطرس من الرؤيا، جاءه ثلاثة رجال من قِبل **كرنيليوس** قائد المئة الروماني التقي في **قيصرية**، بحسب أمر الملاك الذي ظهر لكرنيليوس. وكشف الروح لبطرس الأمر. وفي الغد رافقهم والتقى بكرنيليوس وأقرّ له برؤياه التي عنيت ألا يقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس **".. وأن الله لا يقبل الوجوه. بل في كل أمة الذي يتقيه ويصنع البر مقبولاً عنده"**. وفيما هو يتكلم **"حل الروح القدس على كل من يسمعون الكلمة"** أي أن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً (أع ١٠: ١-١١: ١٨).

وكما قال **القديس بولس: "فالله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا متغاضياً عن أزمنة الجهل** (التي عاشها الأمميون بعيداً عن الله)**"** (رؤ١٧: ٣٠).

فأمام الله لا يُصنّف البشر بحسب جنسهم إلى يهود أتقياء وأمم نجسين، وإنما بحسب إيمانهم بشخص المسيح **"والذين معه مدعوون ومختارون ومؤمنون"** (رؤ ١٧: ١٤).

سطور من هذا الكتاب

يمكن القول أن المسيحية في فجرها كانت ذات صبغة يهوية غالبة. وأخذ الأمر بعض الوقت لكي يحل الأحد كيوم الرب (رؤ١: ٧) محل السبت القديم.

وكان الاحتفال الإفخاريستي "كسر الخبز" في أول الأسبوع، أي في يوم الأحد: يوم قيامة الرب (التي تحتوي الصليب والموت) ويوم حلول الروح القدس، والذي صار اسمه الرسمي "يوم الرب" (رؤ١: ١٠)، هو بمثابة العيد الأول في حياة الكنيسة الذي أخذ موقع السبت "كانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات" (أع٢: ٤٢، ٢٠: ٧).

فإذا جئنا للاحتفال بالأعياد، نجد أنه ظل لعيدي الفصح (الفطير) والخمسين (الحصاد أو الأسابيع) موقعهما الأثير، خاصة في حياة اليهود الذين آمنوا، وفي كل الكنيسة عامة، بعد أن أخذا وجههما المسيحي. فتغير الفصح القديم معنًى ومبنًى ونُسخت طقوسه، ليصير الفصح الجديد ذبيحة المسيح الفريدة الدائمة التي كان بها الخلاص بقيامة الرب منتصراً على الموت (١كو٥: ٧، عب٩: ١٢). وهكذا احتل عيد القيامة موقعه كأقدم وأعظم أعياد العهد الجديد، وإن بقى في بعض المواقع يحمل اسم الفصح، وسماه الآباء عيد الأعياد، وإكليل الأعياد، وملك الأيام وتاجها.

كما كان أيضاً عيد الخمسين هو العيد العظيم الثاني في الكنيسة (والذي يحمل اسم عيد الخمسين أو العنصرة القديم) الذي دشّنه حلول الروح القدس ليصير عيد تأسيس كنيسة المسيح.

نور الحياة